

التَّسْمِيلُ لِتَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ
وَسِرِّهِ

سُورَةُ الْاِنْفِصَامِ

فِي سُؤَالٍ وَجَوَابٍ

تَأَلَّفَ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُصْطَفَى بْنُ الْعَدَوِيِّ

مَكْتَبَةُ مَكَّةَ

التسهيل لتأويل التنزيل

تفسير

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

تأليف

أَبِي عَمَّاسٍ مُصْطَفَى بْنِ الْعَدَوِيِّ

الناشر

مكتبة مكتة

التسهيل لتأويل التنزيل
تفسير

سُورَةُ الْاِنْعَامِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع

٢٠٠٧ / ٢١٤٧٨

الناشر

مكتبة مكتة

١٠ شارع طه الحكيم أمام استديو فينوس
طنطا - جمهورية مصر العربية

٠١٢٣٤٨٩٨٥٣ - ٠٤٠٣٢٩٥٧٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وبعد...

فهذا تفسير سورة الأنعام في سؤال وجواب، وهو جزءٌ من عملي (التسهيل لتأويل التنزيل) الذي هو تفسيرٌ للكتاب العزيز في صورة السؤال والجواب، وقد صدر منه إلى الآن ثمانية عشر مجلدًا تحوي تفسير ما يقارب نصف الكتاب العزيز، وأسأل الله عزَّ وجل التمام على خير، وقد أوضحت خطة عملي لهذا المبحث الواسع في الأجزاء الأول من هذا الكتاب وها هي سورة الأنعام أقدمها ضمن هذا العمل، وها هي كلمة عامة عن هذه السورة الكريمة ومجمل ما حوته فأقول، وبالله التوفيق.

سورة الأنعام، إحدى السور المكية، والشأن فيها شأن السور المكية عمومًا تهتم بالعقائد والتوحيد وإثبات البعث والمعاد والثواب والعقاب والحث على اتباع المرسلين والترغيب والترهيب وبيان مشاهد القيامة من حشر وجمع وجنة ونار إلى غير ذلك مما تناوله السور المكية عمومًا، وبشيء من التفصيل، أقول - وبالله تعالى التوفيق -: لقد بدت بعض الأمور في هذه السورة الكريمة وتجلَّت، ومن هذه الأمور التي وردت في هذه السورة الكريمة ما يلي:

* التذكير بوحداية الله عزَّ وجل وإقامة الأدلة والبراهين على ذلك وكذلك بيان قدرته عز وجل وواسع علمه وأن المهتدي من هداه الله، وأن الذي يكشف الضرَّ هو الله عزَّ وجل، وأن الذي بيده الخير هو الله عزَّ وجل، وذلك في عدة آيات من هذه السورة المباركة كقوله تعالى تذكيرًا بوحدايته: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [الأنعام: ١٩].

* وبيان اختصاصه سبحانه بمفتاح الغيب في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

* وبيان أن ما في السموات والأرض ملك له، كما في قوله: ﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢].

* وكقوله ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي آلِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣].

* وكقوله تعالى بياناً لقدرته: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥].

* وكقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

* وكقوله تعالى بياناً لواسع علمه: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

* وبيان استغنائه عن خلقه: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: ١٤].

* وبيان خلقه السموات والأرض، الظلمات والنور وجناتٍ معروشات وغير معروشات، وأنه أنزل من الأنعام ثمانية أزواج إلى غير ذلك مما ذكره الله عز وجل ممتناً به على خلقه.

وكما أسلفت بيان أن المهتدي من هداه الله، لقوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وكقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وكقوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

* وتذكير بنعم الله عز وجل يتلوه تذكيراً يتلوه تذكيراً، حتى إن من العلماء، من سماها سورة النعم، ومن ثم، ولأن الخالق هو الله والرازق هو الله وهو المحي والمميت والمعز والمذل والقادر، إلى غير ذلك مما وصف به نفسه، ووصفه به

رسوله ﷺ، فمن ثم فهو المستحق للعبادة لا يستحقها أحد سواه، والتذكير بذلك: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وكما قال: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٦].

وفي السورة أيضًا تذكير بالأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه فأكثر سورة انتظمت أسماء أنبياء ومرسلين هذه السورة على ما ذكره بعض العلماء، ثم بيان بعض ما حدث للمرسلين مع أمهم وحث على الصبر كما صبروا وحث على الاقتداء بهم.

* وكذا تذكير بالكتب التي أنزلها الله عليهم، وتعنت الكفار والمشركين مع المرسلين وطلبهم الآيات والمعجزات كقولهم: ﴿لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨].
* وبيان أن المعجزات لا تنفع من ختم الله على قلبه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَلَّمَهُمُ الْتَوْنِ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

وكما قال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِسْرَافٌ مِيقِينَ﴾ [الأنعام: ٧].

وكما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤].

والتحذير من الشقاق والعناد وبيان أن الذنوب والمعاصي والتمرد على أوامر الله عز وجل، وأوامر رسله عليهم صلوات الله وسلامه سبب لزوال النعم، وسبب للهلاك والدمار والعذاب قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنعام: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ

بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغِيَمٍ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٦٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ
وَسِعَتْ وَلَا يَرْدُ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٤٦ - ١٤٧].

وفي ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

وفي السورة الكريمة بيان لضلالات المشركين وجهلهم وشدة غباثتهم،
وأقيستهم الباطلة التي يردون بها قول الله عز وجل وقوله رسوله ﷺ.

وفي السورة الكريمة ما يذكر بأن عداوات المشركين للرسول مستمرة وقائمة.
قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا
وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

وكقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾
[الأنعام: ١١٢].

وفي السورة بيان لبعض الأحكام والتشريعات والأوامر والنواهي: كقوله
تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْسَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفُسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْسَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وكقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وكقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وتذكير بالصلاة والزكاة فضلاً عن سائر أركان الإيمان والإسلام.

قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[الأنعام: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وفي ثنايا السورة المباركة الكريمة إرشادٌ لنا في دنيانا في طرائق التعامل مع النفس، ومع الناس، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِإِنتِهَ، لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].
وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وكقوله تعالى في بيان من نجالسهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وتحذيرٌ من اتباع أهواء أهل الكفر قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٠].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].
وفي ثنايا السورة الكريمة بيان لحقارة الدنيا وتفاهتها حتى لا يتعلق بها متعلق، وحتى يشمر للأخرة المشمرون ويعمل لها العاملون.

قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

إلى غير ذلك مما تضمنته السورة المباركة الكريمة فالمقام لا يتسع لذكر ما حوته هذه السورة الكريمة.

ثم إنها ختمت بجميل الختام ختامٌ يحمل تذكيرًا بالمرجع والمآب، والثواب والعقاب ويحمل ترهيبًا وترغيبًا لعل عاصيًا أن ينزجر، وكافرًا يقلع عن كفره، وكذا لعل مستغفرًا أن يستغفر ومستدركًا أن يستدرك وكذلك حتى لا يقنط قانطٌ

من رحمة الله عز وجل فدائماً باب التوبة مفتوح.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وبالجملة فالسورة المباركة الكريمة انتظمت أصول الدين وفروعه انتظمت أركان الإسلام والإيمان والإحسان.

انتظمت أمور الدين والدنيا على السواء، وبين فيها الحلال والحرام.

وهكذا دائماً سور الكتاب العزيز سورٌ جامعة شاملة.

ألا فهلموا بارك الله فيكم إلى كتاب ربكم عز وجل ففيه الهدى والنور، وفيه الأمن والأمان وطمأنينة القلوب.

جعلنا الله من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته وفقهنا الله في الدين وعلمنا التأويل والحكمة وصلّ اللهم على نبينا محمد وسلم والحمد لله رب العالمين وإلى السورة المباركة.



﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُوتُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُوا بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفْرَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ؕ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ [الأنعام: ١ - ١٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿خَلَقَ﴾ - ﴿يَعْدِلُونَ﴾ - ﴿تَمَتُّونَ﴾ - ﴿تَكْسِبُونَ﴾ - ﴿ءَايَةً﴾ - ﴿مَذَرَارًا﴾ - ﴿قَرْنًا﴾ - ﴿قِرطَاسٍ﴾ - ﴿مُبِينٌ﴾ -
لَقَضَى الْأَمْرَ - لَا يَنْظُرُونَ - وَلَلْبَسْنَا - فَحَاقَ - لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿خَلَقَ﴾	أنشأ وأوجد
﴿يَعْدِلُونَ﴾	يساوون (يساوون الله سبحانه وتعالى بخلقه) يميلون (عن التوحيد إلى الشرك) - ينحرفون (عن عبادة الله إلى الشرك به).
﴿تَمَتُّونَ﴾	تجادلون - تشكُّون.
﴿تَكْسِبُونَ﴾	تعملون (من خير أو شر).
﴿ءَايَةً﴾	معجزة - حجة وعلامة ودلالة (على وحدانية الله عز وجل).
﴿مَذَرَارًا﴾	متواصلًا - شيئًا بعد شيء - غزيرًا دائمًا كثيرًا.
﴿قَرْنًا﴾	جيلًا، وقيل القرن مائة عام.
﴿قِرطَاسٍ﴾	كتاب - ورق - صحيفة - كل ما يكتب عليه.
﴿مُبِينٌ﴾	مظهر - موضح (لكهانة من قام به وتمكنه من السحر، كذا قالوا).
﴿لَقَضَى الْأَمْرَ﴾	لانتهد حياتهم وانقضت آجالهم.
﴿لَا يَنْظُرُونَ﴾	لا يمهلون - لا يؤخرون - لا يؤجلون.
﴿وَلَلْبَسْنَا﴾	خلطنا - شبَّهنا.

﴿فَحَاقَ﴾	حلّ - نزل.
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	لا شك فيه.



س: هل صح عن رسول الله ﷺ حديثٌ في أن سورة الأنعام شيعها عند نزولها سبعون ألف ملك؟

ج: وردت عن رسول الله ﷺ عدة أسانيد بذلك مفادها أن هذه السورة شيعها عند نزولها سبعون ألفاً من الملائكة قد سدوا الأفق لهم زجلاً بالتسبيح والتحميد.

إلا أن كل إسناد من هذه الأسانيد لا يخلو من ضعف بل وضعف شديد، وقد أوردها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ؟

ج: قال بعض العلماء: معناه الحمد الكامل لله عز وجل وحده لا شريك له؛ وذلك لأن الشخص قد يحمّد شخصاً على معروف صنعه معه لكن المحمود على كل الأحوال وفي كل الأوقات حمداً كاملاً دائماً هو الله وحده لا شريك له.

وقال بعض العلماء:

إن المعنى: قولوا الحمد لله.

وقال آخرون: إن المعنى: أخلصوا الحمد والشكر لله.

هذا، وقد قال الطبري في معنى ذلك:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، الحمد الكامل لله وحده لا شريك له

دون جميع الأنداد والآلهة، ودون ما سواه مما تعبد به كَفَرَة خلقه من الأوثان والأصنام.

وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر، يَنْحِي به نحو الأمر.

يقول: أخلصوا الحمد والشكر للذي خلقكم، أيها الناس، وخلق السموات والأرض، ولا تشركوا معه في ذلك أحدًا أو شيئًا، فإنه المستوجب عليكم الحمد بأياديه عندكم ونعمه عليكم، لا من تعبدونه من دونه، وتجعلونه له شريكًا من خلقه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بدأ سبحانه فاتحتها بالحمد على نفسه، وإثبات الألوهية؛ أي أن الحمد كله له فلا شريك له.

فإن قيل: فقد افتتح غيرها بالحمد لله فكان الاجتزاء بواحدة يغني عن سائرهم؛ فيقال: لأن لكل واحدة منه معنى في موضعه لا يؤدي عنه غيره من أجل عقده بالنعمة المختلفة، وأيضًا فلما فيه من الحجة في هذا الموضع على الذين هم بريهم يعدلون.



س: ما وجه الامتنان بخلق السموات وخلق الأرض؟

ج: وجه ذلك أن الله جعل السماء سقفاً محفوظاً، وجعل فيها من الآيات ما يدعو إلى التفكير والتدبر في وحدانية الله عز وجل فبذلك يستدل على وحدانيته ويُقرُّ له بذلك، ومن ثم يسلم لنا أمرنا وننجو من عذاب ربنا.

وكذلك خلق السموات وأنزل منها من الأرزاق ما أنزل، فبذلك أيضًا تصفو لنا حياتنا الدنيا.

وكذا في الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ومع ذلك يفضّل بعضها على بعض في الأكل، وكل ذلك، وغير ذلك يدعو إلى التفكير في وحدانية الله عز وجل والإقرار له بالوحدانية.

وكذلك جعلها لنا كفاتاً أحياء وأمواتاً.

وكذا أخرج منها من الكنوز ما أخرج، وكل ذلك نافع لنا ومفيد في دياننا، ونهتدي به للنافع في آخرنا إذا أراد الله لنا الهداية.

هذا وقد قال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير:

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] أخبر عن قدرته وعلمه وإرادته فقال: الذي خلق أي اخترع وأوجد وأنشأ وابتدع.

والخلق يكون بمعنى الاختراع، ويكون بمعنى التقدير، وقد تقدّم، وكلاهما مراد هنا؛ وذلك دليل على حدوثهما؛ فرفع السماء بغير عمد، وجعلها مستوية من غير أودٍ، وجعل فيها الشمس والقمر آيتين، وزينها بالنجوم، وأودعها السحاب والغيوم علامتين؛ وبسط الأرض وأودعها الأرزاق والنبات، وبث فيها من كل دابة آيات؛ وجعل فيها الجبال أوتاداً، وسبلاً فجاءاً، وأجرى فيها الأنهار والبحار، وفجر فيها العيون من الأحجار دلالات على وحدانيته، وعظيم قدرته، وأنه هو الله الواحد القهار، وبين بخلقه السموات والأرض أنه خالق كل شيء.



س: ما المراد بـ ﴿الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ﴾ [الأنعام: ١]؟

ج: قيل المراد بالظلمات ظلمات الليل.

والنور نور النهار.

وهذا قول جمهور المفسرين: نقله عنهم القرطبي وغيره، أي أن المراد سواد

الليل وضياء النهار .

وقيل ظلمات الكفر ونور الإيمان .

قال القرطبي: واللفظ يعمُّه .



س: ما معنى قوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ ؟

ج: المعنى، أنه أظلم ليلهما (أي جعل ليلهما مظلمًا) وأنار نهارهما (أي جعل نهارهما مبصرًا).



س: لماذا أفرد النور وجمعت الظلمات في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ ؟

ج: ذلك - والله أعلم - لأمر ذكرها العلماء:

أحدها: بيان فضل النور وشرفه، وهذا كقوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ [النحل: ٤٨] فأفرد اليمين وجمعت الشمائِل .

الثاني: لكون طريق الحق واحد، وطرائق الباطل متعددة وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الثالث: أنه ترك جمعه استغناءً بجمع الظلمة قبله فإنه يدل عليه، كما ترك جمع الأرض أيضًا استغناءً عنه بجمع السماء قبله في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١].

الرابع: أن الظلمة اسم، والنور مصدر والمصادر لا تجمع.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ؟

ج: المعنى، ثم الذين كفروا - بعد أن علموا أن الله خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور تفضلاً منه عليهم بعد ذلك يجعلون له شريكاً ويعدلون عن عبادته وحده لا شريك له فيعبدون معه غيره، وينصرفون عن توحيده إلى الشرك به.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره، معجّباً خلقه المؤمنين من كفره عباده، ومحتجاً على الكافرين: إن الإله الذي يجب عليكم، أيها الناس، حمده، هو الذي خلق السموات والأرض، الذي جعل منها معاشكم وأقواتكم، وأقوات أنعامكم التي بها حياتكم.

فمن السموات ينزل عليكم الغيث، وفيها تجري الشمس والقمر باعتقاب واختلاف لمصالحكم.

ومن الأرض ينبت الحب الذي به غذاؤكم، والثمار التي فيها ملاذكم، مع غير ذلك من الأمور التي فيها مصالحكم ومنافعكم بها، والذين يجحدون نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم، أيها الناس، ﴿بِرَبِّهِمْ﴾، الذي فعل ذلك وأحدثه، ﴿يَعْدِلُونَ﴾، يجعلون له شريكاً في عبادتهم إياه، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان، وليس منها شيء شرکه في خلق شيء من ذلك، ولا في إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم، بل هو المنفرد بذلك كله، وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره. فسبحان الله ما أبلغها من حجة، وأجزها من عظة، لمن فكّر فيها بعقل، وتدبّر بها بفهم!

قال القرطبي رحمه الله:

قال ابن عطية: ف «ثم» دالة على قبح فعل الكافرين؛ لأن المعنى: أن خلقه

السموات والأرض قد تقرّر، وآياته قد سطعت، وإنعامه بذلك قد تبين، ثم بعد ذلك كله عدلوا برّهم؛ فهذا كما تقول: يا فلان أعطيتك وأكرمتك وأحسنّت إليك ثم تشتمني. ولو وقع العطف بالواو في هذا ونحوه لم يلزم التوبيخ كلزومه بثمّ، والله أعلم.

وقال الشنقيطي - رحمه الله تعالى - في تفسيره «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَعْدِلُونَ﴾ وجهان للعلماء:

أحدهما: أنه من العدل عن الشيء بمعنى الانحراف والميل عنه، وعلى هذا فقوله: ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ متعلق بقوله ﴿كَفَرُوا﴾، وعليه فالمعنى: إن الذين كفروا برّهم يميلون وينحرفون عن طريق الحق إلى الكفر والضلال، وقيل على هذا الوجه: إن «الباء» بمعنى «عن» أي يعدلون عن ربهم، فلا يتوجهون إليه بطاعة، ولا إيمان.

والثاني: أن «الباء» متعلقة بيعدلون، ومعنى يعدلون يجعلون له نظيراً في العبادة من قول العرب: عدلت فلاناً بفلان إذا جعلته له نظيراً وعديلاً ومنه قول جرير:

أثعلبة الفوارس أم رياحاً عدلت بهم طهية والخشابا

يعني أ جعلت طهية والخشاب نظراء وأمثالا لبني ثعلبة، وبني رياح، وهذا الوجه الأخير يدل له القرآن، كقوله تعالى عن الكفار الذين عدلوا به غيره: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وأشار تعالى في آيات كثيرة إلى أن الكفار ساووا بين المخلوق والخالق - قبحهم الله تعالى - كقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا

تَذَكَّرُونَ ﴿ [النحل: ١٧]، وقوله: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ [الروم: ٢٨] الآية إلى غير ذلك من الآيات، وعدل الشيء في اللغة مثله، ونظيره.

قال بعض علماء العربية:

إذا كان من جنسه، فهو عدل - بكسر العين - وإذا كان من غير جنسه، فهو عدل - بفتح العين - ومن الأول قول مهلهل:

على أن ليس عدلاً من كليب إذا برزت مخبأة الخدور

على أن ليس عدلاً من كليب إذا اضطرب العضاه من الدبور

على أن ليس عدلاً من كليب غداة بلابل الأمر الكبير

يعني أن القتلى الذين قتلهم من بكر بن وائل بأخيه كليب الذي قتله جساس بن مرة البكري لا يكافئونه، ولا يعادلونه في الشرف.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥]، لأن المراد نظير الإطعام من الصيام، وليس من جنسه، وقوله: ﴿وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ عَدْلٍ﴾ [الأنعام: ٧٠]، وقوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] والعدل: الفداء، لأنه كأنه قيمة معادلة للمفدى تؤخذ بدله.



س: من الذين عناهم الله بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ طِينٍ﴾؟

ج: ذلك آدم عليه السلام، فهو الذي خلق من طين .

أما ذريته فخلقت من مني يمني، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾

فقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ أي: خلق أصلكم وأباكم آدم عليه السلام من طين.



س: ما المراد بالأجل، وما المراد بالأجل المسمى عنده؟

ج: قال بعض العلماء:

أما قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ هذا الأجل هو العمر الذي قضاه المرء في دنياه.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ هو مدة بقائه في قبره إلى أن يبعث.

وقيل ثم قضى أجلاً هو الحياة الدنيا، والأجل المسمى هو مدة الوقوف للحساب يوم القيامة.

وقيل المراد بالأجل الذي قضاه الله هو مدة استقرار الذرية في الصلب .

والمراد بالأجل المسمى الأجل الذي يعيشه الشخص في دنياه.

وأورد ابن الجوزي (في زاد المسير) ستة أقوال في تفسير الأجل والأجل

المسمى:

أحدها: أن الأجل الأول: أجل الحياة إلى الموت والأجل الثاني: أجل الموت

إلى البعث.

والثاني: أن الأجل الأول: النوم الذي تُقبَضُ فيه الروح، ثم ترجع في حال

اليقظة؛ والأجل المسمى عنده: أجل موت الإنسان.

والثالث: أن الأجل الأول: أجل الآخرة متى يأتي، والأجل الثاني: أجل الدنيا.

والرابع: أن الأول: خلق الأشياء في ستة أيام، والثاني: ما كان بعد ذلك

إلى يوم القيامة.

والخامس: أن الأول: قضاه حين أخذ الميثاق على خلقه، والثاني: الحياة في

الدنيا.

والسادس: أن الأول: أجل من قد مات من قبل، والثاني: أجل من يموت من بعد.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿تَمَتُّونَ﴾ ؟ ووضح يمترون في ماذا؟

ج: تقدم أن معنى تمترون تشكون (من الشك) فالمرية الشك، ويقال أيضًا تمترون تجادلون. المراء الجدل وقوله: ﴿تَمَتُّونَ﴾ أي: تشكون في البعث، وفي قدرة الله عليه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ثم أنتم تشكُّون في قدرة من قدر على خلق السموات والأرض، وإظلام الليل وإنارة النهار، وخلقكم من طين حتى صيركم بالهيئة التي أنتم بها، على إنشائه إياكم من بعد مماتكم وفنائكم، وإيجاده إياكم بعد عدمكم. و «المرية» في كلام العرب، هي الشك.



س: ما الفائدة من مخاطبة المشركين بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ ؟

ج: فائدة ذلك توبيخ أهل الشرك والتنديد بباطلهم فكيف تشكون في بعثكم وحسابكم والله هو الذي خلقكم من طين.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ ؟

ج: المعنى، والله أعلم، هو المعبود الذي يعبداه أهل السموات وأهل

الأرض، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] أي وهو الذي في السماء معبود، وفي الأرض معبود.

وقيل المعنى: هو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣] اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال، بعد الاتفاق على تخطئة قول الجهمية الأول القائلين بأنه - تعالى عن قولهم علواً كبيراً - في كل مكان، حيث حملوا الآية على ذلك، فالأصح من الأقوال: أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض، أي: يعبدونه ويوحده ويقرله بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله ويدعونه رغباً ورهباً، إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] أي: هو إله من في السماء وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ خبراً أو حالاً.

والقول الثاني: أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض: من سر وجهر، فيكون قوله: ﴿يَعْلَمُ﴾ متعلقاً بقوله: ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ تقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون.

والقول الثالث: أن قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ وقف تام، ثم استأنف الخبر فقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ وهذا اختيار ابن جرير وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ أي جميع أعمالكم خيرها وشرها.

وقال الشنقيطي - رحمه الله تعالى - في «أضواء البيان»:

واعلم أن ما يزعمه الجهمية «من أن الله تعالى في كل مكان» مستدلين بهذه الآية على أنه في الأرض ضلال مبين، وجهل بالله تعالى؛ لأن جميع الأمكنة

الموجودة أحقر وأصغر من أن يحل في شيء منها رب السموات والأرض الذي هو أعظم من كل شيء، وأعلى من كل شيء، محيط بكل شيء ولا يحيط به شيء، فالسموات والأرض في يده جل وعلا أصغر من حبة خردل في يد أحدنا، وله المثل الأعلى، فلو كانت حبة خردل في يد رجل فهل يمكن أن يقال: إنه حال فيها، أو في كل جزء من أجزائها.

لا وكلا، هي أصغر وأحقر من ذلك، فإذا علمت ذلك فاعلم أن رب السموات والأرض أكبر من كل شيء وأعظم من كل شيء «محيط بكل شيء» ولا يحيط به شيء، ولا يكون فوقه شيء ﴿لَا يَغْزِبُهُ عَنْهُ مُثْقَلُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]، سبحانه وتعالى علواً كبيراً لا نحصي ثناء عليه، وهو كما أثنى على نفسه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ ﴿عِلْمًا ١١٠﴾ [طه: ١١٠].



س: الذي يعلم السر يعلم الجهر، فلماذا ذكر الجهر في قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم، إن الجهر ذكر على سبيل المقابلة كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣] على أحد الوجوه في تفسيرها. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا﴾ [الأنعام: ٤]؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن هؤلاء الكفار لم ينتفعوا بالآيات والمعجزات التي

أتاهم بها الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه بل ازدادوا تكذيباً وعناداً، فلما رأوا القمر منشقاً أعرضوا وقالوا: هذا سحر مستمر، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْنَكُم زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥].

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٢٥﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥].

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: وما تأتي هؤلاء الكفار الذين بربرهم يعدلون أوثانهم وآلهتهم، ﴿ءَايَةً مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ﴾، يقول: حجة وعلامة ودلالة من حُجج ربهم ودلالاته وأعلامه على وحدانيته، وحقيقة نبوتك، يا محمد، وصدق ما أتيتهم به من عندي، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ يقول: إلا أعرضوا عنها، يعني عن الآية، فصدّوا عن قبُولها، والإقرار بما شهدت على حقيقته ودلّت على صحته، جهلاً منهم بالله، واغتراراً بحلمه عنهم.



س: ما المراد بالحق الذي كذب به هؤلاء المعرضون؟

ج: قيل هذا الحق هو محمد ﷺ، وقيل هذا الحق هو القرآن الذي نزل على النبي ﷺ وبين هذين القولين تلازم، فالمكذب بمحمد ﷺ يعدّ مكذباً للقرآن. هذا، وقد قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فقد كذب هؤلاء العادلون بالله، الحقّ لما جاءهم، وذلك «الحق»، هو محمد ﷺ: كذبوا به، وجحدوا نبوّته لما جاءهم.



س: الآيات والمعجزات لا تنشيء إيماناً لمن ختم الله على قلبه دلل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا﴾ [الأنعام: ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَلَكِ كَةً وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة:

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾:

يقول تعالى مخبراً عن المشركين المكذبين المعاندين: أنهم مهما أتتهم ﴿مِّنْ آيَةٍ﴾، أي: دلالة ومعجزة وحجة من الدلالات على وحدانية الله، وصدق رسله الكرام، فإنهم يعرضون عنها، فلا ينظرون فيها ولا يبالون بها.



س: ما المستفاد من إخبارنا بأن أهل الكفر لا ينتفعون بالآيات؟

ج: من المستفاد من ذلك طمأنينة قلوبنا وعلمنا بأن أمر الهداية موكول إلى الله عز وجل.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاؤُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، سيأتي هؤلاء الكفار، ويتحقق لهم ما وعدناهم به من العذاب الذي كانوا يستهزئون به.

قال الطبري رحمه الله:

قال الله لهم متوعداً على تكذيبهم إياه وجحودهم نبوته: سوف يأتي المكذبين بك، يا محمد، من قومك وغيرهم، ﴿أَنْبَاؤُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾؟، يقول: سوف يأتيهم أخبارٌ استهزأهم بها كانوا به يستهزئون من آياتي وأدلتي التي آتيتهم. ثم وفي لهم بوعيده لما تبادوا في غيهم، وعتوا على ربهم، فقتلتهم يوم بدر بالسيف.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاؤُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ٥] وهذا تهديد لهم، ووعد شديد على تكذيبهم بالحق: بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب، وليجدن غيبه وليذوقن وباله.



س: هل أتاهم أنباء ما كانوا به يستهزئون؟

ج: نعم قد أتاهم فمن مات منهم أتاه ما كان به يستهزأ من سؤال الملكين في القبر وغير ذلك كنزول ملائكة العذاب عليه عند الاحتضار.

ومنهم من أتاه يوم بدرٍ حتفه، وما كان به يستهزئ وقد أصاب الله القرشيين بسنواتٍ عجاف، كان فيها قحط، وكانت فيه شدةٌ شديدة حتى رأوا الدخان في السماء من شدة الجوع.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَكَنتَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ أَلْفَ مِائَةٍ﴾؟

ج: قيل في معناها أعطيناهم من الدنيا ما لم نعطيكم، وقيل قويناهم وكانوا أكثر منكم جمعًا وأشد قوة .
قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتي، الجاحدون نبوتك، كثرة من أهلك من قبلهم من القرون - وهم الأمم - الذين وطأت لهم البلاد والأرض توطئة لم أوطئها لكم، وأعطيتهم فيها ما لم أعطيكم؟
وقال أيضًا:

أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها، وأعطتهم الأرض ريع نباتها، وجابوا صخور جبالها، ودرت عليهم السماء بأمطارها، وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذني، فغمطوا نعمة ربهم، وعصوا رسول خالقهم، وخالفوا أمر بارئهم، وبغوا حتى حَقَّ عليهم قَوْلِي، فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم، وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم، وأهلكت بعضهم بالرَّجفة، وبعضهم بالصيحة، وغير ذلك من أنواع العذاب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

قال تعالى واعظًا ومحذرًا لهم: أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة، الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعًا، وأكثر أموالًا وأولادًا، واستغلالاً للأرض وعمارة لها، فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ أَلْفَ مِائَةٍ﴾ أي: من الأموال والأولاد، والأعمار والجاه العريض، والسعة والجنود، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ أي: شيئًا بعد شيء ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ أي: أكثرنا عليهم

أمطار السماء وينابيع الأرض، أي: استدراجًا وإملاء لهم.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾؟

ج: المراد - والله أعلم - وأرسلنا المطر من السماء.



س: كثيرًا ما تهلك الأمم ويهلك الأفراد بسبب الذنوب، وكذا تحل عليهم البلايا والنقم بسبب الذنوب، دَلِّلْ على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَاهْلَكْنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ثَقِيرًا ۝٨﴾ [الطلاق: ٨ - ٩].

وقوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ [الفجر: ١٠ - ١٣].

وقوله تعالى: ﴿فَاعْرِضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْثَلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَمَشَىٰ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ۝١٧﴾ [سبأ: ١٦ - ١٧] إلى غير ذلك من الآيات.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَاهْلَكْنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: بخطاياهم وسيئاتهم التي اجترموها ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ

بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿١٠﴾ أي: فذهب الأولون كأمس الذاهب، وجعلناهم أحاديث ﴿وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ ﴿١١﴾ أي: جيلاً آخر؛ لنختبرهم، فعملوا مثل أعمالهم، فهلكوا كهلاكهم، فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فما أنتم بأعز على الله منهم، والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسولهم، فأنتم أولى بالعذاب ومعالجة العقوبة منهم لولا لطفه وإحسانه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرَاطٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ؟

ج: المعنى - والله أعلم - إن الآيات والمعجزات لا تُنشئ إيماناً عند من أراد الله له الغواية، فهؤلاء الكفار المعرضون الذين طلبوا أن تنزل على كل منهم صحف منشرة تأمره بأمر الله وتنهاه عما أراد الله أن ينتهي عنه، أراد كل واحد منهم ذلك لنفسه بخصوصه، كما قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢] هؤلاء مهما جاءتهم الآيات فلن يؤمنوا، ولو نزلنا عليك كتاباً من السماء مُدلى بحبل من السماء، وموجود بين السماء والأرض فأتى هؤلاء القوم ولمسوه بأيديهم وتأكدوا من كونه كتابٌ مُنزلٌ من عند الله، لجادلوا في ذلك أيضاً، وما استجابوا لذلك، بل لو صفوا ذلك بأنه سحرٌ مبين، وهذا دوماً شأنهم، كما وصفهم الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ﴿١٢﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٣﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥]. وكما قال تعالى: ﴿وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤].

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله تعالى:

وهذا إخبار من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ، عن هؤلاء القوم الذين يعدلون بربهم الأوثان والآلهة والأصنام.

يقول تعالى ذكره: وكيف يتفقهمون الآيات، أم كيف يستدلون على بطلان ما هم عليه مُقِيمُونَ من الكفر بالله ووجود نبوتك، بحجج الله وآياته وأدلتها، وهم لعنادهم الحقَّ وبعدهم من الرشد، لو أنزلت عليك يا محمد، الوحي الذي أنزلته عليك مع رسولي، في قرطاس يعاينونه ويمسونه بأيديهم، وينظرون إليه ويقرأونه منه، معلقًا بين السماء والأرض، بحقيقة ما تدعوهم إليه، وصحة ما تأتيهم به من توحيدي وتنزيلي، لقال الذين يعدلون بي غيري فيشركون في توحيدي سواي: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، أي: ما هذا الذي جئنا به إلا سحر سحرت به أعيننا، ليست له حقيقة ولا صحة، ﴿مُبِينٌ﴾، يقول: مبين لمن تدبره وتأمله أنه سحر لا حقيقة له.



س: ما وجه قوله تعالى: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم، لتأكيد رؤيتهم له ومعاينتهم له، فلم يقف الأمر على رؤية العين، بل تأكدوا من ذلك بلمسهم له، هذا، وقد قال بعض العلماء: إن مراتب العلم ثلاثة، علم اليقين - عين اليقين - حق اليقين، وعلم اليقين مثلاً أن تعلم أن هناك كعبة مثلاً، وعين اليقين أن تراها بعينيك، وحق اليقين أن تدخل الكعبة وتلمسها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي عاينوه ورأوا نزوله وباشروا ذلك^(١).

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي فعاينوا ذلك ومسوه باليد وبالغوا في مِيزه وتقليبه جساً

(١) أي: مسوه بالبرسة، أي: لمسوه.

بأيديهم ليرتفع كل أرتياب ويزول عنهم كل إشكال.

وقال أبو المظفر السمعاني في تفسيره:

﴿فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ لَمْ يَقُلْ: فَرَأَوْهُ بِأَعْيُنِهِمْ؟ قِيلَ: لِأَنَّ اللَّمَسَ أَبْلَغُ فِي إِيقَاعِ الْعِلْمِ مِنَ الرَّؤْيَةِ؛ لِأَنَّ السَّحَرَ يَجْرِي عَلَى الْمَرْتِي، وَلَا يَجْرِي عَلَى الْمَلْمُوسِ؛ لِأَنَّ الْمَلْمُوسَ يَصِيرُ مَرْتِيًّا، وَالْمَرْتِي لَا يَصِيرُ مَلْمُوسًا؛ فَذَكَرَ اللَّمَسَ لِيَكُونَ أَبْلَغُ.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكَ لَقَضَى الْأَمْرَ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن هؤلاء الكفار طلبوا من رسول الله ﷺ أن يأتي معه بمَلَكٍ من السماء يؤازره في دعوته ويصدقّه ويطلب من الكفار أن يؤمنوا به ويتابعوه، ويكون معه نذيرًا.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

ولو أجبناهم إلى طلبهم وأعطيناهم ما سألوا وأنزلنا الملك كما أرادوا فكذبوا به لجاءهم العذاب ولم يمهلوا ولم يؤخروا، ولم يكن هناك ثم مجال - إذا كذبوا - للإمهال والتأخير والإنظار، بل لنزل عليهم العذاب فورًا كما قال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ [الحجر: ٨] وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المكذبون بآياتي، العادلون بي الأنداد والآلهة، يا محمد، إنك لو دعوتهم إلى توحيدى والإقرار بربوبيتى، وإذا أتيتهم من الآيات

والعبر بما أتيتهم به، واحتججت عليهم بما احتججت عليهم مما قطعت به عذرهم: هَلَّا نُزِّلَ عَلَيْكَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ فِي صَوْرَتِهِ، يَصَدِّقُكَ عَلَى مَا جِئْنَا بِهِ، وَيَشْهَدُ لَكَ بِحَقِيقَةِ مَا تَدَّعِي مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا! كما قال تعالى ذكره مخبراً عن المشركين في قيلهم لنبي الله ﷺ: ﴿وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُودُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]، ﴿وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨]، يقول: ولو أنزلنا ملكاً على ما سألوا، ثم كفروا ولم يؤمنوا بي وبرسولي، لجاءهم العذاب عاجلاً غير آجل، ولم يُنظروا فيؤخروا بالعقوبة مراجعة التوبة، كما فعلت بمن قبلهم من الأمم التي سألت الآيات، ثم كفرت بعد مجيئها، من تعجيل النعمة، وترك الإنظار.



س: ما هذا الأمر الذي قضى، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾؟
 ج: الذي يبدو أن هذا الأمر هو أمر دعوتهم وأمر إيمانهم وأمر إمهالهم وأمر عنادهم، وأمر عذابهم أي ما يتعلق بهم من الأمور عموماً، وذلك بإنزال العذاب عليهم.

قال الشنقيطي - رحمه الله تعالى -:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ يعني: أنه لو نزل عليهم الملائكة وهم على ما هم من الكفر والمعاصي. لجاءهم من الله العذاب غير إمهال ولا إنظار.

لأنه حكم بأن الملائكة لا تنزل عليهم إلا بذلك، كما بينه تعالى بقوله: ﴿مَا نُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ [الحجر: ٨].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢].



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَكِيلًا﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، ولو قدرنا أن ننزل إلى هؤلاء المشركين ملكًا من الملائكة ل جاءهم هذا الملك في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة على الحال التي خلق الله الملائكة عليها، فإذا كان الأمر بهذه المثابة، ونزل الملك في صورة رجل لازداد الأمر التباسًا واشتباهاً ففريق سيقول إنه ملك، وفريق آخر سيقول ليس بملك بل هو بشر.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء العادلين بي، القائلين: لولا أنزل على محمد ملك بتصديقه - ملكًا ينزل عليهم من السماء، يشهد بتصديق محمد ﷺ، ويأمرهم باتباعه، ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾، يقول: لجعلناه في صورة رجل من البشر، لأنهم لا يقدر أن يروا الملك في صورته.

يقول: وإذا كان ذلك كذلك، فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكًا أو بشرًا، إذ كنت إذا أنزلت عليهم ملكًا إنما أنزله بصورة إنسي، وحججي في كلتا الحالتين عليهم ثابتة: بأنك صادق، وأن ما جئتكم به حق.

وقال أيضًا:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾: ولو أنزلنا ملكًا من السماء مصدقًا لك، يا محمد، شاهدًا لك عند هؤلاء العادلين بي، الجاحدين آياتك على حقيقة نبوتك، فجعلناه في صورة رجل من بني آدم، إذ كانوا لا يطيقون رؤية الملك بصورته التي خلقته بها، التبس عليهم أمره، فلم يدروا أملك هو أم إنسي! فلم يوقنوا به أنه ملك، ولم يصدقوا به، وقالوا: «ليس هذا ملكًا!» وللبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك، وصحة برهانك وشاهدك على نبوتك.

وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾ أي: لو أنزلنا مع الرسول البشري ملكًا، أي: لو بعثنا إلى البشر رسولًا ملكيًا لكان على هيئة الرجل؛ لتفهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر، كما يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]، فمن رحمته تعالى بخلقه: أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلاً منهم؛ ليدعوا بعضهم بعضًا؛ وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ أي لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته إلا بعد التجسم بالأجسام الكثيفة؛ لأن كل جنس يأنس بجنسه وينفر من غير جنسه؛ فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكًا لنفروا من مقاربتة، ولما أنسوا به، ولداخلهم من الرعب من كلامه والافتقار له ما يكفهم عن كلامه، ويمنعهم عن سؤاله، فلا تعم المصلحة؛ ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به وليسكنوا إليه لقالوا: لست ملكًا وإنما أنت بشر فلا تؤمن بك وعادوا إلى مثل حالهم.

وكانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة البشر فأتوا إبراهيم ولوطًا في صورة الآدميين، وأتى جبريل النبي عليهما الصلاة والسلام في صورة دحية الكلبي. أي لو أنزل ملك لرأوه في صورة رجل كما جرت عادة الأنبياء، ولو نزل على عادته لم

يروه؛ فإذا جعلناه رجلاً التبس عليهم فكانوا يقولون: هذا ساحر مثلك.

وقال الزجاج: المعنى: ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على رؤسائهم كما يلبسون على ضعفهم، وكانوا يقولون لهم: إنما محمد بشر وليس بينه وبينكم فرق، فيلبسون عليهم بهذا ويشككونهم؛ فأعلمهم الله عز وجل أنه لو أنزل ملكاً في صورة رجل لوجدوا سبيلاً إلى اللبس كما يفعلون.

واللبس الخلط؛ يقال: لبست عليه الأمر ألْبِسَهُ لَبْسًا أي خَلَطْتَهُ؛ وأصله التستر بالثوب ونحوه. وقال: «لَبْسُنَا» بالإضافة إلى نفسه على جهة الخلق، وقال: ﴿مَكَائِلِيسُونَ﴾ فأضاف إليهم على جهة الاكتساب. ثم قال مؤنساً لنبيه عليه الصلاة والسلام ومُعْزِّيًّا.



س: ما المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْهَزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية؟

ج: في هذا تسلية لرسول الله ﷺ وتصبيرٌ له ووعدٌ له وللمؤمنين بالنصر وبالانتقام من المستهزئين، وذلك بتذكيره بما أصاب إخوانه المرسلين من قبله، فيقال له: إن كنت قد أوذيت فقد أُوذِيَ إخوانك من المرسلين فمن ثم فاصبر كما صبروا، واثبت كتاباتهم ففيه إذن حثٌّ على الصبر والثبات. كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أَوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وكذلك فيه بيانٌ لعواقب الظالمين، وذلك من قوله تعالى فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون أي أن هؤلاء المكذبين لك الساعين منك سينزل بهم ويحل بهم أيضًا جزاءُ تكذيبهم وعنادهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مسلِّيًا عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما

يلقى منهم من أذى الاستهزاء به، والاستخفاف في ذات الله: هوّن عليك، يا محمد، ما أنت لاقٍ من هؤلاء المستهزئين بك، المستخفّين بحقك فيّ وفي طاعتي، وامنض لما أمرتك به من الدُّعاء إلى توحيدى والإقرار بي والإذعان لطاعتي، فإنهم إن تمادوا في غيهم، وأصروا على المقام على كفرهم، نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم، من تعجيل النعمة لهم، وحلول المثلث بهم. فقد استهزأت أمم من قبلك برسلي أرسلتهم إليهم بمثل الذي أرسلتك به إلى قومك، وفعلوا مثل ما فعل قومك بك.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ؟

ج: قيل: المعنى فنزل بالكفار المكذبين العذاب الذي كانوا ينكرونه ويستهزئون به وبمن أخبرهم به هذا وجهٌ.

ووجه آخر فنزل بالكفار المكذبين المستهزئين جزاء استهزائهم وسخريتهم بالمرسلين.

قال الطبري رحمه الله:

﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يعني بقوله: «فحاق»، فنزل وأحاط بالذين هزئوا من رسلهم، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، يقول: العذاب الذي كانوا يهزأون به، وينكرون أن يكون واقعاً بهم على ما أنذرتهم رسلهم.

يقال منه: «حاق بهم هذا الأمر يحقُّ بهم حيقاً وحيقاً وحيقاً».



س: اذكر بعض الآيات الدالة على استهزاء الكفار بالمرسلين؟ مع بيان بعض صور هذا الاستهزاء؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالى في شأن نوح عليه السلام مع قومه ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّى أَنْهَبْنَا نَصْرًا﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

هذا، ومن صور الاستهزاء ما أورده الشنقيطي حيث قال:

فمن استهزائهم بنوح قولهم له: «بعد أن كنت نبياً صرت نجاراً»، وقد قال الله تعالى عن نوح: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]، وذكر ما حاق بهم بقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤] وأمثالها من الآيات.

ومن استهزائهم يهود ما ذكره الله عنهم من قولهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤]، وقوله عنهم أيضاً: ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ﴾ [هود: ٥٣]. وذكر ما حاق بهم من العذاب في قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، وأمثالها من الآيات.

ومن استهزائهم بصلح، قولهم فيما ذكر الله عنهم: ﴿يَصْلِحُ أَثْنَانَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧] وقولهم: ﴿يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: ٦٢]، وذكر ما حاق بهم بقوله: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِIRِهِمْ جِثِيمًا﴾ [هود: ٦٧] ونحوها من الآيات.

ومن استهزأهم بلوط قولهم فيما حكى الله عنهم: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل: ٥٦].

وقولهم له أيضًا: ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧]، وذكر ما حاق بهم بقوله: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤] ونحوها من الآيات.

ومن استهزأهم بشعيب قولهم فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالُوا يَنْشَعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، وذكر ما حاق بهم بقوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩] ونحوها من الآيات.



س: قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ خطابٌ موجهٌ لمن؟

ج: هذا يحتمل أن يكون موجهًا للكفار المعرضين عن طريق الله عز وجل المكذبين للرسول، فيقال لهم: يا هؤلاء يا من كذبتُم رسلي وكفرتم بآياتي وحججي، انظروا في سير من كانوا قبلكم الذين سلكوا مسلككم، وانظروا ما حلَّ بهم وما نزل بسبب تكذيبهم فلعل هذا يمنعكم مما أنتم فيه من الكفر، ويزجركم عما أنتم فيه من الطغيان.

ويحتمل أن يكون موجهًا للمؤمنين، فيقال لهم: يا أهل الإيمان اصبروا على أذى من آذاكم وتكذيب من كذبكم وانتظروا به وتربصوا فسيحل به ما حلَّ بالأمم المكذبة من قبله.

ففيها - على هذا الوجه تصبيرٌ لأهل الإيمان وتثبيت لهم. وتبشير بالفرج والنصر والانتقام من أهل الظلم والعناد والله أعلم.



س: كيف كان عاقبة المكذبين؟

ج: كانت عاقبتهم أن دمرهم الله عز وجل وأهلكهم - على اختلاف في صور التدمير والإهلاك - فمنهم من خُسفت به الأرض ومنهم من أغرقه الله، ومنهم من أرسل الله عليه حاصبًا، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أخذته الرجفة، إلى غير ذلك من صور الإهلاك والدمار.

قال السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن):

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام:

١١] أي: فإن شككتهم في ذلك، أو ارتبتم، فسيروا في الأرض، ثم انظروا، كيف كان عاقبة المكذبين، فلن تجدوا إلا قومًا مهلكين، وأما في المثلاث تالفين.

قد أوحشت منهم المنازل، وعدم من تلك الربوع كل متمتع بالسرور نازل.

أبادهم الملك الجبار، وكان نبأهم عبرة لأولي الأبصار.

وهذا السير المأمور به، سير القلوب والأبدان، الذي يتولد منه الاعتبار.

وأما مجرد النظر من غير اعتبار، فإن ذلك لا يفيد شيئًا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿قُلْ﴾، يا محمد - لهؤلاء العادلين بي الأوثان والأنداد،

المكذبين بك، الجاحدين حقيقة ما جئتهم به من عندي - ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾،

يقول: جولوا في بلاد المكذبين رسلهم، الجاحدين آياتي من قبلهم من ضربائهم

وأشكالهم من الناس، ﴿ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾، يقول: ثم

انظروا كيف أعقبهم تكذيبهم ذلك، الهلاك والعطب وخزي الدنيا وعارها، وما

حلَّ بهم من سخط الله عليهم، من البوار وخراب الديار وعفو الآثار. فاعتبروا

به، إن لم تنهكم حُلومكم، ولم تزجركم حجج الله عليكم، عما أنتم عليه مقيمون

من التكذيب، فاحذروا مثل مصارعهم، واتقوا أن يحل بكم مثل الذي حل بهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾؟

ج: هذا، والله تعالى أعلم استفهام يحمل معنى التوبيخ للكفار المشركين الذين اتخذوا مع الله إلهًا آخر، فقل: قل (يا رسول الله) لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلهًا آخر، قل لهم لمن ما في السموات والأرض؟ فيسقرون أن ذلك لله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَن الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤ - ٨٥)، فسواء قالوا ذلك أم لم يقولوه فقل أنت مُظهرًا دينك، وموضحًا أمرك (الله) أي أن ما في السموات وما في الأرض ملكه الله، هو مالكة وهو المتصرف فيه بما يشاء، فإذا كان ذلك كذلك فكيف تجعلون مع الله إلهًا آخر.

ثم أخبر هؤلاء المشركين بأن الله عز وجل كتب على نفسه الرحمة فإذا سألوكم لماذا لم يعاجلهم الله - بالعقوبة - وهم يعبدون معه غيره ويشركون به؟ فقل لهم إن ربكم عز وجل كتب على نفسه الرحمة وفتح لكم أبوابها ولم يعاجلكم بالعقوبات، بل رحمته وسعت كل شيء فتوبوا إلى الله، وارجعوا إليه، فإذا أعرضتم عن طاعته، وترك عقوبتكم في الدنيا فالإلى الله المرجع والمآب وسيجمعكم يوم القيامة ويحاسب كل نفس على ما قدمت من خير أو شر في دنياها وهناك سيجازي أهل الشرك الذين ظلموا أنفسهم وجلبوا لأنفسهم العذاب بشركهم بالله، أسوأ الجزاء وذلك لتماذيرهم في الكفر ولعنادهم ولعدم إيمانهم حتى الممات.

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، لهؤلاء العادلين برهم، ﴿لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يقول: لمن ملك ما في السموات والأرض؟ ثم أخبرهم أن ذلك لله الذي استعبد كل شيء، وقهر كل شيء بملكه وسلطانه، لا

للأوثان والأنداد، ولا لما يعبدونه ويتخذونه إلهًا من الأصنام التي لا تملك لأنفسها نفعًا ولا تدفع عنها ضرًا.

وقوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]، يقول: قضى أنه بعباده رحيم، لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة.

وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة، يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء العادلين بي، الجاحدين نبوتك، يا محمد، إن تابوا وأنا بوقبلت توبتهم، وإني قد قضيت في خلقي أن رحمتي وسعت كل شيء.



س: اذكر بعض الأحاديث في معنى قوله تعالى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وبعض الأحاديث الدالة على سعة رحمة الله عز وجل؟

ج: من ذلك ما يلي:

حديث أبي هريرة^(١) رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه - فهو عنده فوق العرش - إن رحمتي غلبت غضبي».

وفي بعض الروايات «سبقت رحمتي غضبي»^(٢).

وقول رسول الله ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»^(٣).

وقول رسول الله ﷺ^(٤): «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة

(١) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) مسلم (في طرق الحديث السابق).

(٣) مسلم (حديث ٢٧٥٥).

(٤) البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢) واللفظ له.

وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه).

وحديث سلمان^(١) الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله مائة رحمة فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة».

وفي الصحيحين^(٢) من حديث عمر رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟» قلنا: لا والله! وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها».



س: ما موقع اللام في قوله تعالى ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾؟

ج: قال ابن كثير رحمه الله:

هذه اللام هي: الموطئة للقسم.

وقال القرطبي رحمه الله: اللام لام القسم والنون للتوكيد.



(١) مسلم (حديث ٢٧٥٣).

(٢) البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣) قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْنَدُ
وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّي أَخَافُ
إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦) وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ
لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ
عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ لَأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَسْهَدُونَ أَتَى
اللَّهُ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)
الَّذِينَ اتَّيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا
يُقْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ
الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا
مُشْرِكِينَ (٢٣) أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٢٤)
وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ

هَذَا إِلَّا أَسْطِيطُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَٰ نَارُهَا نَارُهَا وَلَا تَكْذِبُ
بِتَايَتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رَدُّوا
لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَٰ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ
وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ
اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ
يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ
لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِتَايَتِ اللَّهِ
يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ
أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾
وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا
فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِتَايَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ [الأنعام: ١٣ - ٣٥].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿سَكَنَ - وَلِيًّا - فَاطِرٌ - يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ - أَسْلَمَ - يَوْمَئِذٍ - خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ - أَفْتَرَى - نَحْشُرُهُمْ - نَزْعُمُونَ - فِتْنَتُهُمْ - مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ - وَضَلَّ عَنْهُمْ - يَفْتَرُونَ - أَكِنَّةٌ - يَفْقَهُوهُ - وَقَرَأَ - آيَةً - اسْتَطِيرَ - الْأَوَّلِينَ - وَيَنْتَوِي عَنْهُ - بَدَأَهُمْ - إِنْ هِيَ - بَغْتَةً - يَخَسِرَنَّا - فَرَطْنَا فِيهَا - أَوْزَارَهُمْ - الْأَسَاءَ - يَزِرُونَ - يَجْحَدُونَ - وَلَا مُبْدِلَ - لِكَلِمَتِ اللَّهِ - نَبَأَى - كَبُرَ - إِعْرَاضُهُمْ - تَبَلَّغَى - فَقَقَا - سَلَمًا - فَتَاتَتْهُمْ بَنَائِيَّةٌ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿سَكَنَ﴾	استقر.
﴿وَلِيًّا﴾	ناصرًا - مُعينًا.
﴿فَاطِرٌ﴾	خالق على غير مثالٍ سابق - مبتدئ الخلق على غير مثالٍ سابق.
﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾	يرزق ولا يُرزق.
﴿أَسْلَمَ﴾	انقاد (خضع) - استسلم - اعتنق الإسلام دينًا.
﴿يَوْمَئِذٍ﴾	يوم القيامة.
﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾	أهلكوها بالذنوب والمعاصي وتسببوا لها في دخول النار.
﴿أَفْتَرَى﴾	اختلق - كذب.
﴿نَحْشُرُهُمْ﴾	نجمعهم - نبعثهم.
﴿نَزْعُمُونَ﴾	تفترون.
﴿فِتْنَتُهُمْ﴾	حجتهم - قولهم - معذرتهم - جوابهم.
﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾	ما جعلنا لله شريكًا، وما دعونا أحدًا من دون الله.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾	غاب عنهم - فارقهم - هرب منهم.
﴿يَفْتَرُونَ﴾	يكذبون (بإدعاء الشريك لله) - يشركون.
﴿أَكِنَّةٌ﴾	أغطية - جمع كنان وهو الغطاء - الغلاف.
﴿يَفْقَهُوهُ﴾	يفهموه.
﴿وَفَرًّا﴾	صمًا - ثقلاً في الآذان.
﴿ءَايَةٍ﴾	معجزة - حجة.
﴿أَسْطِيرٌ﴾	قصص وخرافات وحكايات.
﴿الْأَوَّلِينَ﴾	القرون المتقدمة.
﴿وَيَتَنَوَّنَ عَنْهُ﴾	يبتعدون عنه.
﴿بَدَاهُمُ﴾	ظهر لهم - تبين لهم.
﴿إِنْ هِيَ﴾	ما هي.
﴿بَعْتَهُ﴾	فجأة.
﴿يَحْضَرُنَا﴾	يا ندمننا.
﴿فَرَطْنَا فِيهَا﴾	قصرنا في العمل لها - ضيعنا.
﴿أَوَّارَهُمْ﴾	آثامهم - ذنوبهم - أحماهم من الذنوب.
﴿الْأَسَاءَ﴾	ما أسوأ.
﴿يَرْزُونَ﴾	يحملون.
﴿يَجْحَدُونَ﴾	ينكرون.
﴿وَلَا مُبْدَلٍ﴾	لا مغير - لا مانع يمنعها من التحقق والوقوع.
﴿لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾	آيات الكتاب العزيز (المتعلقة بالوعد بالنصر) - الكلمات التي تكلم بها وقضى بها الأمور قبل أن تخلق.

﴿نَبَأِي﴾	خبر.
﴿كَبَّرَ﴾	عَظُمَ - شَقِيَ.
﴿إِعْرَاضَهُمْ﴾	نفورهم - انصرافهم.
﴿تَبَنَّى﴾	تطلب - تلتمس - تجدد.
﴿نَفَقًا﴾	سِرْبًا.
﴿سُلَمًا﴾	مصعدًا.
﴿فَتَاتِبَهُم بِتَابِهِ﴾	تأتيهم بمعجزة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾؟

ج: لذلك والله أعلم تعلق بما قبله، فكأن المعنى: قل لهؤلاء المشركين كيف تكفرون بالله وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم؟!
أما قوله تعالى: ﴿سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ فمعلوم أن كل شيء في الأرض له سكن، أم أنه يسكن - أي: يهدأ - ليلاً أو يسكن نهاراً، فلأن كل شيء يسكن فكل شيء ملك له.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: لا يؤمن هؤلاء العادلون بالله الأوثان فيخلصوا له التوحيد، ويفردوا له الطاعة، ويقرؤوا بالألوهية، جهلاً، ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، يقول: وله ملك كل شيء، لأنه لا شيء من خلق الله إلا وهو ساكن في الليل والنهار.

فمعلوم بذلك أن معناه ما وصفنا، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾، يقول: وهو السميع ما يقول هؤلاء المشركون فيه، من ادّعائهم له شريكًا، وما يقول غيرهم من خلقه، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يضمرونه في أنفسهم وما يظهرونه بجوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، فهو يحصيه عليهم. ليوقي كل إنسان ثواب ما اكتسب، وجزاء ما عمل.



س: لماذا خُصَّ السكون بالذكر دون الحركة في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾؟

ج: أجاب على ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» بقوله:

فإن قيل: لم خص السكون بالذكر دون الحركة؟ فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن السكون أعم وجودًا من الحركة.

والثاني: أن كل متحرك قد يسكن، وليس كل ساكن يتحرك.

والثالث: أن في الآية إضمارًا؛ والمعنى: وله ما سكن وتحرك؛ كقوله تعالى:

﴿تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أراد: والبرد؛ فاختصر.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَخِيذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم قل (يا رسول الله) هؤلاء المشركين الجاحدين: كيف أخذ وليًّا يتولاني وناصرًا ينصرني، وربي خالق السموات والأرض على غير مثال سابق وهو الذي يرزق ولا يرزق، فكيف أخذ وليًّا غيره؟!

وقال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد،

لهؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام، والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك، الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان: أشيئاً غير الله تعالى ذكره: ﴿أَتَأْخُذُ وَلِيًّا﴾ أستنصره وأستعينه على النوائب والحوادث.

قال أيضًا: ويعني بقوله: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبتدعها ومبتدؤها وخالقهما.

وقال كذلك: وأما قوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُّطْعَمُ﴾ فإنه يعني وهو يرزق خلقه ولا يرزق.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قال تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ، الذي بعثه بالتوحيد العظيم وبالشرع القويم، وأمره أن يدعو الناس إلى [صراط الله] المستقيم: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كما قال: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] والمعنى: لا أأخذ وليًّا إلا الله وحده لا شريك له، فإنه فاطر السموات والأرض، أي: خالقهما ومبتدعها على غير مثال سبق.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُّطْعَمُ﴾ أي: وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات: ٥٦].
وقرأ بعضهم ها هنا: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُّطْعَمُ﴾ أي: لا يأكل.



س: لماذا خُصَّ الإطعام من بين سائر النعم؟

ج: ذلك لاحتياج جميع الخلق إليه وأيضًا لأن من يطعم يحتاج إلى تبرز، وإلى تبؤل.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: قل يا رسول الله ﷺ، لهؤلاء المعرضين عن شرعك، المخالفين أمرك، من أهل الشرك وغيرهم، قل لهم: إنه قد قيل لي كن ﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي أول من استسلم لأمر الله عز وجل وخضع لأمر الله وانقاد له وخضع وتذلل.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي من هذه الأمة.

وقيل لي أيضًا: لا تكونن من المشركين الذي يجعلون مع الله إلهًا آخر.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله، ويحثونك على عبادتها: أغير الله فاطر السموات والأرض، وهو يرزقني وغيري ولا يرزقه أحد، أتخذ وليًا هو له عبد مملوك وخلق مخلوق؟! وقل لهم أيضًا: إني أمرني ربي: ﴿أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ يقول: أول من خضع له بالعبودية، وتذلل لأمره ونهيه، وانقاد له من أهل دهرى وزمانى، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، يقول: وقل: وقيل لي: لا تكونن من المشركين بالله، الذين يجعلون الآلهة والأنداد شركاء.

وجعل قوله: ﴿أُمِرْتُ﴾، بدلًا من: «قيل لي»؛ لأن قوله: ﴿أُمِرْتُ﴾ معناه: «قيل لي» فكأنه قيل: قل: إني قيل لي: كن أول من أسلم، ولا تكونن من المشركين، فاجتزئ بذكر «الأمر» من ذكر «القول» إذ كان «الأمر» معلومًا أنه «قول».

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى: (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ الآية، يعني أول من

أسلم من هذه الأمة التي أرسلت إليها، وليس المراد أول من أسلم من جميع الناس كما بينه تعالى بآيات كثيرة تدل على وجود المسلمين قبل وجوده ﷺ، ووجود أمته كقوله عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقوله عن يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقوله: ﴿يَخْضَعُونَ لَهَا النَّيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله عن لوط وأهله: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦] إلى غير ذلك من الآيات.



س: ما المراد باليوم العظيم، ولماذا قيل عنه عظيم؟

ج: المراد يوم القيامة، وقيل عنه عظيم لشدة الأهوال فيه ولفظاعة شأنه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ

عَظِيمٍ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - قل يا رسول الله هؤلاء المكذبين بك المنكرين لما جئت به من الحق، قل لهم: إني أمرت أن أكون أول من أسلم فإن عصيت ربي وتخلفت عن الإسلام، وإن عصيت ربي وأشركت فقد أعد العذاب العظيم لمن عصى وأشرك، فلذا إني أخاف العذاب في هذا اليوم يوم القيامة.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: قل هؤلاء المشركين العادلين بالله، الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم: إن ربي نهاني عن عبادة شيء سواه، و﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾، فعبدتها، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعني: عذاب يوم القيامة، ووصفه تعالى بـ«العظيم» لعظم هوله ولفظاعة شأنه.



س: في قوله تعالى: ﴿يُصْرَفُ﴾ قراءتان وضحهما؟

ج: القراءتان هما يَصْرَف بفتح الياء (أي يصرف الله عنه العذاب).
والثانية: يُصْرَف أي يصرف عنه يومئذ العذاب، وقد ذكر القراءتين الطبري رحمه الله.



س: ما المراد باليوم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، يوم القيامة.



س: وضح معنى كلمة ﴿الْمُيْنُ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - المظهر الموضح للمؤمن بأنه قد فاز.
قال الطبري رحمه الله: (المين) يعني الذي بين لمن رآه أنه الظفر بالحاجة وإدراك الطلبة.



س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ﴾؟

ج: الآية التي في معناها هي قوله تعالى ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ

هُوَ﴾؟

ج: يبين لنا ربنا سبحانه وتعالى أن الذي يكشف الضر هو الله عز وجل لا

كاشف له إلا هو، فإذا حلَّ بأحدٍ مرضٍ مثلاً فلا كاشف له ولا شافي إلا الله عزَّ وجل، قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].
وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال النبي ﷺ «اشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك»^(١).

وكذا فإذا أرادنا الله بخير فلا راد لفضله.

فإذا كان الذي يكشف الضرَّ ويحيي المضطر هو الله فلماذا نعدل عنه إلى عبادة غيره.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ: يا محمد، إن يصبك الله، ﴿بِضْرٍ﴾ يقول: بشدة في دنياك، وشظف في عيشك وضيق فيه، فلن يكشف ذلك عنك إلا الله الذي أمرك أن تكون أول من أسلم لأمره ونهيه، وأذعن له من أهل زمانك، دون ما يدعوك العادلون به إلى عبادته من الأوثان والأصنام، ودون كل شيء سواها من خلقه، ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ خَيْرٌ﴾، يقول: وإن يصبك بخير، أي: برخاء في عيش، وسعة في الرزق، وكثرة في المال، فتقر أنه أصابك بذلك: ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، يقول تعالى ذكره:

والله الذي أصابك بذلك، فهو على كل شيء قدير، هو القادر على نفْعك وضرِّك، وهو على كل شيء يريده قادر، لا يعجزه شيء يريده، ولا يمتنع منه شيء طلبه، ليس كالألهة الذليلة المهينة التي لا تقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها، ولا دفع ضر عنها ولا غيرها. يقول تعالى ذكره: فكيف تعبد من كان

هكذا، أم كيف لا تخلص العبادة، وتقرُّ لمن كان بيده الضر والنفع، والثواب والعقاب، وله القدرة الكاملة، والعزة الظاهرة؟!

قال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً: أنه مالك الضر والنفع، وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِيْضٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]، كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْتِخُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢].

وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»^(١).



س: ما الحكم في هؤلاء الذين يسألون غير الله أن يكشف عنهم الضر ويجلب لهم النفع، ويطلبون المدد من غير الله عز وجل؟

ج: هؤلاء في خطر عظيم وفي ضلالٍ بعيد ويقعون بذلك في الشرك بالله، وذلك لأن الدعاء عبادة، ولأن الله قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ولأن الله قال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ ⑤ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿[الأحقاف: ٥ - ٦].

فعلى هؤلاء أن يتوبوا ويوقنوا بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا

(١) البخاري (حديث ٨٤٤)، ومسلم (حديث ٥٩٣).

كَاشَفَ لَهُ^١ لَا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ^٢ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^٣.



س: اذكر حديثاً في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشَفَ لَهُ^١ لَا هُوَ﴾؟

ج: من ذلك قول النبي ﷺ لعبد الله بن عباس^(١) - رضي الله عنهما -: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك الله يحفظك الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ^٢ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ^٣﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله تعالى - في معناها:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَهُوَ﴾ نفسه، يقول: والله الظاهر فوق عباده، ويعني بقوله: ﴿الْقَاهِرُ﴾، المذل المستعبد خلقه، العالي عليهم، وإنما قال: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾؛ لأنه وصف نفسه تعالى ذكره بقهره إياهم. ومن صفة كل قاهر شيئاً، أن يكون مستعلياً عليه.

(فمعنى الكلام إذا: والله الغالب عباده المذل لهم، العالي عليهم بتذليله لهم، وخلقهم إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه)، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾، يقول: والله الحكيم في علوه على عباده، وقهره إياهم بقدرته، وفي سائر تدبيره، ﴿الْخَبِيرُ﴾،

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) بإسناد يصح لشواهد، وانظر شواهد في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب، وقال الترمذي عقب إخرجه: هذا حديث حسن صحيح.

بمصالح الأشياء ومضارّها، الذي لا يخفى عليه عواقب الأمور وبواديها، ولا يقع في تدبيره خلل، ولا يدخل حكمه دَخل.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي: هو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته - الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه، وتحت قهره وحكمه.

وقال السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ فلا يتصرف منهم متصرف، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بمشيئته، وليس للملوك وغيرهم، الخروج عن ملكه وسلطانه، بل هم مدبرون مقهورون.

فإذا كان هو القاهر، وغيره مقهور، كان هو المستحق للعبادة، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فيما أمر به ونهى وأثاب، وعاقب، وفيما خلق وقدر.

﴿الْخَبِيرُ﴾ المطلع على السرائر والضمائر، وخفايا الأمور، وهذا كله من أدلة

التوحيد.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله ﷺ هؤلاء المشركين بالله الجاحدين نبوتك: أي الأشياء شهادتها أعظم؟! وبتعبير آخر؛ أي شيء شهادته أعظم الشهادات التي ترضون بها، أي ترضون شهادة من التي هي أعظم الشهادة؟!، فبلا شك شهادة الله أعظم الشهادة، فإذا شهد ربي على شيء

فشهادته أعدل الشهادات وأصدق الشهادات وقد شهد ربي لنفسه بالوحدانية كما قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، وشهد لنبيه ﷺ بالرسالة إذ قال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وشهد للقرآن بأنه من عنده، إذ قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقال: ﴿تَنْزِيلُ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

فربي سبحانه وتعالى الذي شهادته أعظم الشهادات وقوله أصدق الأقوال، شهيد يوم القيامة بيني وبينكم يعلم الحق من الباطل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، هؤلاء المشركين الذين يكذبون ويوجدون نبوتك من قومك: أي شيء أعظم شهادة وأكبر؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة: ﴿اللَّهُ﴾، الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في [شهادة] غيره من خلقه من السهو والخطأ، والغلط والكذب.

ثم قل لهم: إن الذي هو أكبر الأشياء شهادة، شهيدٌ بيني وبينكم، بالمحق منا من المبطل، والرشيد منا في فعله وقوله من السفیه، وقد رضينا به حكماً بيننا.

وقال القاسمي في محاسن التأويل:

وقال الزجاج: أمره الله تعالى أن يحتج عليهم بأن شهادة الله - عز وجل - في نبوته أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به يشهد له أنه رسول الله، وهو قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِتَذَكَّرُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٩] ففي الإنذار به دليل على نبوته؛ لأنه لم يأت أحد بمثله، ولا يأتي؛ وفيه خبر ما كان وما يكون؛ ووعد فيه بأشياء، فكانت كما قال.



س: ما وجه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ ؟

ج: وجه ذلك أن الله عزَّ وجلَّ أوحى إليَّ هذا القرآن الذي يشهد بنبوتي وصدقني.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ ؟

ج: المعنى: ومن بلغه القرآن، فيكون قوله: ﴿لَا تُنذِرُكُمْ بِهِ﴾ و﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي: لأنذركم بالقرآن ومن بلغه القرآن من غيركم ومن جاء من بعدكم من الأمم. وأخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: أما ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ يقول: من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره. ثم قرأ ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

هذا، ومن العلماء من قال: إن قوله ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي: ومن بلغ الخلق، أي: لأنذركم به وأنذر كل بالغٍ عاقل. والأول أولى، والثاني ليس بمرفوع المعنى والله أعلم.



س: اذكر الدليل على عموم رسالة النبي محمد ﷺ؟

ج: على ذلك جملة أدلة، منها ما يلي:
قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿لَا تُنذِرُكُمْ بِهِ﴾ و﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقوله ﷺ: «وبعثت إلى الناس كافة»^(١).

وقوله ﷺ: «وبعثت إلى كل أحر وأسود»^(٢).



س: اذكر دليلاً من الكتاب والسنة على مشروعية تبليغ الشريعة؟

ج: أما من كتاب الله عز وجل فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»^(٣).

وقوله ﷺ: «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها»^(٤).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، سل يا رسول الله هؤلاء المشركين، وقل لهم أئنكم - وبعد ما بيناه لكم من الحجج والآيات - تشهدون أن هناك معبودات غير الله تستحق العبادة فمن ثم فأنتم تعبدونها؟!!!

فإذا كان أمركم كذلك فأنا أخالفكم في ذلك ولا أشهد أبداً شهادة كشهادتكم، بل أمرت أن أقول: إنما هو إله واحد، وإنني أبرأ إلى الله من عبادتكم

(١) البخاري (حديث ٤٣٨)، ومسلم (حديث ٥٢١).

(٢) مسلم (حديث ٥٢١).

(٣) البخاري (حديث ٣٤٦١).

(٤) صحيح متواتر

لهذه الآلهة وأتبرأ منها.

قال الطبري رحمه الله: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين، الجاحدين نبوتك، العادلين بالله رباً غيره: ﴿أَيُّنْكُم﴾، أيها المشركون، ﴿لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾، يقول: تشهدون أن معه معبودات غيره من الأوثان والأصنام).

وقال: ﴿أُخْرَى﴾، ولم يقل «أُخَر»، و «الآلهة» جمع، لأن الجموع يلحقها التأنيث، كما قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥١] ولم يقل «الأول» ولا «الأولين».

(ثم قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، ﴿لَا أَشْهَدُ﴾، بما تشهدون: أن مع الله آلهة أخرى، بل أجدد ذلك وأنكره، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾، يقول: إنما هو معبود واحد، لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة، ﴿وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، يقول: قل: وإني بريء من كل شريك تدعونه لله، وتضيفونه إلى شركته، وتعبدونه معه، ولا أعبد سوى الله شيئاً، ولا أدعو غيره إلهاً).



س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ وما الكتاب؟
ج: أما الذين آتاهم الله الكتاب فهم اليهود والنصارى أما كتاب اليهود فالتوراة، وكتاب النصارى هو الإنجيل.



س: قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ يعرفون ماذا؟
ج: قيل يعرفون أن الله إلهٌ واحدٌ، وهذا المعنى يتأتى بالنظر إلى الآية التي سبقت هذه الآية.

والقول الآخر: يعرفونه، أي: يعرفون نبي الله محمدًا ﷺ وصفته، وأنه رسول من عند الله كما يعرفون أبناءهم.

وقيل: يعرفون القرآن، وأنه من عند الله عز وجل .

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ﴾، التوراة والإنجيل - يعرفون أنها هو إله واحد - لا جماعة الآلهة، وأن محمدًا نبي مبعوث، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة:

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾، يعرفون أن الإسلام دين الله، وأن محمدًا رسول الله، يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل.

وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

هذا، ولقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وورد عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - في «صحيح البخاري»^(١) أنه قال: والله إنه - يعني: رسول الله ﷺ - لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرراً للأُميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق،

ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعين عميٍّ وأذانٌ صمٍّ وقلوب غلفٌ».

وقصة إسلام سلمان الفارسي عليه السلام فيها الإشارة إلى ذلك؛ ففيها^(١):

أن صاحب عمورية قال لسلمان: أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجرًا إلى أرض بين حَرَّتَيْنِ بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغيب فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث. ثم مرَّ بي نفر من كلب تجارًا فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراي هذه وغنيمي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتهموها وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني إلى رجل من يهود عبداً، فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها. وبعث الله رسوله، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق.

ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال فلان: قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت سأسقط على سيدي قال: ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟! ماذا

(١) أحمد (٥/ ٤٤١)، بسند حسن.

تقول؟! قال: فغضب سيدي فلكنني لكمة شديدة ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك. قال: قلت: لا شيء، إنها أردت أن أستثبت عما قال، وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقاء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم قال: فقربته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة.

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئت به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه قال: فقلت: في نفسي هاتان اثنتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بقيق الغرقد قال: وقد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان له وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه. ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رأني رسول الله ﷺ استدرته عرف أنني أستثبت في شيء وُصف لي قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكبت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تحول» فتحولت فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه. ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدرٌ وأحدٌ قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كاتب يا سلمان» فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أجيبها له بالفقير وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أحاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية الرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر - يعني: الرجل بقدر ما عنده - حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب يا سلمان

ففقر لها فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي. فقمرت لها وأعاني أصحابي حتى إذا فرغت منها جثته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معني إليها، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة.

فأدّيت النخل وبقي علي المال. فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي فقال: «ما فعل الفارسي المكاتب؟» قال: فدُعيت له فقال: «خذ هذه فأدّها ما عليك يا سلمان» فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله ﷺ مما علي؟ قال: «خذها فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك».

قال: فأخذتها فوزنت لهم منها، والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم، وعُتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾؟

ج: المعنى: أهلكوها وتسببوا لها في دخول النار، وذلك بإنكارهم أن محمداً رسول الله، مع معرفتهم به، وذلك أيضاً بسبب شركهم بالله عز وجل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ من نعت ﴿الَّذِينَ﴾ الأولى.

ويعني بقوله: ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: أهلكوها وألقوها في نار جهنم، بإنكارهم محمداً أنه الله رسول مرسل، وهم بحقيقة ذلك عارفون، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، يقول: فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون.

وقد قيل: إنّ معنى «خسارتهم أنفسهم»، أن كل عبد له منزل في الجنة

ومنزل في النار.

فإذا كان يوم القيامة، جعل الله لأهل الجنة منازل أهل النار في الجنة، وجعل لأهل النار منازل أهل الجنة في النار، فذلك خسران الخاسرين منهم، لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار، بما فرط منهم في الدنيا من معصيتهم الله، وظلمهم أنفسهم، وذلك معنى قول الله تعالى ذكره: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: لا أحد أشد ظلمًا من شخصٍ اختلق قولًا كاذبًا ونسبه إلى الله عز وجل، ورب العزة سبحانه وتعالى لم يقله وكذا لا أحد أشد ظلمًا من شخص كذب بآيات الله ووصفها بأنها سحر وكهانة وأساطير الأولين.

إنه لا يفوز بمطلوبه ولا ينجو من مرهوبه الظالمون الذين ظلموا أنفسهم وأوردوها لظى والجحيم وذلك بتقولهم على الله وتكذيبهم بآيات الله.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن أشدُّ اعتداءً، وأخطأ فعلًا وأخطل قولًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، يعني: ممن اختلق على الله قيلًا باطلاً، واخترق من نفسه عليه كذبًا، فزعم أن له شريكًا من خلقه، وإلهًا يعبد من دونه - كما قاله المشركون من عبدة الأوثان - أو ادعى له ولدًا أو صاحبةً، كما قالته النصارى. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ يقول: أو كذب بحججه وأعلامه وأدلتها التي أعطاها رسله

على حقيقة نبوتهم، كما كذبت بها اليهود. ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول: إنه لا يفلح القائلون على الله الباطل، ولا يدركون البقاء في الجنان، والمفترون عليه الكذب، والجاحدون بنبوة أنبيائه.



س: متى لا يفلح الظالمون؟

ج: لا يفلحون في الدنيا ولا يفلحون يوم نحشرهم.



س: ما صورة الافتراء الكاذب على الله؟

ج: لذلك صور:

منها: ادعاء أن الله له شريك، أو أن له صاحبة وولد.

ومنها: نسبة ما لم يقله ربنا إليه سبحانه وتعالى.

ومنها: دعوى أن الملائكة بنات الله عز وجل.



س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾،

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمُ مَنْ فِي

خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤] وما على شاكلتها من الآيات؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن هؤلاء كلهم في الدرجة العليا من الظلم، وهو سواء في ذلك.

فالمفتري على الله كذبًا، والذي منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه في الظلم

سواء وهو في غاية الظلم ومنتهاه .

الثاني: أن ذلك ينزل منزلة الاختصاص، بمعنى: ليس من الكاذبين أظلم ممن كذب على الله، وليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: واذكر يوم نجمع الخلق جميعهم، وذلك يوم القيامة، وهنالك نقول لمن جعلوا الله شركاء: أين شركاؤكم الذين زعمتم أنهم لله شركاء.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢].

هذا وقد أورد الطبري قولاً آخر فقال:

يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المفترين على الله كذباً والمكذبين بآياته، لا يفلحون اليوم في الدنيا، ولا يوم نحشرهم جميعاً - يعني: ولا في الآخرة. ففي الكلام محذوف قد استغني بذكر ما ظهر عما حذف.

وتأويل الكلام: إنه لا يفلح الظالمون اليوم في الدنيا، ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾، فقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾، مردود على المراد في الكلام؛ لأنه وإن كان محذوفاً منه، فكأنه فيه؛ لمعرفة السامعين بمعناه، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، يقول: ثم نقول، إذا حشرنا هؤلاء المفترين على الله الكذب، بادعائهم له في سلطانه شريكاً، والمكذبين بآياته ورسله، فجمعنا جميعهم يوم

القيامة، ﴿أَيْنَ شُرَكَاءُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم لكم آلهة من دون الله افتراءً وكذباً، وتدعونهم من دونه أرباباً؟ فأتوا بهم إن كنتم صادقين!



س: وضح معنى قولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: والله وربنا ما كنا ندعو لك شريكاً في ديانا ولا دعونا أحداً سواك.

وقيل: المعنى: والله يا ربنا ما أشركنا في ديانا.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ﴾ الفتنة: الاختبار، أي: لم يكن جوابهم حين اختبروا بهذا السؤال، ورأوا الحقائق، وارتفعت الدواعي ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ تبرءوا من الشرك وانتفوا منه لما رأوا من تجاوزه ومغفرته للمؤمنين.



س: ما المراد بالنظر في قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾؟

ج: المراد بالنظر: النظر بالقلب.

قال القرطبي رحمه الله: والنظر في قوله تعالى ﴿أَنْظُرْ﴾ يراد به نظر الاعتبار.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ كذب المشركين قولهم: إن عبادة

الأصنام تقرّبنا إلى الله زُلْفَى، بل ظنّوا ذلك، وظنهم الخطأ لا يعذرهم ولا يزيل اسم الكذب عنهم، وكذب المنافقين باعتذارهم بالباطل، وجحدتهم نفاقهم.



س: أهل الشرك كذبة في الدنيا والآخرة، وضح ذلك؟

ج: أما كذبهم في الدنيا: فتمثل في افتراءهم على الله عز وجل واتخاذ الشريك له والند والولد.

أما كذبهم في الآخرة: فمنه قولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنْتُمُ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(١) [المجادلة: ١٨].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر، يا محمد، فاعلم كيف كذب هؤلاء المشركون العادلون بربهم الأوثان والأصنام، في الآخرة عند لقاء الله على أنفسهم بقليلهم: «والله يا ربنا ما كنا مشركين»، واستعملوا هنالك الأخلاق التي كانوا بها يتخلقون في الدنيا، من الكذب والفرية.



(١) قال القرطبي رحمه الله:

ثم قيل: «كذبوا» بمعنى يكذبون، فعبر عن المستقبل بالماضي؛ وجاز أن يكذبوا في الآخرة لأنه موضع دَهَشٍ وَحَيْرَةٍ وذَهُولٍ عقل.

وقيل: لا يجوز أن يقع منهم كذب في الآخرة؛ لأنها دار جزاء على ما كان في الدنيا - وعلى ذلك أكثر أهل النظر - وإنما ذلك في الدنيا؛ فمعنى ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ على هذا: ما كنا مشركين عند أنفسنا.

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] فقد أفادت الآية أنهم يصدقون يوم القيامة، وبين قولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ التي مفادها أنهم قد كذبوا؟

ج: الجواب على ذلك حاصله: أن المواقف يوم القيامة تتعدد، فيومٌ كالف سنةٍ مما نعد تتعدد فيه الأحوال فأهل الكفر لما يروا المغفرة تنزل على أهل الإيمان والتوحيد، يقول بعضهم لبعض: هلموا نقول لربنا والله ربنا ما كنا مشركين، فيقولون ذلك، فيختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم، فحينئذٍ ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

وأخرج البخاري^(١) من طريق سعيد (وهو ابن جبير) قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ قال: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧، الطور: ٢٥]، ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، ﴿رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقد كتموا في هذه الآية .

فذكر الحديث وفيه: وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم وقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عُرف أن الله لا يكتُم حديثًا.

وأخرجه الطبري^(٢) أيضًا من طريق سعيد بن جبير قال: أتى رجل ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]؟ قال ابن عباس: أما قوله: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: «تعالوا

(١) تفسير سورة فصلت (مع الفتح ٨ / ٤١٨)، وصورته في أوله مرسل، لكنه متصل فيما بعد.

(٢) الطبري (١٣١٤٣)، وفي سنده ابن محمد بن حميد الرازي متكلم فيه.

نجدد»، فقالوا: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم، ﴿وَلَا يَكْنُتُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

ولمزيد انظر تفسييري لسورة النساء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْنُتُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (١).

وقال القرطبي رحمه الله:

وعلى جواز أن يكذبوا في الآخرة يعارضه قوله: ﴿وَلَا يَكْنُتُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]؛ ولا معارضة ولا تناقض؛ لا يكتمون الله حديثاً في بعض المواطن إذا شهدت عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بعملهم، ويكذبون على أنفسهم في بعض المواطن قبل شهادة الجوارح على ما تقدم. والله أعلم.

وقال سعيد بن جبّير في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال: اعتذروا وحلفوا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أهل الشرك يوم القيامة لما أرادوا أن تنصرهم ألهتهم التي عبدوها في الدنيا، وذلك يوم القيامة، أي: أرادوا أن تنصرهم ألهتهم وأن تشفع لهم تلك الآلهة يوم القيامة، فحينئذ غابت عنهم تلك الآلهة وغاب عنهم نصرها، فهذه الآلهة لم تنصر نفسها فضلاً عن نصرتها لعابديها، بل وشهدت عليهم بكفرهم وتبرأت منهم.

فقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ معناه: وغابت عنهم الآلهة المفتراة من دون الله، أو غاب عنهم نصرها وغابت عنهم شفاعتها، وإن وجدت فتوجد للشهادة عليهم لا لهم، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُفْتَرُونَ﴾، يقول: وفارقهم الأنداد والأصنام، وتبرءوا منها، فسلكوا غير سبيلها؛ لأنها هلكت، وأعيد الذين كانوا يعبدونها اجترأء، ثم أخذوا بما كانوا يفترونه من قيلهم فيها على الله، وعبادتهم إياها، وإشراكهم إياها في سلطان الله، فضلت عنهم، وعوقب عابِدُوها بفريتهم.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ومن أهل الشرك من يستمع إليك، واستماعه بأذنه فقط، لا يتعدها ولا يتخطاها، إنما يسمع قراءتك وصوتك فقط بلا فهم ولا تدبر ولا تأمل ولا تعقل كالبهيمة التي تسمع النداء ولا تدري ما يقال لها؛ وذلك لأننا جعلنا على قلوبهم أغطية وأغلفة فلا يصل إليها خير، وكذلك فقد جعلنا في الآذان ثقلاً وصمماً فإنما تسمع أحرفاً فقط ولا يدخل مما تقرأه شيء إلى القلب.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام من قومك يا محمد، ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾، يقول: من يستمع القرآن منك، ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك، وأمره ونهيه، ولا يفقه ما تقول ولا يوعيه قلبه، ولا يتدبره، ولا يصغي له سمعه، ليتفقهم فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي أنزله عليك، إنما يسمع صوتك وقراءتك وكلامك، ولا يعقل عنك ما تقول؛ لأن الله قد جعل على قلبه ﴿أكِنَّةً﴾.

وهي جمع «كنان»، وهو الغطاء، مثل: «سنان»، و«أسنة» يقال منه: أكننت

الشيء في نفسي، بالآلف، وكنت الشيء، إذا غطيته، ومن ذلك: ﴿بَيَضُ مَكْنُونٌ﴾ [الصفات: ٤٩]، وهو الغطاء، ومنه قول الشاعر:

تَحْتَ عَيْنٍ، كَنَانًا ظِلُّ بُرْدٍ مُرَحَّلٌ

يعني: غطاءؤهم الذي يكنُّهم.

﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، يقول تعالى ذكره: وجعل في آذانهم ثقلاً وصمماً عن فهم ما تتلوا عليهم، والإصغاء لما تدعوهم إليه.
وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ أفرد على اللفظ يعني: المشركين كفار مكة. ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أي: فعلنا ذلك بهم مجازاة على كفرهم. وليس المعنى أنهم لا يسمعون ولا يفقهون، ولكن لما كانوا لا يتفهمون بما يسمعون، ولا ينقادون إلى الحق كانوا بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم.

والأكنة: الأغطية، جمع كنان، مثل الأسنة والسنان، والأعنة والعنان. كننت الشيء في كنهه إذا صُنِّتَه فيه.

وأكننت الشيء: أخفيت. والكنانة معروفة. والكنة (بفتح الكاف والنون): امرأة أبيك؛ ويقال: امرأة الابن أو الأخ؛ لأنها في كنهه. ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي: يفهموه وهو في موضع نصب؛ المعنى: كراهية أن يفهموه، أو لئلا يفهموه. ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ عطف عليه أي: ثقلاً.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾؟

ج: قال عدد من أهل العلم: المعنى أن لا يفقهوه، أي: كي لا يفهموه - والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقال تعالى ذكره: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ بمعنى: أن لا يفقهوه، كما قال ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضَلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، بمعنى: أن لا تضلوا؛ لأن «الكن» إنما جعل على القلب؛ لئلا يفقهه، لا ليفقهه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥]؟

ج: وإن يرى الكافرون الجاحدون عابدوا الأوثان والأصنام كل معجزة دالة على صدقك وحقيقة ما أخبرتهم به من أن الله واحد لا شريك له لا يصدقون بهذه الآية، مهما أتيتهم به من آيات؛ وذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٦ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]؛ وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٦ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥]؛ وكما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۖ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا...﴾ [الإسراء: ٥٩].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإن ير هؤلاء العادلون برهم الأوثان والأصنام، الذين جعلت على قلوبهم أكنة أن يفقهوا عنك ما يسمعون منك، ﴿كُلَّ آيَةٍ﴾ يقول: كل حجة وعلامة تدل أهل الحجب والفهم على توحيد الله وصدق قولك وحقيقة نبوتك، ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ يقول: لا يصدقون بها، ولا يقرون بأنها دالة على ما هي عليه دالة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أهل الكفر يستمرون في تكذيب الآيات، وكلما جاءتهم آيةٌ كذبوا بها، حتى إذا جاءوك وقد استمعوا الآيات الدالة على صدقك والتي كان ينبغي أن يؤمنوا بها إذا هم يجادلونك ويخاصمونك ويقول العتاة في الكفر منهم وأكابر المجرمين منهم والجاحدون لآيات الله، يقولون: ما هذا الذي تخبرنا به وتقصه علينا إلا قصص وحكايات تؤثر عن المتقدمين الذي سلفوا ومضوا كانوا يذكرونها في مجالسهم يتفكهون بذكرها. ليس إلا ذلك.

هذا، ومن أهل الكفر من كان يجادل أيضًا في الآيات، فكان منهم من يقول: كيف تحرمون الميتة والذي أَمَاتَهَا هو الله؟

فكيف تأكلون ما قتلتم بأيديكم (أي ذبحتم بأيديكم)، وتذرون ما أَمَاتَهُ الله. ومنهم من كان يقول أيضًا - إذا قيل له أنفق مما رزقك الله -: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه [يس: ٤٧]. فيقولون حقًا يريدون به باطلاً.

وكان منهم من يقول: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

إلى غير ذلك من صور المجادلات التي كانت تصدر منهم.

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ أي: بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم إذا جاءوك يحاجونك وينظرونك في الحق بالباطل.

ثم فسر المجادلة بقوله: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أباطليهم وأحاديثهم التي لا نظام لها. وعدُّ أحسن الحديث وأصدق، من قبيل

الأباطيل: وهو الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢] رتبة من الكفر لا غاية وراءها.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وأهل الشرك ينهون الناس عن اتباع النبي ﷺ وهم أنفسهم أيضًا يتباعدون عنه أي: أنهم يتخلفون عن الإيمان، وينهون الناس أيضًا عن الإيمان.

الثاني: وهم ينهون الناس عن القرآن ويتبعدون هم أنفسهم أيضًا عن القرآن.

الثالث: ومنهم من يدافع عن النبي ﷺ وينهى الناس عن إلحاق الأذى به، ومع ذلك فهو يئأى (يتبعد) عن هديه صلوات الله وسلامه عليه.

هذا، ويستفاد من هذه الآية الكريمة: أن أهل الكفر لا يتنفعون بالقرآن ولا بالإسلام ولا بالرسول عليه الصلاة والسلام، ولا يدعون غيرهم يتنفع.

وأورد البعض هنا حديثاً في سنده ضعف وفيه: أن النبي ﷺ قال لأبي طالب: «تمنع قريشاً أن تؤذيني وتأبى أن تؤمن بي»، فقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي	فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه	من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة	لوجدتني سمحاً بذاك يقينا



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَن يُهْلَكُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: وما يهلك هؤلاء الكفرة الذين يتعدون عن النبي ﷺ وعن القرآن ويصرفون الناس عنها، ما يهلكون إلا أنفسهم بصنيعهم السيئ، فهم الذين يجنون عواقب عملهم السيئ الوخيم.
قال الطبري رحمه الله:

(﴿وَأَن يُهْلَكُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ يقول: وما يهلكون - بصدّهم عن سبيل الله، وإعراضهم عن تنزيله، وكفرهم بربه - إلا أنفسهم لا غيرهم وذلك أنهم يكسبونها بفعلهم ذلك، سخط الله وأليم عقابه، وما لا قبل لها به، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: يقول: وما يدرون ما هم مكسبوها من الهلاك والعطب بفعلهم).



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَقِفُّوا عَلَى النَّارِ﴾؟

ج: أورد ابن الجوزي في «زاد المسير» جملة أقوال في ذلك فقال:
قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقِفُّوا عَلَى النَّارِ﴾ في معنى «وقفوا» ستة أقوال:
أحدها: حُبسوا عليها، قاله ابن السائب.
والثاني: عرضوا عليها، قاله مقاتل.
والثالث: عاينوها.
والرابع: وقفوا عليها وهي تحتهم.

والخامس: دخلوا إليها فعرفوا مقدار عذابها، تقول: وقفت على ما عند فلان، أي: فهمته وتبينته، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الزجاج، واختار الأخير. وقال ابن جرير: ﴿عَلَى﴾ ها هنا بمعنى «في».

السادس: جعلوا عليها وقفًا، كالوقوف المؤبّدة على سبيلها، ذكره الماوردي.

والخطاب بهذه الآية للنبي ﷺ، والوعيد للكفار، وجواب «لو» محذوف، ومعناه: لو رأيتهم في تلك الحال، لرأيت عجباً.



س: وضع معنى قول الله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: ولو ترى الكفار حين حبسوا في النار ودخلوها لرأيت منظرًا عظيمًا هائلًا مروعًا مخوفًا لرأيتهم قالوا: يا ليتنا نرجع إلى الحياة الدنيا وإذا رجعنا إليها لا نكذب بآيات ربنا وسنكون حينئذ من المؤمنين.

فيخبرون عن أحوالهم إذا رجعوا إلى الدنيا وعما كانوا يعملونه.

الثاني: أن معنى قوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي: وقفوا على حافتها وشفيرها قبل أن يقذفوا فيها.

قال الطبري رحمه الله:

﴿فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ﴾، يقول: فقال هؤلاء المشركون بربهم إذ حبسوا في النار: ﴿يَلَيْتُنَا نُرَدُّ﴾، إلى الدنيا حتى نتوب ونراجع طاعة الله، ﴿وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ يقول: ولا نكذب بحجج ربنا ولا نجحدها، ﴿وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يقول: ونكون من المصدقين بالله وحججه ورسله، مُتَّبِعِي أمره ونهيه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يذكر تعالى حال الكفار إذا وَقَفُوا يوم القيامة على النار، وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال، فعند ذلك قالوا: ﴿يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يتمنون أن يردوا إلى الدار

الدنيا؛ ليعملوا عملاً صالحاً، ولا يكذبوا بآيات ربهم، ويكونوا من المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخفون في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعادنة، وإن أنكروها في الدنيا أو في الآخرة، كما قال قبل هذا بيسير: ﴿ثُمَّ لَئِنْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٤].

ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم، من صدق ما جاءهم به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه، كما قال تعالى مخبراً عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقوله تعالى مخبراً عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء: المنافقين، الذين كانوا يُظهرون للناس الإيمان ويبطنون الكفر، ويكون هذا إخباراً عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة من الكفار، ولا ينافي هذا كون هذه السورة مكية، والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، فقد ذكر الله وقوع النفاق في سورة مكية، وهي العنكبوت، فقال: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١] وعلى هذا: فيكون هذا إخباراً عن حال المنافقين في الدار الآخرة حين يعاينون العذاب، يظهر لهم حينئذ غيب ما كانوا يبطنون من الكفر والنفاق والشقاق والله أعلم.

أما القرطبي رحمه الله فقال:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي إذ وقفوا غداً، و «إِذْ» قد تستعمل في موضع «إِذَا» و «إِذَا» في موضع «إِذْ» وما سيكون فكأنه كان؛ لأن خبر الله تعالى حق وصدق، فلهذا عَبَّرَ بالماضي.

ومعنى «إِذْ وَقَفُوا» حبسوا يقال: وقفته وقفاً فوقف وقوفاً.

وقرأ ابن السميّع «إِذْ وَقَفُوا» بفتح الواو والقاف من الوقوف ﴿عَلَى النَّارِ﴾ أي هم فوقها على الصراط وهي تحتهم.

وقيل: «على» بمعنى الباء؛ أي وقفوا بقربها وهم يعاينونها.

وقال الضحاك: جمعوا، يعني على أبوابها.

ويقال: وقفوا على متن جهنم والنار تحتهم.

وفي الخبر: أن الناس كلهم يوقفون على متن جهنم كأنها متن إهالة، ثم ينادي منادٍ خذي أصحابك ودعي أصحابي.

وقيل: «وقفوا» دخلوها - أعادنا الله منها - فعلى بمعنى «في» أي وقفوا في النار. وجواب «لو» محذوف ليذهب الوهم إلى كل شيء فيكون أبلغ في التخويف؛ والمعنى: لو تراهم في تلك الحال لرأيت أسوأ حال، أو لرأيت منظرًا هائلًا، أو لرأيت أمرًا عجبًا وما كان مثل هذا التقدير.



س: وضح معنى قوله تعالى ﴿بَلْ بَدَأْتُمْ مَا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُمْ لِكَذِبُون﴾

ج: معنى ذلك، والله تعالى أعلم، أن أهل الكفر الذين قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ما رغبوا في الرجوع إلى الدنيا للإيمان حقيقة، ولكنهم لما رأوا أعمالهم السيئة قد ظهرت أمام أعينهم تلك الأعمال التي كان يخفونها عن أعين الناس في دنياهم، وأيقنوا بالعذاب من جراء هذه الأعمال السيئة التي عملوها خافوا مما هو حال بهم ﴿فَقَالُوا يَلَيْسَ نَرُدُّ وَلَا نَكْذِبُ يَا رَبَّنَا وَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا رغبة في الإيمان ولا حبا فيه ولكن خوفاً مما هو نازل بهم ومما

سيلقونه من العذاب.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء العادلين برهيم، الجاحدين نبوتك، يا محمد، في قيلهم إذا وقفوا على النار: ﴿يَلَيِّنَا نَزْدُ وَلَا نَكْذِبُ بَيَانَتِ رَبِّنَا وَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، الأسى والندم على ترك الإيمان بالله والتصديق بك، لكن بهم الإشفاق مما هو نازل بهم من عقاب الله وأليم عذابه، على معاصيهم التي كانوا يخفونها عن أعين الناس ويسترونها منهم، فأبداها الله منهم يوم القيامة وأظهرها على رؤوس الأشهاد، ففضحهم بها، ثم جازاهم بها جزاءهم.

يقول: بل بدا لهم ما كانوا يخفون من أعمالهم السيئة التي كانوا يخفونها من قبل ذلك في الدنيا فظهرت، ﴿وَلَوْ رُدُّوْا﴾، يقول: ولو ردوا إلى الدنيا فأُمهلوا، ﴿لَعَادُوا لِمَا هُؤَاعْنَهُ﴾، يقول: لرجعوا إلى مثل العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قبل ذلك، من جحود آيات الله، والكفر به، والعمل بما يُسَخِطُ عليهم ربهم، ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾، في قيلهم: «لو رددنا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين»، لأنهم قالوه حين قالوه خشية العذاب، لا إيماناً بالله.

وأخرج الطبري^(١) بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا هُؤَاعْنَهُ﴾ يقول: ولو وصل الله لهم دنيا كدنياهم لعادوا إلى أعمالهم أعمال السوء.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وأما معنى الإضراب في قوله: ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ فإنهم ما طلبوا العود إلى الدنيا رغبة ومحبة في الإيمان، بل خوفاً من العذاب الذي عاينوه، جزاءً على ما كانوا عليه من الكفر، فسألوا الرجعة إلى الدنيا؛ ليتخلصوا مما

شاهدوا من النار؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَ﴾ أي: في تمنيههم الرجعة رغبة ومحبة في الإيمان.

قال القرطبي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوْا يُخْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ﴾ بل إضراب عن تمنيههم وادعائهم الإيمان لو رُدُّوا. واختلفوا في معنى ﴿بَدَا لَهُمْ﴾ على أقوال بعد تعيين من المراد؛ ف قيل: المراد المنافقون؛ لأن اسم الكفر مشتمل عليهم، فعاد الضمير على بعض المذكورين؛ قال النحاس: وهذا من الكلام العذب الفصيح.

وقيل: المراد الكفار وكانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف؛ لئلا يفطن بهم ضعفائهم، فيظهر يوم القيامة؛ ولهذا قال الحسن: ﴿بَدَا لَهُمْ﴾ أي بدا لبعضهم ما كان يخفيه عن بعض.

وقيل: بل ظهر لهم ما كانوا يجحدونه من الشرك فيقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِيْنَ﴾، فَيُنْطِقُ اللهُ جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك حين ﴿بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوْا يُخْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ﴾ قاله أبو روق. وقيل: ﴿بَدَا لَهُمْ﴾ ما كانوا يكتُمونه من الكفر؛ أي بدت أعمالهم السيئة كما قال: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوْا يَحْتَسِبُوْنَ﴾ [الزمر: ٤٧].

قال المبرد: بدا لهم جزاء كفرهم الذي كانوا يخفونه.

وقيل: المعنى بل ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفون عنهم من أمر البعث والقيامة؛ لأن بعده ﴿وَقَالُوْا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوْثِيْنَ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال مخبراً عنهم: إنهم لو ردوا إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه (من الكفر والمخالفة) ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَ﴾ أي: في قولهم: ﴿بَلَّغْنَا نَرُدُّ وَلَا تُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُوْنُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾، ﴿وَقَالُوْا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوْثِيْنَ﴾.

أي: لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون ولقالوا: إن هي لا حياتنا الدنيا، أي: ما هي إلا هذه الحياة الدنيا ثم لا معاد بعدها؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، ثم قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: أوقفوا بين يديه ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ أي: أليس هذا المعاد بحق، وليس بباطل كما كنتم تظنون، ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: بما كنتم تكذبون به، فذوقوا اليوم مَسَّهُ، ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥].



س: في قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَأْتُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ...﴾ دليل على تمكن الكفر من قلوب الكفار وشدة عتوهم وعنادهم، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن أهل الكفر، والعياذ بالله - مع شدة ما يروونه ويطلقون عليه، حتى إنهم رأوا النار بأعينهم وقفوا على شفيرها، بل ودخلوها ومع ذلك كله لو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والعناد والشر والفساد.

ومما ورد في معنى الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لِّلْجَوِّ فِي طُفَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الزخرف: ٥٠].



س: ما المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾؟

ج: المستفاد من ذلك: إعلامنا وإخبارنا بأن أهل الكفر ينكرون البعث،

ويقولون: لا حياة بعد الموت، فإذا كان هذا شأنهم فما الحامل لهم إذن على الإيمان والتصديق؟! وما المانع لهم من ارتكاب الفواحش؟! وما الرادع لهم من ظلم العباد؟! العباد؟!!

فلنحذرهم إذن وليكن التعامل معهم في ضوء ما أخبرنا الله - عز وجل - به.
قال الطبري رحمه الله:

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين العادلين به الأوثان والأصنام، الذين ابتدا هذه السورة بالخبر عنهم.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يخبر عنهم أنهم ينكرون أن الله يحيي خلقه بعد أن يميتهم، ويقولون: «لا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور بعد الفناء» فهم بجحودهم ذلك، وإنكارهم ثواب الله وعقابه في الدار الآخرة، لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من إثم ومعصية؛ لأنهم لا يرجون ثواباً على إيمان بالله وتصديق برسوله وعمل صالح بعد موت، ولا يخافون عقاباً على كفرهم بالله وبرسوله وسيئ من عمل يعملونه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ...﴾ الآية

ج: قال الطبري - رحمه الله تعالى - في معناها:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾، يا محمد، هؤلاء القائلين: ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين، ﴿إِذْ وَقَفُوا﴾، يوم القيامة، أي: حبسوا، ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، يعني: على حكم الله وقضائه فيهم، ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾، يقول: فقل لهم: أليس هذا البعث والنشر بعد الممات الذي كنتم تنكرونه في الدنيا، حقاً؟ فأجابوا، فقالوا: بلى والله إنه لحق، ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، يقول: فقال الله - تعالى ذكره - لهم: فذوقوا العذاب الذي كنتم به في الدنيا تكذبون، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، يقول:

بتكذيبكم به وجحدكموه الذي كان منكم في الدنيا.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ «وقفوا» أي: حبسوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: على ما يكون من أمر الله فيهم.

وقيل: «على» بمعنى «عند» أي: عند ملائكته وجزائه؛ وحيث لا سلطان فيه لغير الله عز وجل؛ تقول: وقفت على فلان أي عنده؛ وجواب «لو» محذوف لعظم شأن الوقوف.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾: تقرير وتوبيخ أي أليس هذا البعث كائنًا موجودًا؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾، ويؤكدون اعترافهم بالقسم بقولهم: ﴿وَرَبِّنَا﴾، وقيل: إن الملائكة تقول لهم بأمر الله أليس هذا البعث وهذا العذاب حقًا؟ فيقولون: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إنه حق. ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.



س: اذكر بعض الأدلة على لقاء العباد ربهم يوم القيامة؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَّوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ [التوبة: ٧٧].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلَقَّوْا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ...﴾ [البقرة: ٤٦]

وأخرج ابن أبي حاتم^(١) وغيره بسند صحيح عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «يلقى العبد يوم القيامة، فيقول: أي

(١) ابن أبي حاتم (٧٢٢٢).

فل. ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذكرك ترأس وتربع، فظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْصَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]؟

ج: المعنى، والله أعلم، قد وكِسَ الذين أنكروا البعث وخسروا في صفقتهم لما عُرِضَ عليهم الإيمان والجنة مقابله، فأبوا أن يقبلوا الإيمان واعتاضوا عنه بالكفر فجاءتهم آجالهم فجأة فماتوا على الكفر فهناك تنادوا: يا حسرة، يا ندم، تعالى يا حسرة، تعال يا ندم، فأنزل بنا وحل بنا على ما ضيعناه في أعمارنا وعلى ما قصرنا فيه من العمل لآخرتنا.

قال الطبري رحمه الله:

ذلك، حتى تقوم الساعة، فإذا جاءتهم الساعة بغتة فرأوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم، قالوا حينئذ، تندمًا: ﴿يَحْصَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾.

﴿قَالُوا يَحْصَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾، يقول تعالى ذكره: وكِسَ الذين كذبوا بقاء الله ببيعهم منازلهم من الجنة بمنازل من اشتروا منازلهم من أهل الجنة من النار، فإذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا - إذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا، وتبينوا خسارة صفقة بيعهم التي سلفت منهم في الدنيا، تندمًا وتلهفًا على عظيم الغبن الذي غبنوه أنفسهم، وجليل الخسران الذي لا خسران أجل منه -: ﴿يَحْصَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾، يقول: يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها، يعني: صفقتهم تلك.

و «الهاء والألف» في قوله: ﴿فِيهَا﴾، من ذكر «الصفقة»، ولكن اكتفي بدلالة قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ عليها من ذكرها، إذ كان معلومًا أن

«الخسران» لا يكون إلا في صفقة بيع قد جرت.

وإنما معنى الكلام: قد وكس الذين كذبوا بقاء الله؛ ببيعهم الإيمان الذي يستوجبون به من الله رضوانه وجنته، بالكفر الذي يستوجبون به منه سخطه وعقوبته ولا يشعرون ما عليهم من الخسران.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن خسارة من كذب بقاء الله، وعن خيبته إذا جاءته الساعة بغتة، وعن ندامته على ما فرط من العمل، وما أسلف من قبيح الفعال؛ ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا قَرَرْنَا فِيهَا﴾، وهذا الضمير: يحتمل عوده على الحياة، وعلى الأعمال، وعلى الدار الآخرة أي: في أمرها.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَحْسِرُنَا﴾ وقع النداء على الحسرة وليست بمنادى في الحقيقة، ولكنه يدل على كثرة التَّحَسُّر، ومثله: يا للعجب ويا للرخاء، وليس بمناديين في الحقيقة، ولكنه يدل على كثرة التعجب والرخاء.

قال سيبويه: كأنه قال يا عجب تعال فهذا زمن إتيانك؛ وكذلك قولك: يا حسرتي أي يا حسرتنا تعالي فهذا وقتك؛ وكذلك ما لا يصح نداؤه يجري هذا المجرى، فهذا أبلغ من قولك: تعجبت. ومنه قول الشاعر:

فيا عجباً من رَحْلِهَا الْمُتَحَمِّلِ

وقيل: هو تنبيه للناس على عظيم ما يحلُّ بهم من الحسرة؛ أي: يا أيها الناس تنبَّهوا على عظيم ما بي من الحسرة، فوقع النداء على غير المنادى حقيقة، كقولك: لا أرينك ها هنا. فيقع النهي على غير المنهي في الحقيقة.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى الحسرة؟

ج: قال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿يَحْسَرْنَآ﴾ الحسرة: التلهف على الشيء الفاتت، وأهل التفسير يقولون: يا ندامتنا.

فإن قيل: ما معنى دعاء الحسرة، وهي لا تعقل؟

فالجواب: أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تقع فيه، جعلته نداءً، فتَدْخِلُ عليه «يا» للتنبيه، والمراد: تنبيه الناس، لا تنبيه المنادي.

ومثله قولهم: لا أَرَيْنَاكَ هَاهُنَا. لفظه لفظ الناهي لنفسه، والمعنى للمنهى؛ ومن هذا قولهم: يا خَيْلَ الله اركبي، يراد: يا فرسان خيل الله.

وقال سيبويه: إذا قلت: يا عجباه، فكأنك قلت: احضر وتعال يا عَجَبُ فهذا زمانك، وأما التفريط فهو: التضييع.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ سبب نزول؟

ج: لا أعلم له سبب نزول صحيح، والوارد فيه ضعيف الإسناد، والله أعلم.



س: اذكر ما يدل على أن أهل الكفر يحملون الأوزار، ويحملونها على الظهور.

ج: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾

[فاطر: ١٨].



س: هل تتجسد الذنوب فتصبح أثقالاً توضع على الظهور؟

ج: نعم، هذا يفيد ظاهر الآية الكريمة ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾

وقد ورد في حديث مانعي الزكاة، «ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبتها لها يعار فيقول يا محمد، فأقول: لا أملك شيئاً قد بلغت»^(١).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم في معنى ذلك: وما مُريد الحياة الدنيا ولذاتها الفانية ونعيمها الزائل إلا في لعبٍ ولهو، أي: أن مُريد الحياة الدنيا ومبتغيها إنما يلهو ويلعب، فلا تغتروا أيها الناس بها وبها فيها فإنها ستزول وستنتهي لا محالة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره، مكذباً لهم في قولهم ذلك: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾، أيها الناس، ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، يقول: ما باغي لذات الحياة التي أذنيت لكم وقربت منكم في داركم هذه، ونعيمها وسرورها، فيها، والمتلذذ بها، والمنافس عليها إلا في لعب ولهو؛ لأنها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذذ فيها بملاذها، أو تأتية الأيام بفجائعها وصروفها، فتُمِرُّ عليه وتكدر، كاللاعب اللاهي الذي يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه، ثم يعقبه منه ندمًا، ويورثه منه ترحًا.

يقول: لا تغتروا أيها الناس بها، فإن المغتر بها عما قليل يندم.

قال القرطبي رحمه الله:

وقيل: المعنى متاع الحياة الدنيا لعبٌ وهو؛ أي: الذي يشتهونه في الدنيا لا عاقبة له، فهو بمنزلة اللعب واللهو. ونظر سليمان بن عبد الله في المرأة فقال: أنا الملك الشاب؛ فقالت له جارية له:

أَنْتَ نِعَمَ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيهَا بَدَأٌ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِي

وقيل: معنى «لَعِبٌ وَهُوَ» باطل وغرور، كما قال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فالمقصود بالآية: تكذيب الكفار في قولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ واللعب معروف، والتَّلْعَابَةُ: الكثير اللعب، والملاعب: مكان اللعب؛ يقال: لعب يلعب. واللهو أيضًا معروف، وكل ما شغلك فقد أهلك، ولهوت من اللهو، وقيل: أصله الصَّرَفُ عن الشيء؛ من قولهم: لهيت عنه؛ قال المهدي: وفيه بُعد؛ لأن الذي معناه الصَّرَفُ لاهمه ياء بدليل قولهم: هَيَّانُ، ولام الأول واو.



س: هل الحياة الدنيا كلها هو ولعب؟ فكيف بمن يصلون ويصومون ويحجون ويجاهدون ويتصدقون..؟
ج: المراد - والله أعلم -: أن الحياة الدنيا في نظر مبتغيها وطالبها والعامل لها دون غيرها إنما هو فيها في هو ولعب.

وقيل: المعنى: إنما غالب أمر الحياة الدنيا في هو ولعب.

وقال القرطبي رحمه الله:

ليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة، فإن حقيقة اللعب ما لا

يتنفع به واللّهُ ما يُلْهِى به، وما كان مرادًا للآخرة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أن الدار الآخرة خيرٌ للذين يعملون في الدنيا بطاعة الله ويتقون ما حرم الله فافهموا ذلك أيها الناس واعقلوه. واعملوا في الدنيا بطاعة الله واستقيموا على أمره واتقوا ما نهاكم عنه ربكم واجعلوا من هذه الدنيا زادًا تتزودون لأخراكم.

٤.

قال الطبري رحمه الله:

﴿وَاللَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، يقول: وللعمل بطاعته، والاستعداد للدار الآخرة بالصالح من الأعمال التي تبقى منافعها لأهلها، ويدوم سرور أهلها فيها، خيرٌ من الدار التي تفتنى وشيكا، فلا يبقى لعباها فيها سرور، ولا يدوم لهم فيها نعيم، ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، يقول: للذين يخشون الله فيتقونه بطاعته واجتناب معاصيه، والمصارعة إلى رضاه، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، يقول: أفلا يعقل هؤلاء المكذّبون بالبعث حقيقة ما نخبرهم به، من أن الحياة الدنيا لعب ولهو، وهم يرون من يخترم منهم، ومن يهلك فيموت، ومن تنوبه فيها النوائب وتصيبه المصائب وتفجعه الفجائع.

ففي ذلك لمن عقل مدّكر ومزدجر عن الركون إليها، واستعباد النفس لها، ودليل واضح على أن لها مدبرًا ومصرفًا يلزم الخلق إخلاص العباد له، بغير إشراك شيءٍ سواه معه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - إننا نعلم تمام العلم أن أقوال هؤلاء المكذبين تُحزنك وتضايقك، لا يخفى علينا شيء من ذلك.

أما الذي يقولونه فمنه: قولهم عن رسول الله ﷺ: شاعر، كاهن، كذاب، مفتر، مجنون، ساحر.

ويقولون عن القرآن: سحر، قول البشر، شعر، أساطير الأولين.
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ في تكذيب قومه له، ومخالفتهم إياه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ أي: قد أحطنا علماً بتكذيب قومك لك، وحزنك وتأسفك عليهم، كقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨]، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿لَعَلَّكَ بَئِجُ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، ﴿فَلَعَلَّكَ بَئِجُ نَفْسِكَ عَلَىٰ عَآثِرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].



س: في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ قراءتان، وضحهما مع ذكر معنيهما؟

ج: القراءتان ذكرهما الطبري في «تفسيره»:

إحداهما: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ بكسر الهمزة.

الثانية: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾.

أما معنى القراءة الأولى: فهو فإن أهل الشرك والكفر والعناد لا يكذبونك فيما جئتكم به بل يعلمون صحته وصدقه ولكنهم ينكرون حقيقته بألستهم وأفواههم.

فقلوه: ﴿لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ أي: لا ينكرون صحة ما جئتهم به من القرآن ولكن يجادلون بألستهم.

أما معنى القراءة الثانية ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ أي: لا يعتقدون أنك كاذب، بل يعلمون صدق حديثك وأمانتك في الحديث، ويعتقدون أنك صادق ولكنهم عنادًا واستكبارًا ينكرون بألستهم صدقك.

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنها قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراءة، ولكل واحدة منهما في الصحة مخرج مفهوم.

وذلك أن المشركين لا شك أنه كان منهم قوم يكذبون رسول الله ﷺ، ويدفعونه عما كان الله تعالى ذكره خصه به من النبوة، فكان بعضهم يقول: هو شاعر، وبعضهم يقول: هو كاهن، وبعضهم يقول: هو مجنون، وينفي جميعهم أن يكون الذي أتاهم به من وحي السماء، ومن تنزيل رب العالمين، قولًا وكان بعضهم قد تبين أمره وعلم صحة نبوته، وهو في ذلك يعاند ويحسد نبوته حسدًا له وبغيًا.

فالقارئ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾، بمعنى: أن الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوتك وصدق قولك فيما تقول، يجحدون أن يكون ما تتلوه عليهم من تنزيل الله ومن عند الله، قولًا - وهم يعلمون أن ذلك من عند الله علمًا صحيحًا، مصيبًا، لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته.

وفي قول الله تعالى في هذه السورة: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٠]، أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم المعاند في جحود

نبوته ﷺ، مع علم منه به وبصحة نبوته.

وكذلك القارئ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بمعنى: أنهم لا يكذبون رسول الله ﷺ إلا عنادًا، لا جهلاً بنبوته وصدق هُجته، مصيب، لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم مَنْ هذه صفته.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أي: لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ إِنَّآئِدَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أي: ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا﴾ [الأنعام: ٣٤]؟

ج: يخبر الله عزَّ وجل نبيه محمدًا ﷺ بأن إخوانه من المرسلين قد كذبهم أقوامهم، فكما أن قومك كذبوك فقد كذبتهم أيضًا أقوامهم، وما كان من الأنبياء من قبلك إلا الصبر على الأذى والتكذيب، ولقد تمادى بهم الصبر حتى جاءهم نصر الله عزَّ وجل.

ولم يكن هناك ما يدفع نصر الله الذي أراده لعباده المرسلين، ولم يكن هناك مُغير لما أراده الله وقضاه ووعده به في كتابه الذي أنزله على رسوله ﷺ، بل نفذ أمر الله الذي أراده ووقع ما وعد الله به من نصر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.



س: ما المستفاد من إخبار الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ بقوله ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا...﴾ الآية؟

ج: من المستفاد من ذلك: تبصير النبي ﷺ وتثبيته وتسليته، فإن الشخص إذا علم أن هناك من شاركه في نفس الابتلاء هان عليه بلاؤه، وإذا علم أن من كان قبله صبر واحتسب، صبر هو الآخر واحتسب .
ومن المستفاد أيضاً: تبشير النبي ﷺ بنصر الله .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا﴾
هذه تسلية للنبي ﷺ، وتعزية له فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما نصرُوا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة.

قال الطبري رحمه الله:

وهذا تسلية من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، وتعزية له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه إياه على ما جاءهم به من الحق من عند الله .

يقول تعالى ذكره: إن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون من قومك؛ فيجحدوا نبوتك، وينكروا آيات الله أنها من عنده، فلا يحزنك ذلك، واصبر على تكذيبهم إياك وما تلقى منهم من المكروه في ذات الله، حتى يأتي نصر الله، فقد كذبت رسل من قبلك أرسلتهم إلى أممهم، فنالوهم بمكروه، فصبروا على تكذيب قومهم إياهم، ولم يثنهم ذلك من المضي لأمر الله الذي أمرهم به من دعاء قومهم إليه، حتى حكم الله بينهم وبينهم، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾، يقول: ولا مغير

لكلمات الله، و «كلماته» تعالى ذكره: ما أنزل الله إلى نبيه محمد ﷺ، من وعده إياه النصر على من خالفه وضاده، والظفر على من تولى عنه وأدبر، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾، يقول: ولقد جاءك يا محمد من خبر من كان قبلك من الرسل، وخبر أمهم وما صنعت بهم - حين جحدوا آياتي وتمادوا في غيهم وضلالهم - أنباء، وترك ذكر «أنباء»، لدلالة ﴿مِنْ﴾ عليها.

يقول تعالى ذكره: فانتظر أنت أيضًا من النصر والظفر مثل الذي كان مني فيمن كان قبلك من الرسل إذ كذبهم قومهم، واقتد بهم في صبرهم على ما لقوا من قومهم.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَصَبِرُوا عَلَى مَا كَذَبُوا﴾ أي: فاصبر كما صبروا. ﴿وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَنهَضَ النَّصْرُ﴾ أي: عوننا، أي فسيأتيك ما وعدت به. ﴿وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ مبين لذلك النصر؛ أي: ما وعد الله عز وجل به فلا يقدر أحد أن يدفعه؛ لا ناقض لحكمه، ولا خلف لوعده؛ و﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٥١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (١٧٢) ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ولا مغير لكلمات الله التي كتبها قبل الخليقة بخمسين ألف عام، ففي الحديث: «كَتَبَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(١) هذا، والمراد بالكلمات هنا: الكلمات التي كتبها

الله منها أنه ينصر عباده المؤمنين.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ولهذا قال: ﴿وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ أي: التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين، كما قال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (١٧٢) ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وانظر ما تقدم من قول القرطبي رحمه الله.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: لا خُلف لمواعيده، قاله ابن عباس.

والثاني: لا مبدل لما أخبر به وما أمر به، قاله الزجاج.

والثالث: لا مبدل لحكوماته وأقضيته النافذة في عباده، فعبرت الكلمات عن هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]، أي: وجب ما قضي عليهم. فعلى هذا القول، والذي قبله، يكون المعنى: لا مبدل لحكم كلمات الله، ولا ناقض لما حكم به، وقد حكم بنصر أنبيائه بقوله: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾.

والرابع: أن معنى الكلام: معنى النهي، وإن كان ظاهره الإخبار؛ فالمعنى: لا يبدل أحد كلمات الله، فهو كقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢].

والخامس: أن المعنى: لا يقدر أحد على تبديل كلام الله، وإن زخرف واجتهد؛ لأن الله تعالى صانه برصين اللفظ، وقويم الحكم، أن يختلط بألفاظ أهل الزيغ، ذكر هذه الألفاظ الثلاثة ابن الأنباري.

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اِسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: إن كان يا رسول الله قد شق عليك إعراض المعرضين عنك وتكذيب المكذبين لك، وكذبوا بالآيات التي جئتهم بها فلا تجزع ولا تحزن، فليس هناك أبلغ من الآيات التي جئتهم بها وليس هناك أدل على نبوتك منها فأيقن أن الهداية من عند الله ولو شاء الله لهدى هؤلاء المكذبين، فإن رضيت بهذا وأمرت به فكن صابراً محتسباً، وإن لم ترض بهذا فافعل ما استطعت فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض تبحث فيه عن آية يؤمنون بها فافعل، ولن يؤمنوا أبداً، وكذا لو استطعت أن تبحث عن مصعد تصعد به إلى السماء كي تأتيهم بآية فافعل، ولن تستطيع، فكن موقناً بأن الهادي هو الله عز وجل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن كان عظم عليك يا محمد إعراض هؤلاء المشركين عنك، وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحق الذي بعثتك به، فشق ذلك عليك، ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم، ﴿فَإِنْ اِسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾، يقول: فإن استطعت أن تتخذ سرباً في الأرض مثل: نافقاء اليربوع، وهي أحد جحورته فتذهب فيه، ﴿أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ﴾، يقول: أو مصعداً تصعد فيه، كالدرج وما أشبهها، كما قال الشاعر:

لَا تُحْرِزُ الْمَرْءَ أَحْجَاءُ الْبِلَادِ، وَلَا يُبْنَى لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ السَّلَالِيمُ

﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾، منها - يعني: بعلامة وبرهان على صحة قولك، غير الذي أتيتك - فافعل.

وقال أيضاً: وترك جواب الجزاء فلم يذكر، لدلالة الكلام عليه، ومعرفة السامعين بمعناه.

وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يفهم معناه عند المخاطبين به، فيقول الرجل منهم للرجل: إن استطعت أن تنهض معنا في حاجتنا، إن قدرت على معونتنا، ويحذف الجواب، وهو يريد: إن قدرت على معونتنا فافعل. فأما إذا لم يعرف المخاطب والسامع معنى الكلام إلا بإظهار الجواب لم يحذفوه.

لا يقال: إن تقم، فتسكت وتحذف الجواب؛ لأن المقول ذلك له لا يعرف جوابه إلا بإظهاره، حتى يقال: إن تقم تصب خيرًا، أو: إن تقم فحسن، وما أشبه ذلك. ونظير ما في الآية مما حذف جوابه وهو مراد، لفهم المخاطب لمعنى الكلام، قول الشاعر:

فَبِحَظٍّ مِمَّا نَعِيشُ، وَلَا تَذُ هَبْ بِكَ التَّرَهَاتُ فِي الْأَهْوَالِ

والمعنى: فبحظ مما نعيش فعيشي.

وقال السعدي رحمه الله: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ أي: شق عليك، من حرصك عليهم، ومحبتك لإيمانهم، فابذل وسعك في ذلك، فليس في مقدورك أن تهدي من لم يرد الله هدايته.

﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ أي: فافعل ذلك، فإنه لا يفيدهم شيئًا. وهذا قطع لطمعه في هداية أشباه هؤلاء المعاندين.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ ولكن حكمته تعالى، اقتضت أنهم يبقون على الضلال.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الذين لا يعرفون حقائق الأمور، ولا ينزلونها على منازلها.



س: اذكر بعض الأدلة على أن الهداية من الله عز وجل؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الفصص: ٥٦].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَأَنَّ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِرَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].



س: ما المراد بقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥]؟

ج: المراد - والله أعلم -: لا تكونن من الجاهلين بأن مرد الأمور إلى الله، وأن نفساً لن تهدي إلا إذا أراد الله لها الهداية.

قال الطبري رحمه الله:

﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ يا محمد، ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، يقول: فلا تكون ممن لا يعلم أن

الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه بلطفه، وأن من يكفر به من خلقه إنما يكفر به لسابق علم الله فيه، ونافذ قضائه بأنه كائن من الكافرين به اختياراً لا اضطراراً، فإنك إذا علمت صحة ذلك، لم يكبر عليك إعراض من أعرض من المشركين عما تدعوه إليه من الحق، وتكذيب من كذبك منهم.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: من الذين اشتد حزنهم وتحسروا حتى

أخرجهم ذلك إلى الجزع الشديد، وإلى ما لا يحل؛ أي لا تحزن على كفرهم فتقارب حال الجاهلين. وقيل: الخطاب له والمراد الأمة؛ فإن قلوب المسلمين كانت تضيق

من كفرهم وإذيتهم.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تجهل أنه لو شاء لجمعهم على الهدى.

والثاني: لا تجهل أنه يؤمن بك بعضهم ويكفر بعضهم.

والثالث: لا تكونن ممن لا صبر له؛ لأن قلة الصبر من أخلاق الجاهلين.



﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣٦) وَقَالُوا لَوْلَا
 نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
 ﴿ ٣٧ ﴾ وَمِمَّنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ
 مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿ ٣٨ ﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ
 مَنْ يَشِئِ اللَّهُ يُضِلِّلهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ ٣٩ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ
 أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ ٤٠ ﴾ بَلْ إِيَّاهُ
 تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿ ٤١ ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ
 مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿ ٤٢ ﴾ فَلَوْلَا إِذَا جَاءَهُمْ بَأْسُنَا
 تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ٤٣ ﴾ فَلَمَّا
 دُسُّوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا
 أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿ ٤٤ ﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿ ٤٥ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ
 اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ ﴿ ٤٦ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ
 أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿ ٤٧ ﴾ وَمَا نُرْسِلُ
 الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ ٤٨ ﴾

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٩١﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٩٢﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٩٥﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٦﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ وَلِتَسْتَوِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أُبْعِدُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٩٨﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ [الأنعام: ٣٦ - ٥٨].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ءَايَةٌ - دَابَّةٌ - مَا فَرَطْنَا - صُؤٌ - وَبُكْمٌ - الظُّلُمَاتِ - بِالْبَاسَاءِ - وَالضَّرَاءِ -
بَضْرَعُونَ - بَأْسُنَا - فَلَوْلَا - تَضَرَّعُوا - قَسَتْ قُلُوبُهُمْ - وَزَيْنَ - نُسُوا - بَغْتَةً - مُبِلِسُونَ
- فَقُطِعَ دَابِرُ - يَصْدِفُونَ - أَنْكُمْ - جَهْرَةً - يُحْشَرُوا - وَلِيٌّ - شَفِيعٌ - بِالْغَدَاةِ -
وَالْعِشْيِ - فَتَنًا - مَنْ أَلَّهُ - وَلِتَسْتَبِينَ - يَقْضُ الْحَقُّ - خَيْرُ الْفَصِيلِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ءَايَةٌ﴾	معجزة.
﴿دَابَّةٌ﴾	كل شيء يدب على الأرض.
﴿مَا فَرَطْنَا﴾	ما تركنا - ما ضعينا.
﴿صُؤٌ﴾	لا يسمعون (الحق).
﴿وَبُكْمٌ﴾	لا يتكلمون (بالحق).
﴿الظُّلُمَاتِ﴾	ظلمات الكفر.
﴿بِالْبَاسَاءِ﴾	شدة الفقر والضييق في المعيشة.
﴿وَالضَّرَاءِ﴾	الأمراض والأسقام والعلل العارضة في الأجسام.
﴿بَضْرَعُونَ﴾	يدعون ربهم متضرعين متذللين لله بالطاعة والدعاء.
﴿بَأْسُنَا﴾	عذابنا - الفقر والشدة.
﴿فَلَوْلَا﴾	فهلا.
﴿تَضَرَّعُوا﴾	دعوا - استكانوا - خضعوا.
﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	غلظت قلوبهم.

﴿وَزَيْنَ﴾	حَسَنَ.
﴿نَسُوا﴾	تركوا - لم يعملوا.
﴿بِفَتْةٍ﴾	فجأة.
﴿مُتْلِسُونَ﴾	آيسون - حزينون - نزل بهم شرٌّ لا يستطيعون دفعه - هلكى - انقطعت حججهم.
﴿فَقُطِعَ دَائِرُ﴾	استؤصلوا - هلكوا عن آخرهم.
﴿يَصْدِفُونَ﴾	يعرضون - يعدلون - يصدون.
﴿أَنْتُمْ﴾	نزل بكم - حلَّ بكم.
﴿جَهْرَةً﴾	عيانًا (يرونه بأعينهم).
﴿يُحْشَرُوا﴾	يجمعوا.
﴿وَلِيٍّ﴾	ناصرٌ.
﴿شَفِيعٌ﴾	من يشفع لهم لاستنقاذهم من العذاب.
﴿بِالْغَدَوَةِ﴾	الصباح.
﴿وَالْعِشِيِّ﴾	المساء.
﴿فَتَنًا﴾	اختبرنا - ابتلينا.
﴿مَنْ أَلَّهِ﴾	تفضل الله عليهم.
﴿وَلَتَسْتَبِينَ﴾	لتظهر - لتضح.
﴿يَقْصُ الْحَقَّ﴾	يقص القصص الحق - يقص بالحق - يقضي القضاء الحق.
﴿خَيْرَ الْفَصِيلِينَ﴾	خيرٌ من قضي وحكم وعدل.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾

ج: المعنى - والله أعلم -: إنما يستجيب لك ولما تدعو إليه من الإيذان والإسلام من رزقه الله حسن الاستماع وهم الذين فتح الله آذانهم وأسماعهم للاستماع للحق والإصغاء له والإنصات إليه وسهّل الله لهم اتباع الرشد وسلوك طرائق الهداية، فهؤلاء الذين رزقهم الله الفهم وحسن الاستماع ولم يختم على سمعهم ولم يجعل في آذانهم وقرّاهم الذين يجيئونك إلى ما تدعهم إليه من توحيد الله عزّ وجلّ وعبادته.

قال الطبري رحمه الله:

(يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يكبرنّ عليك إعراض هؤلاء المعرضين عنك، وعن الاستجابة لدعائك إذا دعوتهم إلى توحيد ربهم والإقرار بنبوتك، فإنه لا يستجيب لدعائك إلى ما تدعوه إليه من ذلك، إلا الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحق، وسهّل لهم اتباع الرشد، دون من ختم الله على سمعه، فلا يفقه من دعائك إياه إلى الله وإلى اتباع الحق إلا ما تفقه الأنعام من أصوات رعاتها، فهم كما وصفهم به الله تعالى ذكره: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، ﴿وَالْمَوْتِ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾، يقول: والكفار يبعثهم الله مع الموتى، فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتاً، ولا يعقلون دعاءً، ولا يفقهون قولاً، إذ كانوا لا يتدبرون حجج الله، ولا يعتبرون آياته، ولا يتذكرون فينزعرون عما هم عليه من تكذيب رسل الله وخلافهم).

هذا، وقد أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾، قال: هذا مثل المؤمن، سمع كتاب الله فانتفع به وأخذ به وعقله. والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم، وهذا مثل الكافر أصم أبكم، لا يبصر هدى ولا ينتفع به.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: إنما يستجيب لدعائك يا محمد من يسمع الكلام ويعيه ويفهمه، كقوله: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وقوله: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يعني: بذلك الكفار؛ لأنهم موتى القلوب، فشبهم الله بأموات الأجساد فقال: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ وهذا من باب التهكم بهم والازدراء عليهم.



س: من الذين عناهم الله عز وجل بقوله: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾

ج: قيل في تفسيرها قولان:

أحدهما: أن الموتى هم الكفار، ودليله: قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَاحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فالكافر ميت.

وبدليل قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ وهم المؤمنون، والموتى هم الكفار.

الثاني: أن الموتى هم الأموات عموماً مؤمنهم وكافرهم.

واختار الطبري رحمه الله: الوجه الأول، وقال في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

(وأما قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، فإنه يقول تعالى ذكره: ثم إلى الله يرجع المؤمنون الذين استجابوا لله والرسول، والكفار الذين يحول الله بينهم وبين أن يفقهوا عنك شيئاً، فيشب هذا المؤمن على ما سلف من صالح عمله في الدنيا بما وعد أهل الإيمان به من الثواب، ويعاقب هذا الكافر بما أوعدهم أهل الكفر به من العقاب، لا يظلم أحداً منهم مثقال ذرة).



س: من القائلون ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾

ج: قائلوا ذلك هم: أهل الشرك والعناد.



س: اذكر بعض هذه الآيات التي طلبها المشركون؟

ج: من ذلك قولهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَلْبُوعًا

﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ

تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ

لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرْئِيفٍ أَوْ تُرَفٍّ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْبِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾

[الإسراء: ٩٠-٩٣].

ومن ذلك قولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفَخَ

إِلَيْنَا كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٧، ٨].

ومن ذلك قولهم: اجعل لنا الصفا ذهبًا!

إلى غير ذلك.



س: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون ماذا؟

ج: لا يعلمون قدرة الله وعظيم قدره وأيضًا: لا يعلمون ما في الآيات - إذا

نزلت - من العقوبات لهم إذا لم يؤمنوا بها.

وأيضًا: لا يعلمون خطورة قولهم وشدة خطئه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: هو تعالى

قادر على ذلك ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك؛ لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا

ثم لم يؤمنوا، لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالأُمم السالفة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَايِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩] وقال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِيلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤].

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلَّهِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذكر في هذه الآية الكريمة: أنه قادر على تنزيل الآية التي اقترحها الكفار على رسوله، وأشار لحكمة عدم إنزالها بقوله: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وبين في موضع آخر أن حكمة عدم إنزالها أنها لو أنزلت ولم يؤمنوا بها، لنزل بهم العذاب العاجل كما وقع بقوم صالح لما اقترحوا عليه إخراج ناقة عשרاء، وبراء، جوفاء، من صخرة صماء، فأخرجها الله لهم منها بقدرته ومشيتته، فعقروها ﴿وَقَالُوا يَصْطَلِحُ أَقْتِنَا يَمَا تَعِدُنَا﴾ [الأعراف: ٧٧] فأهلكهم الله دفعه واحدة بعذاب استئصال، وذلك في قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَايِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩] وبين في مواضع أخرى أنه لا داعي إلى ما اقترحوا من الآيات؛ لأنه أنزل عليهم آية أعظم من جميع الآيات التي اقترحوها، هي القرآن العظيم، وذلك في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١] فإنكاره جل وعلا عليهم عدم الاكتفاء بهذا الكتاب عن الآيات المقترحة يدل على أنه أعظم وأفخم من كل آية، وهو كذلك ألا ترى أنه آية واضحة، ومعجزة باهرة، أعجزت جميع أهل الأرض، وهي باقية تتردد في آذان الخلق غضة طرية حتى يأتي أمر الله. بخلاف غيره من معجزات الرسل صلوات الله عليهم وسلامه فإنها كلها مضت وانقضت.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ ذَا بَنُو فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ...﴾ [الأنعام: ٣٨] الآية

ج: معنى ذلك - والله أعلم -: أنه ما من شيء يدب على الأرض برجليه، أو يبطنه أو بأي شيء، وكذا ولا طائر يطير في السماء أيًا كان هذا الطائر إلا جماعات أمثالكم يا بني آدم، لهم أسماؤهم، ولهم أعمالهم، ولهم أفهامهم، ولهم أساليب مخاطبتهم، وقد علمهم ربي عز وجل وأحصى أعمالهم وكتبها في اللوح المحفوظ قبل خلقهم وكذا أحصى عليهم أعمالهم في الدنيا حتى يوافيهم بها يوم يجمعهم، فإذا كان هذا شيء من علم ربي عز وجل فهل تخفى عليه منكم يا بني آدم خافية؟ كلا بل قد أحاط بكم وبأفعالكم بل وبكل شيء علماً.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل هؤلاء المعرضين عنك، المكذبين بآيات الله: أيها القوم، لا تحسبن الله غافلاً عما تعملون، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون، وكيف يغفل عن أعمالكم، أو يترك مجازاتكم عليها، وهو غير غافل عن عمل شيء دبَّ على الأرض صغير أو كبير، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء؟! بل جعل ذلك كله أجناساً مجسّسة وأصنافاً مصنفة، تعرف كما تعرفون، وتتصرف فيها سُخِّرَتْ له كما تتصرفون، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها، ومُثَبَّت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب، ثم إنه تعالى ذكره مميتها ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاء أعمالها.

يقول: فالرب الذي لم يضيع حفظ أعمال البهائم والدواب في الأرض، والطير في الهواء، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء، أخرى أن لا يضيع أعمالكم، ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجتريحونها أيها الناس، حتى يحشركم

فيجازيكم على جميعها، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًا فشرًا، إذ كان قد خصكم من نعمه، وبسط عليكم من فضله، ما لم يعمَّ به غيركم في الدنيا، وكنتم بشكره أحقَّ، وبمعرفة واجبه عليكم أولى؛ لما أعطاكم من العقل الذي به بين الأشياء تميزون، والفهم الذي لم يعطه البهائم والطير، الذي به بين مصالحكم ومضاركم تفرّقون.



س: قد علّم أن كل طائر إنما يطير بأجنحة، فلماذا ذكر قوله ولا طائر يطير بجناحيه؟

ج: قال بعض العلماء: ذلك للمبالغة والتأكيد، والله تعالى أعلم.
قال الطبري رحمه الله:

فإن قال قائل: فما وجه قوله: ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾؟ وهل لا يطير الطائر إلا بجناحيه؟ فما في الخبر عن طيرانه بالجنّاحين من الفائدة؟

قيل: قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى ذكره أنزل هذا الكتاب بلسان قوم، وبلغتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه في منطقهم خاطبهم، فإذا كان من كلامهم إذا أرادوا المبالغة في الكلام أن يقولوا: كلمت فلانًا بفمي، ومشيت إليه برجلي وضربته بيدي، خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه في كلامهم، ويستعملونه في خطابهم، ومن ذلك قوله تعالى ذكره: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً﴾ [ص: ٢٣].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَا أُمُّ أَمْثَالِكُمْ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: المعنى: أنها أمثالكُم في الخلق والموت والبعث، كما أنكم خلقتُم فقد خلقت وستموت كما تموتون وتُبعث كما تبعثون.

وقيل: أمثالكُم في الأخلاق؛ منهم الطيب والخبث، وقيل: أمثالكُم في

العلم بما يضرها وما ينفعها، وقيل: أمثالكم فيما بينها فيعرف بعضهم أسماء بعض وخصال بعض ونحو ذلك، والله أعلم.

هذا، ومن الأدلة على أن الدواب: أممٌ قوله ﷺ: «أَنَّ نَمْلَةً قَرَصَتْ نَبِيًّا وَمِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَفِي أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ، أَلَا هَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً؟!»^(١).



س: كيف قيل: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، وهنالك أمور لم تذكر في الكتاب العزيز؟

ج: إذا قيل: إن المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ فلا إشكال وإذا قيل: إن المراد القرآن، فإن لم يكن الشيء مذكور فيه صراحة فقد ذكر فيها ضمناً، والله أعلم.
قال السمعاني في «تفسيره»:

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فإن قال قائل: نرى كثيراً من الأحكام ليست في الكتاب، فما معنى قوله: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾؟ قيل: ما من شيء إلا وأصله في الكتاب، وقيل: ما قاله الرسول، فإنما قاله من الكتاب؛ لأنه ﷺ قد قال في خبر معروف: «أوتيت القرآن ومثله» وقد قال الله - تعالى - ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] فكل ما ثبت بالسنة فكأنه ثابت في الكتاب، وقيل: معناه: ما فرطنا في الكتاب من شيء تقع الحاجة إليه.



س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾
ج: قيل: المراد به: اللوح المحفوظ، وعلى هذا أكثر أهل العلم.

(١) مسلم (٢٢٤١)، والبخاري بنحوه (بدء الخلق: ٣٣١٩).

وقيل: المراد: الكتاب الذي كتبت فيه أعمالهم التي عملوها، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: الجميع علمهم عند الله ولا ينسى واحداً من جميعها: من رزقه وتديره، سواء كان برياً أو بحرياً، كقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦] أي: مفصّل بأسماؤها وأعدادها ومظاهها، وحاصر لحركاتها وسكناتها، وقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: في اللوح المحفوظ فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث.

وقيل: أي: في القرآن؛ أي ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن؛ إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقّى بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب؛ قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وقال: ﴿وَمَا ءَانَكُمُ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] فأجل في هذه الآية وآيتي «النحل» ما لم ينص عليه مما لم يذكره، فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره، إما تفصيلاً وإما تأصيلاً؛ وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

وقال السعدي في «تفسيره»:

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما أهملنا ولا أغفلنا في اللوح المحفوظ شيئاً من الأشياء، بل جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها مثبتة في اللوح المحفوظ على

ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ماجرى به القلم.

وفي هذه الآية دليل على: أن الكتاب الأول قد حوى جميع الكائنات. وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب:

علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته العامة النفاذة كل شيء، وخلقه لجميع المخلوقات حتى أفعال العباد.

ويحتمل أن المراد بالكتاب: هذا القرآن، وأن المعنى كالمعنى في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.



س: ما المراد بالحشر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد بالحشر: جمعهم يوم القيامة للحساب، وهذا يؤيده قول رسول الله ﷺ «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلُحَاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءُ»^(١).

وقد ورد في الباب^(٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال لي: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي فِيمَ انْتَطَحَتَا؟» قلت: لا! قال: «لَكِنَّ اللَّهَ يَذَرِي وَسِيقَظِي بَيْنَهُمَا»، قال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً.

والثاني: أن المراد بحشرها: موتها، وقد ورد عن^(٣) ابن عباس رضي الله عنهما

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٢).

(٢) الطبري (١٣٢٢٧)، وفي سنده بعض الضعف.

(٣) الطبري (١٣٢٢٢)، (١٣٢٢٣).

أنه قال: موت البهائم حشرها.

قال الطبري رحمه الله: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن كل دابة وطائر محشورٌ إليه.

وجائز أن يكون معنياً بذلك حشر القيامة، وجائز أن يكون معنياً به حشر الموت، وجائز أن يكون معنياً به الحشران كلاهما، ولا دلالة في ظاهر التنزيل، ولا في خبر عن الرسول ﷺ أي: ذلك المراد بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾، إذ كان (الحشر)، في كلام العرب الجمع، ومن ذلك قول الله تعالى ذكره: ﴿وَالطَّيْرَ مُحْشَرَةً كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٩]، يعني: مجموعة.

فإذا كان الجمع هو الحشر، وكان الله تعالى ذكره جامعاً خلقه إليه يوم القيامة، وجامعهم بالموت، كان أصوب القول في ذلك أن يعَمَّ بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها، وأن يقال: كل دابة وكل طائر محشورٌ إلى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة، إذ كان الله تعالى ذكره قد عمَّ بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ولم يخص به حشراً دون حشر.

أما القرطبي رحمه الله تعالى: فقال بعد أن أورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلُحَاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»^(١) وأورد جملة أقوال ثم قال:

الصحيح القول الأول لما ذكرناه من حديث أبي هريرة، وإن كان القلم لا يجري عليهم في الأحكام ولكن فيما بينهم يؤخذون به؛ وروي عن زبي ذر قال: انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي فِيْمَ انْتَطَحَتَا؟» قلت: لا قال: «لَكِنَّ اللَّهَ يَذَرِي وَسَيْقُضِي بَيْنَهُمَا» وهذا نص.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرَ بُعْدُكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: والذين كذبوا بما أخبرناهم به من قدرتنا على كل شيء وإحاطتنا بكل شيء، وبصححة ما جاء به رسولنا ﷺ، هؤلاء المكذبون دومًا لا يسمعون حقًا، وإن سمعوا لا يفهمون ولا يفقهون، ودومًا كلامهم مظلم، وكلامهم مظلم، فهم غارقون في الظلمات لا يخرجون منها إلا إذا شاء الله، وقد شاء الله أن يضلهم فلا هادي لمن أضل، ولا مُضِلٌّ لمن هدى.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: والذين كذبوا بحجج الله وأعلامه وأدلته، ﴿صُغُرَ بُعْدُكُمْ﴾، عن سماع الحق، ﴿وَبُعْدُكُمْ﴾، عن القيل به، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾، يعني: في ظلمة الكفر حائرًا فيها، يقول: هو مرتطم في ظلمات الكفر، لا يبصر آيات الله فيعتبر بها، ويعلم أن الذي خلقه وأنشأه فدبره وأحكم تدبيره، وقدره أحسن تقدير، وأعطاه القوة، وصحح له آلة جسمه، لم يخلقه عبثًا، ولم يتركه سدى، ولم يعطه ما أعطاه من الآلات إلا لاستعمالها في طاعته وما يرضيه، دون معصيته وما يسخطه. فهو لحيرته في ظلمات الكفر، وتردده في غمراتها، غافلٌ عما الله قد أثبت له في أم الكتاب، وما هو به فاعلٌ يوم يحشر إليه مع سائر الأمم.

ثم أخبر تعالى ذكره أنه المِضِلُّ من يشاء إضلاله من خلقه عن الإيذان إلى الكفر، والهادي إلى الصراط المستقيم منهم من أحبَّ هدايته، فموفقٌ بفضلِهِ وطوله للإيذان به، وترك الكفر به وبرسله وما جاءت به أنبياءه، وأنه لا يهتدي من خلقه أحد إلا من سبق له في أم الكتاب السعادة، ولا يضل منهم أحد إلا من سبق له فيها الشقاء، وأنَّ بيده الخير كله، وإليه الفضل كله، له الخلق والأمر.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرَ بُعْدُكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: مثلهم في جهلهم، وقلة علمهم، وعدم فهمهم، كمثل أصم: وهو

الذي لا يسمع، أبكم: وهو الذي لا يتكلم، وهو مع هذا في ظلمات لا يبصر، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق، أو يخرج مما هو فيه؟! كقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧) ﴿ثُمَّ بُكِّمُوا عَنْهُمْ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٧، ١٨]، وكما قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكَدُهُ لَمْ يَكْدِرْ بِهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]؛ ولهذا قال: ﴿مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَاءِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: هو المتصرف في خلقه بما يشاء.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿صُمُّوا وَبُكِّمُوا﴾ أي: لا يسمعون بأسماعهم ولا ينطقون بألسنتهم، نزلهم بمنزلة من لا يسمع ولا ينطق لعدم قبولهم لما ينبغي قبوله من الحجج الواضحة والدلائل الصحيحة، وقال أبو علي: يجوز أن يكون صممهم وبكمهم في الآخرة.

﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: في ظلمات الكفر والجهل والحيرة والعناد والتقليد لا يهتدون لشيء مما فيه صلاحهم، والمعنى: كائنين في الظلمات التي تمنع من إبصار المبصرات فضموا إلى الصمم والبكم عدم الانتفاع بالأبصار لتراكم الظلمة عليهم؛ فكانت حواسهم كالمسلوبة التي لا يتتفع بها بحال، وقد تقدم في سورة البقرة تحقيق المقام بما يغني عن الإعادة.

ثم بين الله سبحانه أن الأمر بيده؟، ما شاء فعل فقال: ﴿مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ أي: أضله عن الإيمان ﴿وَمَنْ يَشَاءِ﴾ أن يهديه ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: على دين الإسلام لا يذهب به إلى غير الحق ولا يمشي فيه إلا إلى صوب الاستقامة، وفيه دليل على: أن الهادي والمضل هو الله تعالى، وهذا عدل منه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.



س: وضع موقع الكاف في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾

ج: قال الطبري رحمه الله:

اختلف أهل العربية في معنى قوله: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾.

فقال بعض نحويي البصرة: (الكاف) التي بعد (التاء) من قوله:

﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ إنما جاءت للمخاطبة، وتركت (التاء) مفتوحة، كما كانت للواحد.

قال: وهي مثل (كاف) رويدك زيدًا، إذا قلت: أرود زيدًا، هذه (الكاف)

ليس لها موضع مسمى بحرف، لا رفع ولا نصب، وإنما هي في المخاطبة مثل كاف

(ذاك). ومثل ذلك قول العرب: أبصرك زيدًا، يدخلون (الكاف) للمخاطبة.

وقال آخرون منهم: معنى: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ﴾، أرايتم. قال: وهذه

(الكاف) تدخل للمخاطبة مع التوكيد، و (التاء) وحدها هي الاسم، كما أدخلت

(الكاف) التي تفرق بين الواحد والاثنين والجميع في المخاطبة، كقولهم: (هذا،

وذاك، وتلك، وأولئك)، فتدخل (الكاف) للمخاطبة، وليست باسم، و (التاء)

هو الاسم للواحد والجميع، تركت على حال واحدة.

ومثل ذلك قولهم: ليسك ثمَّ إلا زيد، يراد: ليس، وكذلك: لا سيك زيد،

فيراد: ولا سيما زيد، و (بلاك) فيراد، (بلى) في معنى: (نعم)، و (لبئسك رجلًا،

ولنعملك رجلًا). وقالوا: (انظرك زيدًا ما أصنع به)، و (أبصرك ما أصنع به)،

بمعنى: أبصره. وحكى بعضهم: (أبصركم ما أصنع به)، يراد: أبصروا، و

(انظركم زيدًا)، أي انظروا. وحكي عن بعض بني كلاب: (أتعلمك كان أحد

أشعر من ذي الرمة؟)، فأدخل (الكاف).



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ﴾ الآية.

ج: قال الطبري رحمه الله في معناها:

وتأويل الكلام: قل يا محمد، لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام: أخبروني إن جاءكم أيها القوم عذاب الله كالذي جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالصاعقة، أو جاءكم الساعة التي تنشرون فيها من قبوركم، وتبعثون لموقف القيامة، أغير الله هناك تدعون لكشف ما نزل بكم من البلاء، أو إلى غيره من آلهتكم تفزعون لينجيكم ما نزل بكم من عظيم البلاء؟، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، يقول: إن كنتم محققين في دعواكم وزعمكم أن آلهتكم التي تدعونها من دون الله تنفع أو تضر.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى أنه الفعال لما يريد، المتصرف في خلقه بما يشاء، وأنه لا معقب لحكمه، ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه، بل هو وحده لا شريك له الذي إذا سئل يجيب لمن يشاء؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ﴾ أي: أتاكم هذا أو هذا ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: لا تدعون غيره؛ لعلمكم أنه لا يقدر أحد على دفع ذلك سواه؛ ولهذا قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في اتخاذكم آلهة معه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَٰهَ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾

ج: المعنى - والله أعلم -: بل إذ أتاكم عذاب الله أو جاءكم الساعة لن تتجهوا بدعائكم إلى غير الله عز وجل بل ستخلصون الدعاء لله وحده كما قال

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] وحينئذ ستنسون كل الآلهة التي عبدتموها مع الله عز وجل.

فحينئذ يذهب الله عنكم السوء ويصرف عنكم المكروه إذا دعوتهم، ولكن ذلك موكل إلى مشيئته، فإن شاء كشف العذاب وإن شاء أبقاكم فيه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره، مكذباً لهؤلاء العادلين به الأوثان: ما أنتم أيها المشركون بالله الآلهة والأنداد، إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بمستجيرين بشيء غير الله في حال شدة الهول النازل بكم من آلهة ووثن وصنم، بل تدعون هناك ربكم الذي خلقكم، وبه تستغيثون، وإليه تفزعون، دون كل شيء غيره، ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾، يقول: فيفرج عنكم عند استغاثتكم به وتضرعكم إليه، عظيم البلاء النازل بكم إن شاء أن يفرج ذلك عنكم؛ لأنه القادر على كل شيء، ومالك كل شيء، دون ما تدعونه إلهاً من الأوثان والأصنام، ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ﴾، يقول: وتنسون حين يأتيكم عذاب الله أو تأتيكم الساعة بأهوالها ما تشركونه مع الله في عبادتكم إياه، فتجعلونه له ندّاً من وثن وصنم، وغير ذلك مما تعبدونه من دونه وتدعونه إلهاً.

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ﴾ أي: في وقت الضرورة لا تدعون أحداً سواه، وتذهب عنكم أصنامكم وأندادكم، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾ الآية.



س: ذكر بعض أهل العلم أن هذه الآية الكريمة: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾ مقيدة لآيات أخرى من آيات الدعاء، وضح ذلك؟

ج: نعم، قد ذكر ذلك بعض أهل العلم، فقالوا: إن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ مقيد بقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾. وكذا قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، مقيد بقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾

ج: المعنى - والله أعلم -: وكما أخذنا قومك ببعض الشدة حتى يرجعوا إلى طريق الله عز وجل، فكذلك أرسلنا رسلاً إلى قومهم فأخذناهم بالفقر والأسقام والعلل لعلهم يتجهون إلينا بالدعاء. قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: متوعداً لهؤلاء العادلين به الأصنام، ومحذره أن يسلك بهم إن هم تمادوا في ضلالهم سبيل من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم، في تعجيل الله عقوبته لهم في الدنيا، ومخبراً نبيه عن سنته في الذين خلوا قبلهم من الأمم على منهاجهم من تكذيب الرسل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾، يا محمد، ﴿إِلَىٰ أُمَمٍ﴾، يعني: إلى جماعات وقرون، ﴿مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾، يقول: فأمرناهم ونهيناهم، فكذبوا رسلنا، وخالفوا أمرنا ونهينا، فامتحناهم بالابتلاء، ﴿بِالْبَأْسَاءِ﴾، وهي شدة الفقر والضيق في المعيشة، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾، وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام.

وقال أيضاً:

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ يقول: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إليّ، ويخلصوا لي

العبادة، ويفردوا رغبتهم إلى دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إليّ بالإنابة.

وفي الكلام محذوفٌ قد استغني بها دلّ عليه الظاهر من إظهاره دون قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ﴾، وإنما كان سبب أخذه إياهم، تكذيبهم الرسل وخلافهم أمره، لا إرسال الرسل إليهم. وإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن معنى الكلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلاً فكذبوهم، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾.

و(التضرع) هو (التفعل) من (الضراعة)، وهي الذلة والاستكانة.



س: استدل البعض بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ على تهذيب أنفسهم بتجويعها ومنعها الملذات، ما مدى صحة الاستدلال؟

ج: الاستدلال بهذه الآية الكريمة في غير محله، فقد كان النبي ﷺ يلبس جميل الثياب، ويأكل اللحم في حال وجوده وتوافره فلما دُخل عليه بطعام غير اللحم ذات يوم قال ألم أر البرمة (يعني التي بها اللحم).

قال القرطبي رحمه الله:

قال ابن عطية: استدل العباد في تأديب أنفسهم بالبأساء في تفريق الأموال، والضراء في الحمل على الأبدان بالجوع والعري بهذه الآية.

قلت: هذه جهالة ممن فعلها وجعل هذه الآية أصلاً لها؛ هذه عقوبة من الله لمن شاء من عباده يمتحنهم بها، ولا يجوز لنا أن نمتحن أنفسنا ونكافئها قياساً عليها؛ فإنها المطية التي نبلغ عليها دار الكرامة، ونفوز بها من أهوال يوم

القيامة؛ وفي التنزيل: ﴿يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧]: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] فأمر المؤمنين بما خاطب به المرسلين؛ وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يأكلون الطيبات ويلبسون أحسن الثياب ويتجملون بها؛ وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جرأ، على ما تقدّم بيانه في «المائدة» وسيأتي في «الأعراف» من حكم اللباس وغيره؛ ولو كان كما زعموا واستدلوا لما كان في امتنان الله تعالى بالزروع والجنات وجميع الثمار والنبات والأنعام التي سخرها وأباح لنا أكلها وشرب ألبانها والدفء بأصوافها - إلى غير ذلك مما امتن به - كبير فائدة، فلو كان ما ذهبوا إليه فيه الفضل لكان أولى به رسول الله ﷺ وأصحابه ومن بعدهم من التابعين والعلماء، وقد تقدّم في آخر «البقرة» بيان فضل المال ومنفعته والردّ على من أبى من جمعه؛ وقد نهى النبي ﷺ عن الوصال مخافة الضعف على الأبدان، ونهى عن إضاعة المال ردًا على الأغنياء الجهال.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

ج: المعنى، والله أعلم، فهلا إذا حلّ بهؤلاء عذابنا المتمثل في البأساء والضراء استكانوا وتذلّلوا لربهم ودعوه وسألوه، ولكن ما حدث ذلك بل اشتدت قسوة قلوبهم وحسّن لهم الشيطان أعمال السوء التي يعملونها.

قال الطبري رحمه الله: فتأويل الكلام إذا: فهلاًّ إذ جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذبة رسلها، الذين لم يتضرعوا عند أخذناهم بالبأساء والضراء، ﴿تَضَرَّعُوا﴾، فاستكانوا لربهم، وخضعوا لطاعته، فيصرف ربهم عنهم بأسه، وهو عذابه.

﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، يقول: ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهم، وأصرُّوا على ذلك، واستكبروا عن أمر ربهم، استهانةً بعقاب الله، واستخفافاً بعذابه، وقساوة قلب منهم، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، يقول: وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخطها منهم.



س: كثيراً ما يؤخذ الناس بالعذاب لإرجاعهم إلى طريق ربهم عز وجل، وكثيراً ما تسلط عليهم المحن والابتلاءات حتى يرجعوا إلى ربهم، دُلَّ على ذلك ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].
وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].



س: ما صحة هذا الحديث إذا رأيت الله يعطي عبده في دنياه إنما هو استدراج^(١) ثم تلا هذه الآية ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ والحمد لله رب العالمين؟

ج: في رجال سند هذا الحديث بعض الكلام، ولكن له عدة شواهد من

(١) أخرجه الطبري (١٣٢٤٣، ١٣٢٤٤)، ولفظه:

أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله تعالى ذكره يعطي العباد ما يسألون على معاصيهم إياه، فإنما ذلك استدراج منه لهم»! ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية.

الكتاب العزيز كالآية المذكورة، وكقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨] وغير ذلك من الآيات.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أننا لما أخذنا هؤلاء الظلمة بأنواع الفقر والشدة، والمرض، وذلك حتى يتضرعوا ويستكِينوا ويجارون إلينا، فلما لم يجد ذلك ولم ينفع وسعنا عليهم في الأرزاق وأمددناهم بالأموال والأولاد استدراجاً منا لهم حتى إذا فرحوا بما أُوتوا أحللنا عليهم عذابنا فجأة فإذا هم آيسون من رحمتنا، فإذا هم في حزنٍ دائم نادمون على ما صدر منهم لا يستطيعون دفع ما حلَّ بهم ونزل بهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم، عياداً بالله من مكره، ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ أي: من الأموال والأولاد والأرزاق ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ أي: على غفلة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ أي: آيسون من كل خير.



س: كيف يؤاخذ هؤلاء القوم على النسيان في قوله ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ والنسيان ليس من فعلهم؟

ج: المراد بالنسيان هاهنا ترك العمل، وكثيراً ما يأتي النسيان ويراد به ترك العمل، كما في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾

[الأعراف: ٥١] وكما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ ءَايَتُنَا فَنَسِيهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ [طه: ١٢٦].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم استؤصل الذين ظلموا، وأبیدوا من أصلهم فلم يبق منهم أحد.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم، وكذبوا رسله، وخالفوا أمره، عن آخرهم، فلم يترك منهم أحد إلا أهلك بغتة إذ جاءهم عذاب الله.
وقال أيضاً:

و﴿دَائِرُ الْقَوْمِ﴾، الذي يدبرهم، وهو الذي يكون في أدبارهم وآخرهم.
يقال في الكلام: «قد دبر القوم فلان يدبرهم دبراً ودبوراً» إذا كان آخرهم،
ومنه قول أمية:

فَأَهْلِكُوا بِعَذَابٍ حَصَّ دَائِرَهُمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ صَرْفًا وَلَا انْتَصَرُوا



س: إهلاك أهل الظلم نعمة من الله عز وجل دُلِّلَ على ذلك

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال في الفاجر يموت «مستراح منه»^(١).



(١) البخاري (حديث ٦٥١٢)، ومسلم (حديث ٩٥٠).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾؟

ج: معنى ذلك، والله أعلم، قل يا رسول الله هؤلاء المكذبين بك المشركين بالله العابدين للوثن والصنم، يا هؤلاء أرايتم إن أصابكم الله بالصمم، والعمى وذهب بأفهامكم فلم تعودوا تعقلون، من الإله غير الله الذي يأتيكم بما أخذه الله منكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، هؤلاء العادلين بي الأوثان والأصنام، المكذبين بك: أرايتم، أيها المشركون بالله غيره، إن أصمكم الله فذهب بأسماعكم، وأعمالكم فذهب بأبصاركم، وختم على قلوبكم فطبع عليها، حتى لا تفقهوا قولاً، ولا تبصروا حجة، ولا تفهموا مفهوماً، أي إله غير الله الذي له عبادة كل عابد، ﴿يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾، يقول: يرد عليكم ما ذهب الله به منكم من الأسماع والأبصار والأفهام، فتعبده أو تشركوه في عبادة ربكم الذي يقدر على ذهابه بذلك منكم، وعلى رده عليكم إذا شاء؟

وهذا من الله تعالى ذكره، تعليم نبيه الحجة على المشركين به، يقول له: قل لهم: إن الذين تعبدهم من دون الله لا يملكون لكم ضرراً ولا نفعاً، وإنما يستحق العبادة عليكم من كان بيده الضر والنفع، والقبض والبسط، القادر على كل ما أراد، لا العاجز الذي لا يقدر على شيء.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ﴾ هؤلاء المكذبين المعاندين ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ أي: سلبكم إياهما كما أعطاكموها، فإنه ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بهما الانتفاع الشرعي؛ ولهذا قال: ﴿وَحَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ كما قال: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [يونس: ٣١] وقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤].



س: لماذا وُحِدَ السمع في قوله تعالى: ﴿سَمِعْتُمْ﴾

ج: قال بعض العلماء لأنه مصدرٌ يدل على الجمع.



س: لماذا وُحِدَت الهاء في قوله: ﴿يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾ وقد ذكر السمع والأبصار

والقلوب وهذا جمع

ج: أجاب الطبري على ذلك بقوله:

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾، فوَحِدَ «الهاء»، وقد مضى الذكر قبل بالجمع فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَحَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ؟﴾

قيل: جائز أن تكون «الهاء» عائدة على «السمع»، فتكون موحدة لتوحيد «السمع»، وجائز أن تكون معنيًا بها: من إله غير الله يأتاكم بما أخذ منكم من السمع والأبصار والأفئدة، فتكون موحدة لتوحيد «ما». والعرب تفعل ذلك، إذا كنت عن الأفعال وُحِدَت الكناية، وإن كثر ما يبنى بها عنه من الأفاعيل، كقولهم: «إقبالك وإدبارك يعجبني».

وقد قيل إن «الهاء» التي في ﴿بِهِ﴾ كناية عن «الهدى».

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله: ﴿يَصْدِفُونَ﴾، قال أهل التأويل.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾ أي: هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك

إليكم، إذا سلبه الله منكم؟ لا يقدر على ذلك أحد سواه، ولهذا قال: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبينها ونوضحها ونفسرها، دالة على أنه لا إله إلا الله، وأن ما يعبدون من دونه باطل وضلال ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ أي: ثم هم مع هذا البيان يصدفون، أي: يعرضون عن الحق ويصدّون الناس عن اتباعه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، انظر يا رسول الله كيف ننوع الآيات ونتابعها على هؤلاء ثم هم بعد ذلك يعرضون عن هذه الآيات .
قال الطبري رحمه الله:

ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾، يقول: انظر كيف تتابع عليهم الحجج، ونضرب لهم الأمثال والعبر، ليعتبروا ويذكروا فينبوا، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾، يقول: ثم هم مع متابعتنا عليهم الحجج، وتنبيها إياهم بالعبر، عن الذاكر والاعتبار يعرضون.



س: وضح معنى الآية الكريمة ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله هؤلاء المعرضين عنك المكذبين لما جئت به، المشركين بالله، أرايتم يا هؤلاء إن حلّ بكم عذاب الله عزّ وجل وعقابه فجأة أو أتاكم وأنتم تتوقعون نزوله بكم وترونه عياناً وهو قادم عليكم، من الذي سيصاحبه الهلاك ولا ينفك عنه العذاب ولا يزول بل يلزمه إن الذي سيصاحبه

الهلاك ويدوم عليه العذاب هو الظالم لنفسه باتخاذ شريكاً لله عز وجل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين ببرهم الأوثان، المكذبين بأنك لي رسول إليهم: أخبروني، ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾، وعقابه على ما تشركون به ما تشركون من الأوثان والأنداد، وتكذيبكم إياي بعد الذي قد عايتم من البرهان على حقيقة قولي، ﴿بَغْتَةً﴾، يقول: فجأة على غرة لا تشعرون، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾، يقول: أو أتاكم عذاب الله وأنتم تعاینونه وتنظرون إليه، ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾، يقول: هل يهلك الله منا ومنكم إلا من كان يعبد غير من يستحق علينا العباداة، ويترك عباداة من يستحق علينا العباداة؟

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ بغتة أي: وأنتم لا تشعرون به حتى بغتكم وفجأكم ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ أي: ظاهراً عياناً ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ أي: إنما كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله، وينجو الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، كقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].



س: قد ينزل على الناس عذابٌ عام يعمُّ المؤمن والكافر على السواء فكيف يجاب إذن على قوله تعالى ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾؟

ج: في حالة نزول العذاب العام، فإن المؤمن، وإن مات فإنه يرحم بعد هذا

الموت، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال في ميتٍ «مستريحٌ ومستراح منه»^(١) فالْمُؤْمِنُ يستريح من نصب الدنيا وتعبها، والفاجر يستريح منه الناس والدواب. فعليه فإذا نزل العذاب عامًّا فالفاجر يلزمه العذاب ولا ينفك عنه، فهو عند حلول البلاء به في الدنيا معذب وعند الموت معذبٌ وفي القبر معذبٌ وعند البعث معذبٌ ويوم الحساب معذبٌ، وهذا العذاب حق العذاب، عافانا الله والمسلمين.

هذا، وكمزید من الإيضاح لما سبق، أقول، وبالله التوفيق إن بيتًا ما قد يهدم على قوم - عافانا الله من الهدم والتردي - فيموت بسبب هذا الهدم أقوام فريق مؤمن وفريق كافر فالْمُؤْمِنُ الذي مات بهذا الهدم شهيدٌ، والكافر الذي قد مات بسبب هذا الهدم انتقم الله منه

فقوله ﷺ «صاحب الهدم شهيد»^(٢) منزلٌ على المؤمنين.

وقوله تعالى في شأن أهل الكفر ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦] والله أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الكهف:

٥٦] مبشرين من؟ ومُنْذِرِينَ من؟

ج: مبشرين أهل الطاعة والإيمان بالجنة ومُنْذِرِينَ العصاة وأهل الكفر بالنار.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وما نرسل رسلنا إلا ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة والفوز

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) البخاري (حديث ٦٥٣)، مسلم (حديث ١٩١٤).

المبين يوم القيامة، جزاءً منا لهم على طاعتنا، وإنذار من عصانا وخالف أمرنا، عقوبتان إياه على معصيتنا يوم القيامة، جزاءً منا على معصيتنا، لنعذر إليه فيهلك إن هلك عن بينة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦] أي: مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات، ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات.



س: كيف يقال: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ وقد أمر الرسل عليهم صلوات الله وسلامه بأمر آخر كالجهاد في سبيل الله وغير ذلك؟
ج: الظاهر، والله أعلم أن قوله تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ متعلق بجانب من الجوانب، تلك المعلقة بالدعوة إلى الله وهداية الناس فيقال إن أمر الهداية ليس بموكول إلى الرسل، بل إلى الله عز وجل، وما على الرسل إلا البلاغ، بتبشير من آمن بالجنة وإنذار من عصى بالنار.



س: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ يفيد أمراً؟ وضعه.

ج: إيضاحه أن التصديق القلبي فقط لا يكفي ولكن لا من عمل الصالحات، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧] إلى غير ذلك من الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [نصفت: ٣٠] فلا بد من العمل الصالح.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

ج: ذهب كثير من أهل العلم إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا خوف عليهم مما هم مقبلون عليه فلا خوف عليهم من عذاب الله وعقابه، لا خوف عليهم عند الاحتضار ولا خوف عليهم في القبر ولا خوف عليهم عند البعث والحساب ولا خوف عليهم من النار.

وأقول، وبالله التوفيق، ولا خوف عليهم أيضًا في دنياهم فالله عز وجل يتولاهم. أما قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فقد قالوا في معناه لا هم يحزنون على ما قد فات، فلا يحزنون على أبناء تركوهم ولا على بنات، ولا على أزواج، ولا على أموال لا يحزنون على ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا وكذلك لا يحزنون في دنياهم على شيء فاتهم فإن أمر الدنيا زائل ومُنتهى.

قال الطبري رحمه الله:

﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ يقول فمن صدّق من أرسلنا إليه من رسلنا إنذارهم إياه، وقبل منهم ما جاءوه به من عند الله، وعمل صالحًا في الدنيا، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، عند قدومهم على ربهم، من عقابه وعذابه الذي أعدّه الله لأعدائه وأهل معاصيه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، عند ذلك على ما خلفوا وراءهم في الدنيا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ..﴾

ج: المعنى الإجمالي قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عنك المكذبين لك الجاحدين نبوتك من أهل الشرك وغيرهم، لا أدعي ربوبية، فلست برّب عنده الخزائن يتحكم فيها كيف يشاء، ولست بعالم للغيب الذي اختص ربنا نفسه بالعلم به، ولست بملك من الملائكة بل إنما أنا بشر أتبع الوحي الذي أوحاه الله إلي وأمثله، ثم قل لهؤلاء أيضًا هل يستوي الأعمى عن الحق المعرض عنه

والبصير به المتبع له أفلا تتفكرون فيما أذكره لكم وأحاججكم به.
قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قل هؤلاء المنكرين نبوتك: لست أقول لكم إني الرب الذي له خزائن السموات والأرض، فأعلم غيوب الأشياء الخفية التي لا يعلمها إلا الرب الذي لا يخفى عليه شيء، فتكذبوني فيما أقول من ذلك، لأنه لا ينبغي أن يكون رباً إلا من له ملك كل شيء، ويده كل شيء، ومن لا يخفى عليه خافية، وذلك هو الله الذي لا إله غيره، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾، لأنه لا ينبغي لملك أن يكون ظاهراً بصورته لأبصار البشر في الدنيا، فتجحدوا ما أقولكم من ذلك، ﴿إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، يقول: قل لهم: ما أتبع فيما أقول لكم وأدعوكم إليه، إلا وحي الله الذي يوحيه إليّ، وتنزيله الذي ينزله عليّ، فأمضي لوحيه وأتتمر لأمره، وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله عذرکم على صحة قولي في ذلك، وليس الذي أقول من ذلك بمنكر في عقولكم ولا مستحيل كونه، بل ذلك مع وجود البرهان على حقيقته هو الحكمة البالغة، فما وجه إنكاركم ذلك؟

وذلك تنبيه من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ على موضع حُجته على منكري نبوته من مشركي قومه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أي: لست أملكها ولا أتصرف فيها ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ أي: ولا أقول لكم إني أعلم الغيب، إنما ذاك من علم الله - عز وجل - لا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أي: ولا أدعي أنني ملك، إنما أنا بشر من البشر يوحى إلي من الله عز وجل، شرفني بذلك وأنعم علي به؛ ولهذا قال: ﴿إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه.

وقال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾

هذا جواب لقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الأنعام: ٣٧]، فالمعنى ليس عندي خزائن قدرته فأنزل ما اقترن من الآيات، ولا أعلم الغيب فأخبركم به. والخزانة ما يخزن فيه الشيء.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح المراد بالأعمى والبصير في هذه الآية ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾؟

ج: المراد - والله أعلم -: كما سلف أن الأعمى في هذا المقام هو الأعمى عن الحق المعرض عنه المكذب به، فالتكذيب الذي صدر منه وما زال يصدر والعناد والشقاق كل ذلك يترك سوادًا على قلبه فيرى الحق باطلاً ويرى الباطل حقًا ولا يهتدي إلى وجوه الخير والصواب.

أما البصير، فكما سلف أيضًا أنه من نور الله قلبه بالإيمان والطاعات فأصبح يرى الحق حقًا ويبادر باتباعه، ويرى الباطل باطلاً ويسارع إلى اجتنابه واتقائه هذا، وقد أورد الطبري^(١) بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾، الآية، قال: «الأعمى»، الكافر الذي قد عمي عن حق الله وأمره ونعمه عليه، و «البصير»، العبد المؤمن الذي أبصر بصيرًا نافعًا، فوحد الله وحده، وعمل بطاعة ربه، وانتفع بما آتاه الله. وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ أي: هل يستوي من اتبع الحق وهدى إليه، ومن ضل عنه ولم ينقذ له: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ وهذه كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الرعد: ١٩].



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ...﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وأنذر بهذا القرآن قوماً وسيستففع بإنذارك منهم الذين إذا ذُكِّروا تذكروا، وهم الذين يخشون البعث والعقاب ويرجون الأجر والثواب، هم الذين يعتقدون أن لا ولي يتولاهم إذا أراد الله بهم سوءاً، ولا ناصر ينصرهم إن أراد الله بهم عذاباً، ولا شفيع يشفع لهم إن ماتوا على كفرهم، أنذر هؤلاء وخصهم بمزيد من الإنذار لعلهم يتقون النار لعلهم يتقون غضب الله عز وجل وعقابه، فيعملون بالطاعات ويتركون المحرمات.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأنذر، يا محمد، بالقرآن الذي أنزلناه إليك، القوم الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم، علماً منهم بأن ذلك كائن، فهم مصدقون بوعد الله ووعيده، عاملون بما يرضي الله، دائبون في السعي، فيما ينقذهم

في معادهم من عذاب الله، ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَكِتٌ﴾، أي ليس لهم من عذاب الله إن عذبهم، ﴿وَكِتٌ﴾، ينصرهم فيستنقذهم منه، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾، يشفع لهم عند الله تعالى ذكره فيخلصهم من عقابه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، يقول: أنذرهم كي يتقوا الله في أنفسهم فيطيعوا ربهم، ويعملوا لمعادهم، ويحذروا سخطه باجتناب معاصيه.

وقيل: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾، ومعناه، يعلمون أنهم يحشرون فوضعت «المخافة» موضع «العلم»، لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شك منهم في ذلك.

وهذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ بتعليم أصحابه ما أنزل الله إليه من وحيه، وتذكيرهم، والإقبال عليهم بالإنذار، وصدّ عنه المشركون به، بعد الإعذار إليهم، وبعد إقامة الحجة عليهم، حتى يكون الله هو الحاكم في أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَكِتٌ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: وأنذر بهذا القرآن يا محمد: ﴿الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]، والذين ﴿وَيُحْشَرُونَ رَبِّهِمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَيْسَ لَهُمْ﴾ أي: يومئذ ﴿مِّنْ دُونِهِ وَكِتٌ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: لا قريب لهم، ولا شفيع فيهم من عذابه إن أرادهم بهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: أنذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا الله - عز وجل - ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ أي بالقرآن. والإنذار الإعلام وقد تقدّم في «البقرة».

وقيل: «به» أي بالله.

وقيل: باليوم الآخر.

وخص ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾ لأن الحجة عليهم أوجب، فهم خائفون من عذابه، لا أنهم يترددون في الحشر؛ فالمعنى «يخافون» يتوقعون عذاب الحشر.

وقيل: «يخافون» يعلمون، فإن كان مسلماً أنذر ليترك المعاصي، وإن كان من أهل الكتاب أنذر ليتبع الحق.

وقال الحسن: المراد المؤمنون.

قال الزجاج: كل من أقر بالبعث من مؤمن وكافر.

وقيل: الآية في المشركين أي أنذرهم بيوم القيامة.

والأول أظهر.

﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي من غير الله ﴿شَفِيعٌ﴾ هذا رد على اليهود والنصارى في زعمهما أن أباهما يشفع لهما حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّتُهُ﴾ [المائدة: ١٨] والمشركون حيث جعلوا أصنامهم شفعاء لهم عند الله، فأعلم الله أن الشفاعة لا تكون للكفار.

ومن قال الآية في المؤمنين قال: شفاعة الرسول لهم تكون بإذن الله فهو الشفيع حقيقة إذن؛ وفي التنزيل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]. ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفْعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنِ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣]. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُ﴾ أي في المستقبل، وهو الثبات على الإيمان.



س: أهل الكفر في كثير من الأحيان يستنكفون عن الإيمان بسبب إيمان الضعفاء والفقراء، فلا يريدون أن يكونوا والفقراء والضعفاء شيئاً واحداً تجمعهم مجالس واحدة فمن ثم يطلبون طرد أهل الإيمان، ولكن يثبت الله رسله ويحثهم على مجالسة أهل الإيمان ولو كانوا ضعفاء وفقراء، دُلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول قوم نوح عليه السلام: ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (١١١) قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿[الشعراء: ١١١-١١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].



س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾؟

ج: نعم صح لها سبب نزول، أخرج مسلم^(١) في صحيحه عن سعيد رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ اطرده هؤلاء لا يجترئون علينا قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان

(١) مسلم (مع نووي ١٥ / ١٨٧).

لست أسميهما فوق في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.



س: ما المراد بدعائهم بالغداة والعشي:

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بذلك إقامتهم الصلوات المكتوبة وكانت في أول الأمر صلاتان صلاة الصبح وصلاة العصر^(١) ثم فُرِضَت الصلوات الخمس بعد ذلك^(٢).

وقال آخرون: إن المراد بذلك ذكرهم الله عز وجل.

وقال آخرون: إن المراد بذلك عبادتهم ربهم عز وجل.

والذي يظهر أن كل ذلك داخل في دعاء ربهم، فالظاهر أنهم يصلون الصلوات المكتوبات ويذكرون الله بكرة وعشيًا، وكذلك يديمون عبادة ربهم عز وجل. قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نبيه محمدًا ﷺ أن يطرد قومًا كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي، و «الدعاء لله»، يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولًا وكلامًا، وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمال التي كان عليهم فرضها، وغيرها من النوافل التي ترضى عن العامل له عابده بها هو عامل له.

وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعاني كلها، فوصفهم الله بذلك

(١) رواه الطبري (١٣٢٧٦) بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨]، هما الصلاتان: صلاة الصبح وصلاة العصر.

(٢) وعند الطبري بإسناد صحيح، عن مجاهد وإبراهيم ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾، قال: الصلوات الخمس.

بأنهم يدعونه بالغداة والعشي، لأن الله قد سمي «العبادة»، «دعاء»، فقال تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وقد يجوز أن يكون ذلك على خاص من الدعاء.

ولا قول أولى بذلك بالصحة، من وصف القوم بها وصفهم الله به: من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي، فيعمُّون بالصفة التي وصفهم بها ربهم ولا يخصُّون منها بشيء دون شيء.



س: وضع المراد بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾؟

ج: يبدو والله أعلم أن معناها يبتغون ثوابه يوم يلقونه.

وقد يكون المعنى، والله أعلم، أنهم لا يراءون بل يخلصون في عملهم ذلك لله عز وجل.

بيد أن هذا التفسير وذاك لا ينفيان صفة الوجه عن الله سبحانه وتعالى، بل صفة الوجه ثابتة لله عز وجل من عدة أدلة، وليس وجهه سبحانه كوجه خلقه، إذ الله قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].



س: وضع المراد بقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ

حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله في تفسيرها:

فتأويل الكلام إذا: يا محمد، أنذر بالقرآن الذي أنزلته إليك، الذين يعلمون أنهم إلى ربهم محشورون، فهم من خوف ورودهم على الله الذي لا شافع لهم من

دونه ولا نصير، في العمل له دائبون، إذ أعرض عن إنذارك واستماع ما أنزل الله عليك المكذبون بالله واليوم الآخر من قومك، استكباراً على الله، ولا تطردهم ولا تقصهم، فتكون ممن وضع الإقصاء في غير موضعه، فأقصى وطرد من لم يكن له طرده وإقصاؤه، وقرب من لم يكن له تقديمه بقربه وإدناؤه، فإن الذين نهيتك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم فيسألونه عفوهم ومغفرته بصالح أعمالهم، وأداء ما ألزمهم من فرائضه، ونوافل تطوعهم، وذكرهم بإياه بألستهم بالغداة والعشي، يلتمسون بذلك القربة إلى الله، والدنو من رضاه، ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، يقول: ما عليك من حساب ما رزقتهم من الرزق من شيء، وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شيء، ﴿فَتَطَرَّدَهُمْ﴾، حذار محاسبتي إياك بما خولتهم في الدنيا من الرزق.

وقوله: ﴿فَتَطَرَّدَهُمْ﴾، جواب لقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وقوله: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جواب لقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ كقول نوح - عليه السلام - في جواب الذين ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿الشعراء: ١١١-١١٣﴾ أي: إنما حسابهم على الله - عز وجل - وليس علي من حسابهم من شيء، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء.

أما القرطبي رحمه الله فاستفاض في ذلك فقال:

قوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي من جزائهم ولا كفاية

أرزاقهم، أي جزاؤهم ورزقهم على الله، وجزاؤك ورزقك على الله لا على غيره.
«من» الأولى للتبعيض، والثانية زائدة للتوكيد.

وكذا ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ المعنى وإذا كان الأمر كذلك فأقبل عليهم وجالسهم ولا تطردهم مراعاة لحق من ليس على مثل حالهم في الدين والفضل؛ فإن فعلت كنت ظالماً.

وحاشاه من وقوع ذلك منه، وإنما هذا بيان للأحكام، ولئلا يقع مثل ذلك من غيره من أهل السلام؛ وهذا مثل قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقد علم الله منه أنه لا يشرك ولا يحبط عمله.
﴿فَتَطْرُدْهُمْ﴾ جواب النفي.

﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ نصب بالفاء في جواب النهي؛ المعنى: ولا تطرد الذين يدعون ربهم فتكون من الظالمين، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم، على التقديم والتأخير.

والظلم أصله وضع الشيء في غير موضعه.
وقد حصل من قوة الآية والحديث النهي عن أن يعظم أحد لجاهه ولثوبه، وعن أن يحتقر أحد لخموله ولرثائه ثوبيه.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾؟

ج: الظاهر، والله أعلم أن معناها أننا جعلنا بعض الخلق فتنة لآخرين فجعلنا الفقراء المؤمنين فتنة للأغنياء الكافرين فيقول الكافر صاحب المال أهذا الفقير المؤمن أفضل مني؟ فيستنكف عن الإسلام والإيمان.

وفي الجملة فالخلق بعضهم لبعض فتنة كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض ﴿لِيَقُولُوا أَهْوَآءٌ مِّنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ، كان غالب من اتبعه في أول بعثته ضعفاء الناس؛ من الرجال والنساء والعبيد والإماء، ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل، كما قال قوم نوح لنوح: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِيَ الرَّأْيِ﴾ [مود: ٢٧] الآية.

وكما قال هرقل ملك الروم لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل، فقال له: (فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟) فقال: بل ضعفاؤهم. فقال: هم أتباع الرسل.

والغرض أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم، ويعذبون من يقدرون عليه منهم، وكانوا يقولون: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أي: ما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير لو كان ما صاروا إليه خيراً ويدعنا، كقولهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] وكقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].

قال الله تعالى في جواب ذلك: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيعًا﴾ [مريم: ٧٤]، وقال في جوابهم حين قالوا: ﴿أَهْوَآءٌ مِّنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿[الأنعام: ٥٣] أي: أليس هو أعلم بالشاكرين له؛ فأقوالهم وأفعالهم وضمايرهم، فيوقفهم ويهديهم سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وفي الحديث

الصحيح^(١): «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».



س: جعل الله بعض الخلق فتنة لبعض وضح ذلك؟

ج: نعم قد جعل الله عز وجل بعض الخلق فتنة لبعض قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ﴾ [حمد: ٤]. إلى غير ذلك من الآيات

وإيضاح ذلك، والله أعلم، أن الله جعل الغني فتنة للفقير والفقير فتنة للغني، فيقول الفقير لماذا أغنى الله فلاناً وأفقرني! فيفتن بذلك ويحسد الغني على ما أعطاه الله!

والغني هو الآخر يزدرى الفقير ويحتقره فيفتن بذلك ويتعالى عليه ويظلمه!!

والمريض فتنة للصحيح، فيظلمه الصحيح ويزدريه!

والصحيح فتنة للمريض فيعترض المريض على القضاء ويحسد!!

وكذا الجميلة فتنة للدميمة، والدميمة هي الأخرى فتنة لها!!

ومن رزقت بولد فتنة للعاقرة، والعاقرة فتنة لها هي الأخرى!!

والذكي فتنة للغبي والغبي فتنة للذكي!!

والعالم فتنة للجاهل، والجاهل فتنة للعالم!!

والكافر فتنة للمؤمن والمؤمن فتنة للكافر!

والمؤمن الضعيف فتنة للكافر صاحب المال، فينظر الكافر صاحب المال إلى مَنْ مَنَّ الله عليهم بالإيمان والهدى من الفقراء فيقول مُحْتَقَرًا ومُزْدَرِيًّا أهذا مَنْ الله عليه بالهداية وتركني؟!!

فيظن أن الإيمان كالمال، يظن أن من رُزق مالا لا بد وأن يرزق الهداية إلى وجوه الحق والصواب! فيفتن بالمؤمن ويكفر بما آمن به المؤمن، إذ هو لا يريد أن يتساوى به لا في مالٍ ولا في إيمان وهداية.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿لَيَقُولُوا أَهْتُولَاءَ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾، يقول تعالى: اخترنا الناس بالغني والفقر، والعز والذل، والقوة والضعف، والهدى والضلال، كي يقول من أضله الله وأعماه عن سبيل الحق، للذين هداهم الله ووفقهم: ﴿أَهْتُولَاءَ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، بالهدى والرشد، وهم فقراء ضعفاء أذلاء، ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾، ونحن أغنياء أقوياء؟ استهزاء بهم، ومعادة للإسلام وأهله.

وقال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهْتُولَاءَ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] أجرى الله تعالى الحكمة بأن أكثر أتباع الرسل ضعفاء الناس، ولذلك لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن نبينا ﷺ: أشرف الناس يتبعونه، أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم. قال: هم أتباع الرسل.

فإذا عرفت ذلك فاعلم أنه تعالى أشار إلى أن من حكمة ذلك فتنة بعض الناس ببعض، فإن أهل المكانة والشرف والجاه يقولون: لو كان في هذا الدين خير لما سبقنا إليه هؤلاء. لأننا أحق منهم بكل خير كما قال هنا: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا

بَعْضُهُمْ يَبْغِضُ لِبَعْضٍ أَهْتُولَاءَ مَنِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴿١٤٧﴾ الآية إنكاراً منهم أن يمن الله على هؤلاء الضعفاء دونهم، زعمًا منهم أنهم أحق بالخير منهم، وقد رد الله قولهم هنا بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

وقد أوضح هذا المعنى في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].

والمعنى: أنهم لما رأوا أنفسهم أحسن منازل. ومتاعًا من ضعفاء المسلمين اعتقدوا أنهم أولى منهم بكل خير، وأن أتباع الرسول ﷺ لو كان خيرًا ما سبقوهم إليه، ورد الله افتراءهم هذا بقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا﴾، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَنَبِينَ ﴿٥٥﴾ سَارِعًا لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]: إلى غير ذلك من الآيات.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الله عز وجل أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، فالشاكرون لنعم الله عليهم - ويعلمهم الله - هم الذين يستحقون الهداية وإن كانوا فقراء والجاحدون لنعم الله - والله بهم عليم - يصرفهم الله عن الإيمان لكونهم قد أعرضوا عن شكر الله ولم يقبلوا هديه الذي بعث نبيه به إليهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، وهذا منه تعالى ذكره إجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحق، وخذلهم عنه وهم أغنياء، وتقرير لهم: أنا أعلم بمن كان من خلقي شاكراً نعمتي، ممن هو لها كافر.

فمَنِّي على من مَنَنْتُ عليه منهم بالهداية، جزاء شكره إياي على نعمتي،
وتخذيلى من خذلت منهم عن سبيل الرشاد، عقوبة كفرانه إياي نعمتي، لا لغني
الغني منهم ولا لفقر الفقير، لأن الثواب والعقاب لا يستحقه أحدٌ إلا جزاءً على
عمله الذي اكتسبه، لا على غناه وفقره، لأن الغني والفقر والعجز والقوة ليس من
أفعال خلقي.



س: وضع المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ...﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المعنيين بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ هم الذين نهي
النبي ﷺ عن طردهم، فيكون المعنى إذا جاءك هؤلاء المؤمنون فرحب بهم
وبشرهم ولا تقنطهم من رحمة الله.

والآخر: أن المعني بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ هم قوم من المؤمنين
كانوا قد أشاروا على النبي ﷺ بطرد أهل الإيمان الفقراء فلما نزل قوله تعالى:
﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾ ندم المؤمنون الذين أشاروا بذلك، واستغفروا
لذنوبهم فقبل للنبي ﷺ قبل توبة هؤلاء وأقبل عذرهم، وأخبرهم بأن الله كتب
على نفسه الرحمة، وأنه من عمل منهم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه
غفور رحيم.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بتأويل الآية، قول من قال: المعنيون بقوله:
﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، غير الذين نهى الله

النبي ﷺ عن طردهم.

لأن قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾، خبر مستأنف بعد تقضي الخبر عن الذين نهى الله نبيه ﷺ عن طردهم.
ولو كانوا هم، ل قيل: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾، وفي ابتداء الخبر عن قصة هؤلاء، وتركه وصل الكلام بالخبر عن الأولين ما ينبئ عن أنهم غيرهم.

فتأويل الكلام إذا - إذ كان الأمر على ما وصفنا -: وإذا جاءك يا محمد، القوم الذين يصدقون بتزلينا وأدلتنا وحججنا، فيقرون بذلك قولاً وعملاً، مسترشديك عن ذنوبهم التي سلفت منهم بيني وبينهم، هل لهم منها توبة، فلا تؤيسهم منها، وقل لهم: ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾، أَمَنَةُ الله لكم من ذنوبكم، أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، يقول: قضى ربكم الرحمة بخلقهم ﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فأكرمهم برّد السلام عليهم، وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم؛ ولهذا قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: أوجبها على نفسه الكريمة، تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً.



س: اذكر بعض الأدلة على أن الله كتب على نفسه الرحمة؟

ج: أخرج البخاري^(١) في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال

(١) البخاري (٧٤٥٣)، وانظر مسلم كذلك (٢٧٥١)؛ ففيه أحاديث كثيرة في بيان سعة رحمة الله عز وجل.

قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي».



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: إن المراد بالجهالة الخطأ، والمعنى من اقترف سوءًا عن غير قصدٍ بل بجهلٍ منه.

وقال آخرون: ويظهر أن قولهم أولى بالصواب - أن كل من عصى الله فهو جاهل لمعصيته التي عصي، فهؤلاء الذين جهلوا لعصيانهم إذا تابوا وأقبلوا معتردين عن سالف ذنوبهم ورجعوا عنها وأصلحوا من شأنهم وعملهم، فَرَحَّبَ بهم وقل لهم ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي أمان من الله عليكم.

قال الطبري رحمه الله:

ومعنى قوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ﴾، إنه من اقترف منك ذنبًا فجهل باقترافه إياه، ثم تاب وأصلح، «فإنه غفور»، لذنبه إذا تاب وأناب، وراجع العمل بطاعة الله، وترك العود إلى مثله، مع الندم على ما فرط منه، ﴿رَحِيمٌ﴾، بالتائب أن يعاقبه على ذنبه بعد توبته منه.



س: التوبة تستلزم الإصلاح دَلَلْ على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ

لِّلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥١﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا
وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَثُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿البقرة: ١٥٩، ١٦٠﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾

[المائدة: ٣٩].



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ
الْمُجْرِمِينَ﴾؟

ج: معنى ذلك، والله تعالى أعلم، وكما فصلنا لك الآيات في هذه السورة
وبيناها لك، تلك الآيات الدالة على قدرتنا وعلى وحدانيتنا، تلك الآيات التي
تُحاجج بها أهل الشرك وتبين لهم بها ما هم عليه من شرٍّ وفسادٍ فدائماً نفصل لك
الآيات ونوضحها لك ونبينها حتى تظهر لك وتتضح لك ولن آمنوا بك طرائق
أهل الإجماع حتى تتقيها ويتقيها المؤمنون.

ويحتمل أن يكون هناك وجهٌ آخر، وهو وكما بينا لك حججنا وآياتنا في سور
آخر نبينها لك أيضاً في هذه السورة .

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾، وكما فصلنا لك في هذه
السورة من ابتدائها وفاتحتها، يا محمد، إلى هذا الموضع، حججتنا على المشركين من
عبدة الأوثان، وأدلتنا، وميزناها لك وبينناها، كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا في
كل حق ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل غيرهم، فنبينها لك، حتى يبين حقه
من باطله، وصحيحه من سقيمه.

قال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: وكما بينا ما تقدم بيانه، من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد، وذم المجادلة والعناد ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ أي: التي يحتاج المخاطبون إلى بيانها ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسول، وقرئ ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: وليستبين يا محمد أو يا مخاطب سبيل المجرمين.



س: كيف قيل ولتستبين سبيل المجرمين، مع أن سبيل المؤمنين تظهر أيضًا
ج: أجاب السمعاني على ذلك بقوله:

فإن قيل: لم خصَّ سبيل المجرمين؟

قيل: تقديره: ولتستبين سبيل المجرمين وسبيل المؤمنين؛ فحذف أحدهما اختصارًا، والأصح أن تقديره: ولتستبين سبيل المجرمين عن سبيل المؤمنين.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَبِينَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا محمد لهؤلاء المشركين المعرضين عن عبادة الله إذا دعوك إلى عبادة آلهتهم، أو إذا استمروا علي شركهم وكفرهم، قل لهم قد نهاني الله عز وجل أن أعبد آلهتكم التي عبدتموها من دون الله، ولقد نهاني الله عن اتباع أهوائكم فإن خالفت أمر ربي عز وجل وعبدت آلهتكم التي تعبدون أو اتبعت أهواءكم فيما تريدون مخالفًا بذلك أمر ربي فقد حدث عن طريق الحق وطريق الصواب، وابتعدت عن طريق الهداية والرشاد.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين برهم من قومك، العادلين به الأوثان والأنداد، الذين يدعونك إلى موافقتهم على دينهم وعبادة الأوثان: إن الله نهاني أن أعبد الذين تدعون من دونه، فلن أتبعكم على ما تدعونني إليه من ذلك، ولا أوافقكم عليه، ولا أعطيكُم محبتكم وهوأكم فيه. وإن فعلت ذلك فقد تركت محجة الحق، وسلكت على غير الهدى، فصرت ضالاً مثلكم على غير استقامة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِوَيِّهِ؟﴾

ج: المعنى، والله تعالى أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين بالله المكذبين لك ولما جئتكم به إني على بصيرة وبرهان من الله عز وجل، وعلى بيان قد تبينته وحجج علمنيها ربي عز وجل، أما أنتم قد أعرضتم عن برهان ربكم وكذبتُم بربكم عز وجل، فقلوه: ﴿وَكَذَّبْتُم بِوَيِّهِ﴾ أي وكذبتُم بربكم عز وجل، وكذا تحتمل معنى آخر: وهو وكذبتُم ببرهان ربكم وحجج ربكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، لهؤلاء العادلين برهم، الداعين لك إلى الإشرأك بربك، ﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾، أي إني على بيان قد تبينته، وبرهان قد وضح لي، ﴿مِّن رَّبِّي﴾، يقول: من توحيددي، وما أنا عليه من إخلاص عبودته من غير إشرأك شيء به.

وكذلك تقول العرب: «فلان على بينة من هذا الأمر»، إذا كان على بيان منه،

ومن ذلك قول الشاعر:

أَيُّنَهُ تَبْعُونَ بَعْدَ اعْتِرَافِهِ وَقَوْلِ سُويِدٍ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ بِشَرِّ

﴿وَكَذَبْتُمْ بِهِ﴾ يقول: وكذبتُم أنتم بربكم، و «الهاء» في قوله ﴿بِهِ﴾

من ذكر الرب جلَّ وعز.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على بصيرة من شريعة الله التي

أوحاها الله إلي ﴿وَكَذَبْتُمْ بِهِ﴾ أي: بالحق الذي جاءني من الله ﴿مَا عِنْدِي

مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ أي: من العذاب ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: إنما يرجع أمر

ذلك إلى الله، إن شاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك، وإن شاء أنظركم وأجلكم؛

لما له في ذلك من الحكمة العظيمة؛ ولهذا قال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ

خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ أي: وهو خير من فصل القضايا، وخير الفاتحين الحاكمين بين

عباده.



س: وضح معنى ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء الذين استعجلوك بأمور

وطلبوها منك، إن الذي تطلبونه مني وتستعجلوني به ليس لي ولا عندي إنما هو

من عند الله يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد يقضي بيني وبينكم بالحق، وهو خير من

قضى بالحق وحكم وعدل وهو خير من ميز الحق من الباطل وأنصف وانتصر.

أما عن الشيء الذي استعجله المشركون رسول الله ﷺ فقد استعجلوا أمورًا

وسألوا أمورًا قد استعجلوا العذاب فقالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ

عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اقْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧].

وأيضاً فقد طلبوا معجزات، فقالوا: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَلْبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٌ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَافَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرْهُفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِيكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

قال الطبري رحمه الله:

﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾، يقول: ما الذي تستعجلون من نعم الله وعذابه بيدي، ولا أنا على ذلك بقادر.

وذلك أنهم قالوا - حين بعث الله نبيه محمداً ﷺ بتوحيده، فدعاهم إلى الله، وأخبرهم أنه رسوله إليهم -: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَآتُورُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] وقالوا للقرآن: هو أضغاث أحلام.

وقال بعضهم: بل هو اختلاق اختلقه.

وقال آخرون: بل محمد شاعر، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون، فقال الله لنبيه ﷺ: أجهم بأن الآيات بيد الله لا بيدك، وإنما أنت رسول، وليس عليك إلا البلاغ لما أرسلت به، وأن الله يقضي الحق فيهم وفيك، ويفصل به بينك وبينهم، فيتبين المحق منكم والمبطل، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾، أي: وهو خير من بين وميز بين المحق والمبطل وأعد لهم؛ لأنه لا يقع في حكمه وقضائه حيف إلى أحد لو سيلة له إليه ولا لقراءة ولا مناسبة، ولا في قضائه جور؛ لأنه لا يأخذ الرشوة في الأحكام فيجور، فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين.

وقال أيضاً: ما الحكم فيما تستعجلون به أيها المشركون من عذاب الله، وفيما بيني وبينكم إلا الله الذي لا يجور في حكمه وبيده الخلق والأمر يقضي الحق بيني

وبينكم وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه.



س: وضح معنى قوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ، لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أنه لو كان بيدي ما تسألوني إياه كتعجيل العذاب عليكم أو إتيانكم بمعجزة من المعجزات، لكانت هذه أو تلك الفيصل بيني وبينكم، فلو كان العذاب بيدي وسألتُموني إنزال العذاب واستعجلتموني بذلك لأنزلته عليكم فهلكتم وانتهى ما بيني وبينكم، وكذلك لو كانت المعجزات بيدي لآتينكم بها ومن لم يؤمن عذب وأخذ كما أخذ من كان قبله من أهل الظلم والعناد.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، هؤلاء العادلين برهم الآلهة والأوثان، المكذبيك فيما جئتهم به، السائلينك أن تأتيهم بآية استعجالاً منهم بالعذاب: لو أن بيدي ما تستعجلون به من العذاب، ﴿لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، ففصل ذلك أسرع الفصل بتعجيلي لكم ما تسألوني من ذلك وتستعجلونه، ولكن ذلك بيد الله، الذي هو أعلم بوقت إرساله على الظالمين، الذين يضعون عبادتهم التي لا تنبغي أن تكون إلا لله في غير موضعها، فيعبدون من دونه الآلهة والأصنام، وهو أعلم بوقت الانتقام منهم، وحال القضاء بيني وبينهم.

وقال أيضاً:

وإنما هذا أمر من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها: لو أن العذاب والآيات بيدي وعندى،

لعاجلتكم بالذي تسألوني من ذلك، ولكنه بيد من هو أعلم بما يصلح خلقه مني ومن جميع خلقه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ أي من العذاب لأنزلته بكم حتى ينقضي الأمر إلى آخره.

والاستعجال: تعجيل طلب الشيء قبل وقته.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي بالمشركين وبوقت عقوبتهم.

وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله ما هنا حديث عائشة رضي الله عنها:

أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك. وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال. فلم يجيني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي. فلم أستفق إلا بقرن الثعالب. فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني. فنظرت فإذا فيها جبريل. فناداني. فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك. وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي. ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك. وأنا ملك الجبال. وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك. فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً»^(١).

وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى سؤالاً فقال:

فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم، فاستأني بهم وسأل لهم التأخير؛ لعل

الله أن يخرج من أصلاهم من لا يشرك به شيئاً، فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.

فالجواب والله أعلم: أن هذه الآية دلت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم، وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم، بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين؛ وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوباً وشمالاً، فلهذا استأني بهم وسأل الرفق لهم.



﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا
فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٩٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ
الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿١٠١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ
الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَدْعُوهُ
نَضْرَعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَجَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُم مِّنْهَا
وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ
فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُدِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انْظُرْ كَيْفَ
نُضِرُّ الْأَيْتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿١٠٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ
بِوَكِيلٍ ﴿١٠٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْءِ آيَاتِنَا
فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ
الدِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْتَقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ
شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَنْتَقُونَ ﴿١٠٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءًا
وَلَهُمْ غَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ ۚ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ۚ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
أُتْبِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۗ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١١٠﴾

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ
 كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتُنَبِّئُ
 قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا
 الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَكُلُوا مِنْ حَلَالِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ
 الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
 الْخَبِيرُ ﴿[الأنعام: ٥٩ - ٧٣]﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿مَفَاتِيحُ﴾ - يَتَوَفَّنَاكُمْ - جَرَحْتُمْ - يَبْعَثُكُمْ فِيهِ - لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى -
 الْقَاهِرُ - حَفْظَةً - رُسُلَنَا - لَا يُفَرِّطُونَ - مَوْلَاهُمْ - تَضَرَّعًا - وَخُفْيَةً - يَلِيْسُكُمْ شَيْعًا
 - وَيُذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ - نُضَرِفُ - يَفْقَهُونَ - لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ - نَبَأٌ - مُّسْتَقَرٌّ -
 يَخُوضُونَ - فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ - الذِّكْرَى - وَذَرَى - تُبْسَلُ - وَلِيٌّ - شَفِيعٌ - تَعْدِلُ كُلُّ
 عَدْلٍ - أُبْسِلُوا - حَمِيمٍ - اَنْدَعُوا - وَرُدُّ عَلَىٰ آعْقَابِنَا - اَسْتَهْوَتْهُ - حَيْرَانَ -
 تُحْشَرُونَ - اَلْصُّورِ - اَلْغَيْبِ - وَالشَّهَادَةِ - اَلْحَكِيمِ - اَلْخَيْرُ ۝

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَفَاتِيحُ﴾	مفاتيح: (جمع مفتاح) - خزائن.
﴿يَتَوَفَّنَاكُمْ﴾	يقبض أرواحكم.
﴿جَرَحْتُمْ﴾	اكتسبتم - عملتم - اکتسبتم بجوارحكم.
﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾	يحْييكم في النهار.
﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾	لينتهي أجلكم الذي كتبه الله لكم.
﴿الْقَاهِرُ﴾	الغالب - المتعالي عليهم بقدرته.
﴿حَفْظَةً﴾	ملائكة يحفظون الأعمال ويحسونها، وكذا يحفظون بني آدم مما لم يكتب عليهم.
﴿رُسُلَنَا﴾	ملائكتنا.
﴿لَا يُفَرِّطُونَ﴾	لا يقصرون - لا يضيئون.
﴿مَوْلَاهُمْ﴾	سيدهم وخالقهم.

﴿نَضْرَعًا﴾	استكانة وخضوعًا - جهراً.
﴿وَحُفِيَّةٌ﴾	في الخفاء.
﴿يَلْسِكُمْ﴾	يخلطكم.
﴿شِيعًا﴾	فرقًا.
﴿يَلْسِكُمْ شِيعًا﴾	يجعلكم فرقًا متناحرة.
﴿وَيُزِيقُ بَعْضُكُم بِأَسْ بَعْضٍ﴾	يسلط بعضكم على بعض؛ فيقتل بعضكم بعضًا ويؤذي بعضكم بعضًا.
﴿نُصْرِفُ﴾	نوع - نكرر - نين - نوضح.
﴿يَفْقَهُونَ﴾	يفهمون.
﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾	لست عليكم بحفيظ ولا رقيب.
﴿نَبَأٌ﴾	خبر.
﴿مُسْتَقَرٌّ﴾	قرار يستقر عنده - حقيقة - وقت يتحقق فيه - نهاية ينتهي عندها - وقت يظهر عنده صدق الخبر من كذبه.
﴿يَحْوِضُونَ﴾	يستهزئون - يكذبون - يسخرون.
﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾	فانصرف عنهم - لا تجالسهم.
﴿الذِّكْرَى﴾	التذكر.
﴿وَذَرِ﴾	اترك.
﴿تُبَسَّلُ﴾	تُسَلِّم بكسبها - تفضح - تُجْزَى - تُرْتَمَن - تُحْبَس.
﴿وَلَوْ﴾	من يتولاها.
﴿شَفِيعٌ﴾	من يشفع لها (لإنقاذها من العذاب).

﴿تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾	تفتدي بكل فدية.
﴿أَبْسِلُوا﴾	أُسلموا - جوزوا - ارتهنوا - حُبسوا - مُنعوا من الخير.
﴿حِيمِرٌ﴾	الماء الذي بلغ أعلى درجات غليانه.
﴿أَنذِعُوا﴾	أنعبد - أنسأل.
﴿وَنُرْدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾	نرجع إلى الوراء - نبتعد عما نريد - نُحرم مما نسأل - نرجع إلى الجهل بعد العلم، وإلى الكفر بعد الإيمان.
﴿أَسْتَهْوَتْهُ﴾	لعبت بهواه - قادته إلى ما تريد - قادته إلى الهاوية.
﴿حَيْرَانَ﴾	متحير لا يهتدي.
﴿تُخْشَرُونَ﴾	تجمعون.
﴿الصُّورِ﴾	قرنٌ ينفخ فيه.
﴿الْغَيْبِ﴾	ما غاب عن الحواس والأبصار (ما لا تحسونه ولا تبصرونه).
﴿وَالشَّهَادَةِ﴾	الأمر التي تشاهدونها
﴿الْحَكِيمِ﴾	ذو الحكمة (في كل شيء، وفي تدبير الأمور وتصريفها)
﴿الْخَيْرِ﴾	الخير بكل ما يعملونه وما يكسبونه، وبكل شيء.



س: ما مفاتيح الغيب؟

ج: مفاتيح الغيب خمس، بينها رسول الله ﷺ بقوله: «مفاتيح الغيب خمس: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا

تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ [لقمان: ٣٤].



س: اذكر بعض الأدلة على أن الغيب لا يعلمه إلا الله؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تِينَتِ الْجَنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبا: ١٤].



س: هل من رابط بين قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ والآية التي

سبقتهما؟ وإذا كان رابطاً فوضحه؟

ج: الظاهر أن هناك رابطاً بينهما، ووجه هذا الرابط يتلخص في أن أهل الكفر لما استعجلوا أموراً؛ (كنزول العذاب عليهم، أو مجيئهم بالمعجزات) قيل لهم: إن العلم بهذا الذي طلبتموه وسألتموه موكولٌ إلى الله عز وجل، ليس لي ولا لكم؛ فالله عز وجل يعلم متى ينزل؛ فعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، وكذلك فهو يعلم ما هو ظاهر أو خفي في برّكم وبحركم.

قال الطبري رحمه الله:

فتأويل الكلام إذاً: والله أعلم بالظالمين من خلقه، وما هم مستحقوه وما هو بهم صانع، فإن عنده علم ما غاب علمه عن خلقه، فلم يطلّعوا عليه ولم يدركوه،

ولن يعلموه ولن يدركوه، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، يقول: وعنده علم ما لم يغيب أيضًا عنكم؛ لأن ما في البر والبحر مما هو ظاهر للعين يعلمه العباد.

فكان معنى الكلام: وعند الله علم ما غاب عنكم - أيها الناس - مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه، ويعلم أيضًا - مع ذلك - جميع ما يعلمه جميعكم، لا يخفى عليه شيء؛ لأنه لا شيء إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم.

فأخبر - تعالى ذكره - أن عنده علم كل شيء كان ويكون، وما هو كائن مما لم يكن بعد، وذلك هو الغيب.



س: هل هناك أمور مستقبلية أطلع الله عز وجل عليها البشر؟

ج: نعم، هناك أمور مستقبلية أطلع الله عليها البشر، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿حَقُّ ۖ إِذَا فَتَحْتِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ١١ ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

وقوله تعالى في شأن نزول عيسى عليه السلام: ﴿وَلِئِنَّهُ لَءَلِمَ لِلْغَايَةِ فَلَا تَمَرُّكَ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ٢ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ ٣ ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٢-٤]. إلى غير ذلك من الآيات.

ومن ذلك ما أخبر الله به من البعث والجزاء والحساب، ومن ذلك سائر الأشراف الصغرى والكبرى للساعة التي بينها رسول الله ﷺ؛ كطلوع الشمس

من مغربها وخروج الدجال، والنار التي تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقبل حيث قالوا، وكالنساء الكاسيات العاريات المائلات الميلات اللواتي رءوسهم كأسنمة البخت المائلة، وكذلك تكليم السباع للإنس، وتكليم الحجر والشجر للمسلم إلى غير ذلك.

وهناك أمور من أمور الغيب أطلع الله عليها بعض رسله؛ فقد تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝﴾ إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿[الجن: ٢٦، ٢٧].

وهناك أمور من أمور الغيب لا يعلمها إلا الله؛ كالوارد في الآية الكريمة: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وتفسير النبي ﷺ لها، والله أعلم.



س: أي ورقة هذه التي قال الله عنها: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾؟

ج: تلك أي ورقة سقطت من أية شجرة كانت في أي مكان كانت، والله أعلم.



س: وضع المراد بالرطب واليابس؟

ج: قال ابن الجوزي رحمه الله:

وفي الرطب واليابس خمسة أقوال:

أحدها: أن الرطب: الماء، واليابس: البادية.

والثاني: الرطب. ما يُنبت، واليابس: ما لا يُنبت.

والثالث: الرطب: الحي، واليابس: الميت.

والرابع: الرطب: لسان المؤمن يذكر الله، واليابس: لسان الكافر لا يتحرك بذكر الله.

والخامس: أنها الشيء ينتقل من إحدى الحالتين إلى الأخرى، فهو يعلمه رطبًا، ويعلمه يابسًا.



س: ما المراد بالكتاب المبين؟

ج: قيل: المراد بالكتاب المبين: اللوح المحفوظ، وقوله: ﴿مُبِينٌ﴾ قيل في معناه: إنه يبين أن ما كتب فيه صحيح، وذلك بتحقيق وقوعه كما هو مثبت فيه. قال الطبري رحمه الله:

ويعني بقوله: ﴿مُبِينٌ﴾ أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رُسم فيه على ما رُسم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله تعالى - في معنى ذلك:

ولا شيء أيضًا مما هو موجود، أو مما سيوجد ولم يوجد بعد، إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ، مكتوبٌ ذلك فيه، ومرسوم عدده ومبلغه، والوقت الذي يوجد فيه، والحال التي يفنى فيها.

قال السعدي - رحمه الله تعالى - في «تفسير» هذه الآية الكريمة:

هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلًا لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه.

وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين.

وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات، والأشجار، والرمال، والحصى، والتراب. وما في البحار من حيوانات، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها.

﴿وَمَا نَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفر، والدنيا والآخرة، إلا يعلمها.

﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾ من حبوب الثمار والزروع، وحبوب البذور التي يبذرهما الخلق، وبذور النباتات البرية التي ينشئ منها أصناف النباتات.

﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ﴾ هذا عموم بعد خصوص، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ، قد حواها، واشتمل عليها.

وبعض هذا المذكور، يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء.

فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته في أوصافه كلها.

وأن الخلق - من أولهم إلى آخرهم - لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة، ولا وسع في ذلك.

فتبارك الرب العظيم، الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد المحيط.

وجل من إله، لا يحصى أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يشني عليه عباده.

فهذه الآية دلت على علمه بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث.

هذا كله تقرير لإلهيته، واحتجاج على المشركين به، وبيان أنه تعالى المستحق

للحب والتعظيم، والإجلال والإكرام.



س: أليس من نام فروحه معه؟

ج: بلى، روحه في جسمه.



س: فكيف قيل إذن: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾؟

ج: أجاب على ذلك السمعاني في «تفسيره»؛ حيث قال:

قيل هو قبض النفس المميّزة المتصرفة، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا

جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم: والله هو الذي يقبض أرواحكم إذا أنتم نمتم

بالليل، ويعلم ما اكتسبتموه وما عملتموه في الأعمال في نهاركم .

قال الطبري رحمه الله تعالى:

قال أبو جعفر: يقول - تعالى ذكره - لنبيه ﷺ: وقل لهم يا محمد: والله أعلم

بالظالمين، والله هو الذي يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسادكم، ﴿وَيَعْلَمُ

مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾، يقول: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار.

ومعنى «التوفي» في كلام العرب استيفاء العدد، كما قال الشاعر:

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَمِ لَيُسَوُّوْنَ أَحَدٍ وَلَا تَوْفَاهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدِ

بمعنى: لم تدخلهم قريش في العدد.

وأما «الاجتراح» عند العرب؛ فهو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه، وهي

«الجوارح» عندهم، جوارح البدن فيما ذكر عنهم. ثم يقال لكل مكتسب عملاً:

«جارج»؛ لاستعمال العرب ذلك في هذه «الجوارح»، ثم كثر ذلك في الكلام حتى قيل لكل مكتسب كسبًا، بأي أعضاء جسمه اكتسب: «مجترح».

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ينخبّر تعالى: إنه يتوفى عباده في منامهم بالليل، وهذا هو التوفى الأصغر، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]؛ فذكر في هذه الآية الوفايتين: الكبرى والصغرى، وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفايتين: الصغرى ثم الكبرى، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ أي: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار، وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه تعالى بخلقه؛ في ليلهم ونهارهم، في حال سكونهم وحال حركتهم، كما قال: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وكما قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [القصص: ٧٣] أي: في الليل: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣] أي: في النهار، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: ١٠، ١١]، ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ أي: ما كسبتم من الأعمال فيه، ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُم فِيهِ﴾ أي: في النهار.



س: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُم فِيهِ﴾ في ماذا؟

ج: في النهار.



س: ما المراد بالأجل المسمى؟

ج: المراد: آجالكم يا بني آدم التي كتبها الله لكم، فما من أحدٍ إلا وله أجل قد أجله الله إليه فلن يموت شخص حتى يستوفي أجله؛ فالأجل المسمى: العمر الذي كتبه الله للأشخاص.



س: الحفظة هؤلاء يحفظون ماذا؟

ج: يحفظون أعمال بني آدم ويحسونها ويكتبونها ويحفظون أجسامهم أيضًا بإذن الله .

قال الشنقيطي - رحمه الله تعالى - «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾، لم يبين هنا ماذا يحفظون، وبينه في مواضع أخرى؛ فذكر أن ما يحفظونه بدن الإنسان بقوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، وذكر أن ما يحفظونه جميع أعماله من خير وشر، بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كُنُوزًا ۚ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الأنفطار: ١٠-١٢]، وقوله: ﴿إِذْ نَلَقْنَا الْمُتَلَفِّيَّانِ مِنَ الْعِيبِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ ۖ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨]، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله تعالى - في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾، والله الغالب خلقه، العالي عليهم

بقدرته، لا المقهور من أوثانهم وأصنامهم، المذلل المعلو عليه لذته، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾، وهي ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلاً ونهاراً، يحفظون أعمالكم ويحسونها، ولا يفرطون في حفظ ذلك وإحصائه ولا يضيعون.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله في الآية الكريمة: حفظة - يابن آدم - يحفظون عليك علمك ورزقك وأجلك إذا توفيت ذلك قبضت إلى ربك.

ثم قال الطبري رحمه الله:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾، يقول تعالى ذكره: إن ربكم يحفظكم برسل يعقب بينها، يرسلهم إليكم بحفظكم وبحفظ أعمالكم، إلى أن يحضركم الموت، وينزل بكم أمر الله، فإذا جاء ذلك أحدكم، توفاه أملاكنا الموكلون بقبض الأرواح، ورسلنا المرسلون به، ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ في ذلك فيضيعونه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي: وهو الذي قهر كل شيء، وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه - كل شيء ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان، كقوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وحفظة يحفظون عمله ويحسونه عليه، كقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

وكقوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

وقوله: ﴿إِذْ يَنْفَقُ الْغُلَامُ عَلَىٰ الْغُلَامِ﴾ الآية.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: احتضر وحن أجله ﴿تَوَفَّتْهُ

رُسُلَنَا ﴿١﴾ أي: ملائكة موكلون بذلك.

وقال كذلك:

وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ﴿٢﴾ أي: في حفظ روح المتوفى، بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله - عز وجل - إن كان من الأبرار ففي عليين، وإن كان من الفجار ففي سجين - عيادًا بالله من ذلك.

وقال السعدي في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»: ﴿وَهُوَ﴾ تعالى: ﴿الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ﴿٣﴾ ينفذ فيهم إرادته الشاملة، ومشيئته العامة، فليسوا يملكون من الأمر شيئًا، ولا يتحركون، ولا يسكنون إلا بإذنه. ومع ذلك فقد وكل بالعباد، حفظة من الملائكة، يحفظون عليه ما عمل كما قال تعالى:

﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينًا ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٢﴾ وَعَنِ السَّمَاءِ قَعِيدٌ ﴿١٣﴾، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ﴿١٤﴾ فهذا حفظه لهم في حال الحياة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ ﴿١٥﴾ أي: الملائكة الموكلون بقبض الأرواح.

﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ﴿١٦﴾ في ذلك، فلا يزيدون ساعة مما قدره الله وقضاه، ولا ينقصون، ولا ينفذون من ذلك، إلا بحسب المراسيم الإلهية، والتقادير الربانية.



س: هل ملك الموت له أعوان؟

ج: نعم، لملك الموت أعوان، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ﴿١٧﴾ فدلّ قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ على أن ملك

الموت له أعوان.



س: كيف الجمع بين هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]

وقوله تعالى: ﴿تَوَفَّيْتُهُمْ رُسُلَنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾

فالأولى: أفادت أن الذي يتوفى الأنفس هو الله، والثانية: أنه ملك الموت، والثالثة: أنهم الملائكة؟

ج: وجه الجمع بين ذلك أن الله عز وجل يأمر ملك الموت، وملك الموت يأمر أعوانه، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

فإن قال قائل: أو ليس الذي يقبض الأرواح ملك الموت، فكيف قيل: ﴿تَوَفَّيْتُهُمْ رُسُلَنَا﴾، و«الرسول» جملة وهو واحد؟ أو ليس قد قال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]؟

قيل: جائز أن يكون الله - تعالى ذكره - أعان ملك الموت بأعوان من عنده، فيتولون ذلك بأمر ملك الموت، فيكون «التوفي» مضافاً - وإن كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت - إلى ملك الموت؛ إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره، كما يضاف قتل من قتل أعوان السلطان وجلد من جلدوه بأمر السلطان، إلى السلطان، وإن لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه، ولا وليه بيده.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ۖ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله تعالى - في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره: ثم ردت الملائكة الذين توفّوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم، إلى الله سيدهم الحق، ﴿لَا لَهُ الْحُكْمُ﴾، يقول: ألا له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ﴾، يقول: وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وأجالكم وغير ذلك من أموركم - أيها الناس - وأحصاها، وعرف مقاديرها ومبالغها؛ لأنه لا يحسب بعقد يد، ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية، و﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: ٣].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ويحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ يعني: الخلائق كلهم إلى الله يوم القيامة، فيحكم فيهم بعدله، كما قال: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، وقال: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] إلى قوله: ﴿وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ولهذا قال: ﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ۖ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَٰذَا وَلَمْ نَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: قل لهؤلاء المشركين: يا أهل الشرك، إذا ضللتكم وتحرّتم في البراري والقفار والصحاري والوديان، وكذا إذا لعبت بكم الأمواج

في البحار وأظلمت عليكم فيها الليالي، وأشرفتم على الغرق والهلاك من الإله الذي تدعونه من دون الله، إن الآلهة التي تدعونها من دون الله تضل عنكم في هذه الأوقات، وتتجهون إلى الله عز وجل وحده بالدعاء لكشف الضر وزوال البلاء، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

فإذا مسَّكم ما قد ذكر أقبلتم على الله عز وجل وقدمتم الوعود: لئن أنجانا من هذا البلاء؛ لنقدمن شكرًا وتوحيدًا وإخلاصًا لله عز وجل.
قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: قل يا محمد، لهؤلاء العادلين ببرهم، الداعين إلى عبادة أوثانهم: مَنْ الذي ينجيكم، ﴿مَنْ ظَلَمْتَ الْبَرَّ﴾، إذا ضللتهم فيه فتحيرتم، فأظلم عليكم الهدى والمحجة، ومن ظلمات البحر إذا ركبتموه، فأخطأتم فيه المحجة، فأظلم عليكم فيه السبيل، فلا تهتدون له، غير الله الذي إليه مفرعكم حينئذ بالدعاء، ﴿تَضُرُّعًا﴾، منكم إليه واستكانة جهراً، ﴿وَخَفِيَّةً﴾، يقول: وإخفاءً للدعاء أحياناً، وإعلاناً وإظهاراً، تقولون: لئن أنجيتنا من هذه يا رب - أي من هذه الظلمات التي نحن فيها - ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، يقول: لنكونن ممن يوحدك بالشكر، ويخلص لك العبادة، دون من كنا نشركه معك في عبادتك.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى ممتناً على عباده في إنجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر، أي: الحائرين الواقعين في المهامة البرية، وفي اللجج البحرية، إذا هاجت الرياح العاصفة، فحينئذ يفردون الدعاء له وحده لا شريك له، كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا بَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْ طَيْفَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رَيْحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

وَطَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَيْنَ أُنَجِّتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أُنَجِّتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿يونس: ٢٢، ٢٣﴾، وقوله: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣].

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ أي: جهراً وسراً ﴿لَيْنَ أُنَجِّتَنَا مِنْ هَٰذِهِ﴾ أي: من هذه الضائقة؛ ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: بعدها.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ أي: بعد ذلك ﴿تُشْكِرُونَ﴾ أي: تدعون معه في حال الرفاهية آلهة أخرى.



س: كثيراً ما يقدم أهل الشرك الوعود، وكثيراً ما يعقدون العهود، ثم بعد ذلك إذا هم ينكثون دُلِّلَ على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قولهم: ﴿لَيْنَ أُنَجِّتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اللّٰهَ لَئِنْ ءَاتٰنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ﴾ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا ءَاتٰهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوْا بِهٖ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُصَّتَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يُدْعُنَا إِلَىٰ ضَرْبٍ مِّمَّهٖ﴾ [يونس: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا

جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿٢٣﴾

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ دَعَا إِلَّا إِلَاهَهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله تعالى - في معنى ذلك:

يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء العادلين برهم سواء من الآلهة، إذا أنت استفمتههم عمن به يستعينون عند نزول الكرب بهم في البر والبحر: الله القادر على فرجكم عند حلول الكرب بكم، ينجيكم من عظيم النازل بكم في البر والبحر من همّ الضلال وخوف الهلاك، ومن كل كرب سوى ذلك وهم، لا آهتكم التي تشركون بها في عبادته، ولا أوثانكم التي تعبدونها من دونه، التي لا تقدر لكم على نفع ولا ضرر، ثم أنتم بعد تفضله عليكم بكشف النازل بكم من الكرب، ودفع الحال بكم من جسيم الهم تعدلون به آهتكم وأصنامكم، فتشركونها في عبادتكم إياه.

وذلك منكم جهل بواجب حقه عليكم، وكفر لأياديه عندكم، وتعرض منكم لإنزال عقوبته عاجلاً بكم.



س: من الذين عناهم الله عز وجل بقوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾؟

ج: ذهب بعض العلماء: إلى أن الذين عناهم الله بهذه الآية هم أهل الشرك الذين تقدم ذكرهم وذكر فعالمهم؛ وذلك لأن سياق الآيات فيهم.

وذهب آخرون من العلماء: إلى أن الذين عناهم الله بهذه الآية هم المسلمون من أمة محمد ﷺ؛ وذلك لأن النبي ﷺ استعاذ عند نزولها، وقال عند قوله: ﴿أَوْ يَلِيْسَكُمْ شَيْعًا﴾ هذه أهون أو أيسر.

وذهب فريق ثالث من العلماء: إلى أن صدر الآية في المشركين .

وقوله: ﴿أَوْ يَلِيْسَكُمْ شَيْعًا﴾ في المسلمين.

وذهب فريق رابع من العلماء: إلى أنها في أهل الشرك، ومن سلك طريقهم في الشقاق والعناد والعصيان.
واختار الطبري رحمه الله:

والصواب من القول عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره توعد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الأوثان، وإياهم خاطب بها؛ لأنها بين إخبار عنهم وخطاب لهم، وذلك أنها تتلو قوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَجَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْرِكُونَ﴾.

ويتلوها قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين، كان بيننا أن ذلك وعيد لمن تقدم وصف الله إياه بالشرك، وتأخر الخبر عنه بالتكذيب، لا لمن لم يجر له ذكر.

غير أن ذلك - وإن كان كذلك - فإنه قد عم وعيده بذلك كل من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله، والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها.

وأما الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة»، فجائز أن هذه الآية نزلت في ذلك الوقت وعيداً لمن ذكرت من المشركين، ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربه، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعيد أمته مما ابتلى به الأمم الذين استوجبوا من الله - تعالى ذكره - بمعصيتهم إياه هذه العقوبات، فأعادهم بدعائه إياه ورغبته إليه، من المعاصي التي يستحقون بها من هذه الخلال الأربع من العقوبات أغلظها، ولم يعدهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها.

وأما الذين تأولوا أنه عني بجميع ما في هذه الآية هذه الأمة، فإني أراهم تأولوا أن في هذه الأمة من سيأتي من معاصي الله وركوب ما يسخط الله، نحو الذي ركب من قبلهم من الأمم السالفة، من خلافه والكفر به، فيحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من المثلات والنقمت، وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله: «جاء منهم اثنتان بعد رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة وبقيت اثنتان، الخسف والمسح»، وذلك أنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سيكون في هذه الأمة خسف ومسح وقذف».

وأن قومًا من أمته سييتون على هُوٍ ولعب، ثم يصبحون قردة وخنازير. وذلك إذا كان، فلا شك أنه نظير الذي في الأمم الذين عتوا على ربه في التكذيب وجحدوا آياته.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُزَيِّقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء الذين دعوا ربهم تضرعًا وخفية وهم في ظلمات البر والبحر، وأعطوا العهود والمواثيق لئن أنجاهم الله؛ ليكونن من الشاكرين، ثم نقضوا تلك العهود والمواثيق بعد أن سلمهم الله ونجاهم إلى البر، وأشركوا بالله مرة ثانية - قل لهؤلاء: إن الله قادرٌ - وإن كنتم على البر وشعرتم بالأمن والأمان - على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم، حصباء تحصبكم من السماء، كما صنع بقوم لوط وكما صنع بأبرهة الأشرم وغيرهما، أو يهلككم بريح عاصفٍ تصبحون معها كأعجاز النخل الخاوية، أو سقوط البيوت عليكم أو الطوفان، وقادر أيضًا على أن يرسل عليكم عذابًا من تحت أرجلكم كالخسف^(١) ونحوه.

أو يجعلكم فرقًا متناحرة وأحزابًا متفرقة تتقاتلون وتتصارعون، ويسفك بعضكم دماء بعض.

فلا تأمنوا يا من وعدتم وأخلفتم!! لا تأمنوا يا من كنتم في ظلمات البر والبحر وأنجاهم الله! فالله عليكم قادر أينما كنتم وحيثما كنتم!

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ لما قال: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ عقبه بقوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ أي: بعد إنجائه إياكم؛ كقوله في سورة سبحان: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزَيِّجُ لَكُمُ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝١٦﴾ وإذا مسكم الضر في

(١) وأورد البعض قولاً آخر في هذا الباب، حاصله أن العذاب من فوق المراد به: أمراء السوء، والعذاب من أسفل: هم الخدم.

الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّيْنَا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿[الإسراء: ٦٦-٦٩].﴾

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ لَكُمْ شَيْعًا﴾: وهذا اللبس بأن يخلط أمرهم فيجعلهم مختلفي الأهواء. عن ابن عباس. وقيل: معنى ﴿لَيْسَ لَكُمْ شَيْعًا﴾ يقوي عدوكم حتى يخالطكم وإذا خالطكم فقد لبسكم.

﴿شَيْعًا﴾ معناه فرقا.

وقيل يجعلكم فرقا يقاتل بعضكم بعضا؛ وذلك بتخليط أمرهم وافتراق أمرائهم على طلب الدنيا.

وهو معنى قوله: ﴿وَيَذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ أي: بالحرب والقتل في الفتنة؛ عن مجاهد.

والآية عامة في المسلمين والكفار. وقيل: هي في الكفار خاصة. وقال الحسن: هي في أهل الصلاة.



س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ...﴾ الآية؟

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري^(١) من حديث جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]،

قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك» قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ يَلِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون» أو «هذا أيسر».

وأخرج مسلم^(١) من طريق عامر بن سعد عن أبيه، أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلًا، ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «سألت ربي ثلاثًا؛ فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة؛ سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألت أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألت أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».

وأخرج الإمام أحمد^(٢) بسند حسن لغيره من حديث معاذ، قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة، فأحسن فيها القيام والخشوع والركوع والسجود، قال: «إنها صلاة رغب ورهب، سألت الله فيها ثلاثًا فأعطاني اثنتين وزوى عني واحدة، سألت أن لا يبعث على أمتي عدوًا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيه، وسألت أن لا يبعث عليهم سنة تقتلهم جوعًا فأعطانيه، وسألت أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها علي».

وأخرج مسلم^(٣) من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها سنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد؛ إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك: أن

(١) مسلم (٢٨٩٠).

(٢) أحمد (٢٤٧/٥).

(٣) مسلم (٢٨٨٩).

لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم يستبيح
بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال: من بين أقطارها - حتى يكون
بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نَصَرِفُ أَلْيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: انظر إلى هؤلاء المشركين، وقد نوعنا لهم الآيات
وسقنا إليهم الحجج والبيانات لعلهم يفهمون عنا مرادنا، لعلهم ينزجرون عما هم
فيه من غيٍّ وكفرٍ وشرٍّ وفساد.

قال الطبري رحمه الله:

يقول - تعالى ذكر - لنبه محمد ﷺ: انظر يا محمد، بعين قلبك إلى ترديدنا
حججنا على هؤلاء المكذبين برهم، الجاحدين نعمه، وتصريفناها فيهم، ﴿لَعَلَّهُمْ
يَفْقَهُوْنَ﴾، يقول: ليفقهوا ذلك ويعتبروه، فيذكروا ويزدجروا عما هم عليه
مقيمون مما يسخطه الله منهم، من عبادة الأوثان والأصنام، والتكذيب بكتاب الله
تعالى ذكره ورسوله ﷺ.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ

بِوَكِيلٍ﴾؟

ج: وكذب بهذا القرآن، وما فيه من الوعد والوعيد قومك من أهل الشرك -
يا رسول الله - فلا تتشكك أنت فيه؛ فإنه الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فيه،
فامض فيما أنت فيه ماضٍ، وقل لهؤلاء المكذبين: لست عليكم بحفيظ ولا رقيب،
إنما أنا منذر ومبلغٌ عن الله عزَّ وجل، ثم هو الرقيب عليكم العليم بأعمالكم
وأقوالكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وكذب - يا محمد - قومك بما تقول وتخبر وتوعد من الوعيد، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾، يقول: والوعيد الذي أوعدناهم على مقامهم على شرهم: من بعث العذاب من فوقهم، أو من تحت أرجلهم أو لبسهم شيئا، وإذاقة بعضهم بأس بعض، ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه أنه واقع إن هم لم يتوبوا وينيبوا مما هم عليه مقيمون من معصية الله والشرك به، إلى طاعة الله والإيمان به، ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾، يقول: قل لهم - يا محمد -: لست عليكم بحفيظ ولا رقيب، وإنما أن رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: لكل خبر يستقر فيه، فيعلم صدقه من كذبه، وسوف تعلمون صدق ما أخبرتكم به من الأخبار .

والمعنى أيضًا: لكل نبأ حقيقة، أي: لكل خبر وقوع، ولو بعد حين؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ بَأْسَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨] .

قال الطبري رحمه الله:

﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، يقول: لكل خبر مستقر، يعني: قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليه، فيتبين حقه وصدقه، من كذبه وباطله، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، يقول: وسوف تعلمون، أيها المكذبون بصحة ما أخبركم به من وعيد الله إياكم، أيها المشركون، حقيقته عند حلول عذابه بكم، فرأوا ذلك وعينوه، فقتلهم يؤمئذ بأيدي أوليائه من المؤمنين.

قلت: ويحتمل أيضًا أن يكون قوله: ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ بمعنى المواساة لرسول الله ﷺ، ويكون المعنى لا تجزع لما حلَّ بك ونزل فكلَّ خبر له نهاية وكل

حادثة لها انكشاف، والحوادث عند نزولها تكون شديدة، ثم يزول أثرها شيئاً فشيئاً، وتأتي حوادث هي أعظم منها فترقق التي قبلها، والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾؟

ج: الآية تحمل توجيهاً للنبي ﷺ وكيف يتصرف إذا رأى قوماً يخوضون في آيات الله ويسخرون منها ويكذبون بها، فقليل له: وإذا رأيت القوم الذين يكذبون بآياتنا ويسخرون منها، فاترك مجالسهم وانصرف عنها، وإذا قُدر ونسيت وجالستهم وهم يخوضون فيها ثم تذكرت ما ذكرك الله به، فانصرف عن مجالستهم ولا تقعد معهم مرة ثانية .

قال الطبري رحمه الله:

يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد ﷺ: وإذا رأيت - يا محمد - المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها إليك، ووحينا الذي أوحيناه إليك، و«خوضهم فيها»، كان استهزاءهم بها، وسبهم من أنزلها وتكلم بها، وتكذيبهم بها، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، يقول: فصد عنهم بوجهك، وقم عنهم، ولا تجلس معهم، ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، يقول: حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم، ﴿وَإِنَّمَا يُنِيسُكَ الشَّيْطَانُ﴾، يقول: وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا، ثم ذكرت ذلك، فقم عنهم، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه. وذلك هو معنى «ظلمهم» في هذا الموضع.



س: هذه الآيات الكريمة ﴿وَلِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيِلِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ...﴾ تصلح أن تكون مثلاً لتفسير القرآن بالقرآن، وضح ذلك؟

ج: نعم، تصلح أن تكون مثلاً لتفسير القرآن بالقرآن، فهي موضحة لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠]، والله أعلم.

قال الشنقيطي - رحمه الله - «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَلِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيِلِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

نهى الله تعالى نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة عن مجالسة الخائضين في آياته، ولم يبين كيفية خوضهم فيها التي هي سبب منع مجالستهم، ولم يذكر حكم مجالستهم هنا، وبين ذلك كله في موضع آخر، فبين أن خوضهم فيها بالكفر والاستهزاء بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ الآية.

وبين أن من مجالسهم في وقت خوضهم فيها مثلهم في الإثم بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾، وبين حكم من جالسهم ناسياً، ثم تذكر بقوله هنا: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، كما في سورة النساء.



س: ما المراد بالخوض في آيات الله؟

ج: لذلك صور منها: الكفر بها والاستهزاء بها؛ ففي الآية الكريمة: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ

حَتَّى يَخْوَضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ... ❀

وقال السعدي رحمه الله:

المراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدرح فيه وفي أهله.

فأمر الله رسوله أصلاً، وأتمته تبعاً، إذا رأوا من يخوض بآيات الله بشيء مما ذكر، بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل والاستمرار على ذلك، حتى يكون البحث والخوض في كلام غيره.

فإذا كان في كلام غيره، زال النهي المذكور فإن كان مصلحة؛ كان مأموراً به، وإن كان غير ذلك؛ كان غير مفيد ولا مأمور به.

وفي ذم الخوض بالباطل حثٌّ على البحث، والنظر، والمناظرة بالحق.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

و﴿لِعِبَادَ وَلَهُوًّا﴾ حيث سخرُوا به واستهزءُوا فيه، فلا تعلق قلبك بهم؛ فإنهم أهل تعنت، وإن كنت مأموراً بإبلاغهم الحجة، وقيل: هذه الآية منسوخة بآية القتال، وقيل: المعنى أنهم اتخذوا دينهم الذي هم عليه لعباً وهوًّا كما في فعلهم بالأنعام من تلك الجهالات والضلالات المتقدم ذكرها.

وقيل: المراد بالدين هنا: العيد، أي: اتخذوا عيدهم لعباً وهوًّا، قال قتادة: أي: أكلاً وشرباً، وكذا من جعل طريقته الخمر والزمر والرقص ونحوه، وفي البيضاوي بنوا أمر دينهم على التشهي، وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلاً وآجلاً؛ كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب.



س: اذكر بعض الأدلة الناهية عن مجالسة أهل الباطل ومجالس الباطل؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِنَنَّ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝﴾ [النساء: ١٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ۚ سَلَّمْ عَلَيْكُمْ لَّا بَغْيِيَ الْبَهِلِينَ ۝﴾ [القصص: ٥٥].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝﴾؟

ج: الظاهر - والله تعالى أعلم -: أن معناها وما على أهل الإيمان والتقوى من إثم من جراء جلوسهم مع هؤلاء الخائضين ما داموا ليس براضين عن صنيعهم وعن خوضهم، وإنما أمر أهل التقوى بالإعراض عن هذه المجالس والقيام منها تذكيراً لأهل الخوض حتى ينكفوا عن خوضهم، فالقيام نفسه تذكيراً لهؤلاء الخائضين، والله تعالى أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول - تعالى ذكره -: ومن اتقى الله فخافه، فأطاعه فيما أمره به، واجتنب ما

نهاه عنه، فليس عليه بترك الإعراض عن هؤلاء الخائضين في آيات الله في حال خوضهم في آيات الله، شيء من تبعة فيما بينه وبين الله، إذا لم يكن تركه الإعراض عنهم رضي بما هم فيه، وكان لله بحقوقه متقيًا، ولا عليه من إثمهم بذلك حرج، ولكن ليعرضوا عنهم حينئذ ذكرى لأمر الله، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، يقول: ليتقوا. ومعنى «الذكرى»، الذكر. و«الذكر» و«الذكرى» بمعنى.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك فقد برئوا من عهدهم وتخلصوا من إثمهم.



س: من وسائل تذكير المعتدين والعصاة ترك مجالستهم وهجرانهم، اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرْنَاهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.



س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾ الآية؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: واترك هؤلاء الذين جعلوا دين الله لعبًا ولهوًا فهذا حظهم من هذا الدين: السخرية والاستهزاء فاترك هؤلاء الساخرين العابثين ولا تشغل بهم، فأنا أكفيكمهم، كما قال تعالى ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]،

أي: فأنا أكفيكمه، وكما قال سبحانه: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾ [الزمل: ١١]، أي: فأنا أكفيكمهم وأنتقم لك منهم.

اترك هؤلاء ولا تهتم بهم ولا تشغل بهؤلاء الذين شغلتهم دنياهم عن أخراهم فاغترؤا بزخارفها ورضوا بها بدلاً عن الآخرة وأقبل على تذكير سائر الخلق بهذا القرآن من قبل أن يأتي يوم تُسَلَّم نفس للعذاب وتفتضح بسبب كسبها السيئ الذي اكتسبته في دنياها، وحينئذ لا ينفعها شفيع، وليس لها ناصرٌ ينصرها، وإن قدمت كل فدية كي تفتدي نفسها بها من العذاب، فلن تقبل منها تلك الفدية؛ فهؤلاء الذين أُسْلِمُوا للعذاب، أُسْلِمُوا له وذاقوه بما كسبوا وما اجترحوا من المعاصي والآثام، هؤلاء لهم يوم القيامة شراب حارٌّ في غاية من الحرارة، إنه شراب من حميم، ولهم عذاب مؤلم موجه بسبب كسبهم الذي اكتسبوه من الكفر والشرك بالله عزَّ وجل.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم - بناءً على تأويله ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ بأن المراد به: تركهم وعدم مؤاخذتهم - ذهبوا إلى أن قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ...﴾ منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا الْفُسْكَرَيْنِ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُنَّ﴾ [التوبة: ٥].

قال الطبري رحمه الله:

يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد ﷺ: ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعباً ولهواً، فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إياه اللعب بآياته، واللغو والاستهزاء بها إذا سمعوها وتليت عليهم، فأعرض عنهم، فإني لهم بالمرصاد، وإني لهم من وراء الانتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون، وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا، ونسيانهم المعاد إلى الله تعالى ذكره والمصير إليه بعد الممات.

وقال أيضًا:

وقد نسخ الله تعالى ذكره هذه الآية بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وكذلك قال عدد من أهل التأويل.

وقال كذلك:

وأما قوله: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾، فإنه يعني به: وذكّر - يا محمد - بهذا القرآن هؤلاء المولّين عنك وعنه، ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾، بمعنى: أن لا تبسل، كما قال: ﴿يُيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، بمعنى: أن لا تضلوا، وإنما معنى الكلام: وذكرهم به ليؤمنوا ويتبعوا ما جاءهم من عند الله من الحق، فلا تبسل أنفسهم بما كسبت من الأوزار، ولكن حذفت «لا»، لدلالة الكلام عليها.

وقال الطبري أيضًا:

وأصل «الإبسال» التحريم، يقال منه: «أبسلت المكان»، إذا حرّمته فلم يقرب، ومنه قول الشاعر:

بَكَرْتُ تَلُومَكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسُلُّ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِتَابِي

أي: حرام عليك ملامتي وعتابي.

ومنه قولهم: «أسد باسل»، يراد به: لا يقربه شيء، فكأنه قد حرم نفسه، ثم يجعل ذلك صفة لكل شديد يتحامى لشدة. ويقال: «أعطى الراقي بُسلته»، يراد بذلك: أجرته.

«وشراب بسيل»، بمعنى: متروك. وكذلك «المبسل بالجريرة»، وهو المرتهن بها، قيل له: «مُبْسَل»؛ لأنه محرم من كل شيء إلا مما رهن فيه وأسلم به، ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابي:

وَأَسْأَلِي بِبَنِي إِسْرَءِيلَ بِغَيْرِ جُرْمٍ بِعَوْنَاهُ وَلَا بِدَمٍ مُّرَاقٍ

وقال الشنفرى:

هَذَا لَكَ لَا أَرْجُو حَيَاةَ تَسْرُنِي سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبَسَّلًا بِالْجَرَائِرِ

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذا: وذكر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون في آياتنا وغيرهم ممن سلك سبيلهم من المشركين، كيلا تُبسل نفس بذنوبها وكفرها بربها، وترتهن فتغلق بها كسبت من أجرامها في عذاب الله، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يقول: ليس لها، حين تسلم بذنوبها فترتهن بها كسبت من آثامها، أحد ينصرها فينقذها من الله الذي جازاها بذنوبها جزاؤها، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾، يشفع لها لو سيلة له عنده.

وقال السعدي في «تفسيره»:

﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ أي: ذكر بالقرآن، ما ينفع العباد، أمراً، وتفصيلاً، وتحسيناً له، بذكر ما فيه من أوصاف الحسن، وما يضر العباد نهياً عنه، وتفصيلاً لأنواعه، وبيان ما فيه، من الأوصاف القبيحة الشنيعة، الداعية لتركه.

وكل هذا لئلا تبسل نفس بما كسبت، أي: قبل اقتحام العبد للذنوب وتجروء على علام الغيوب، واستمراره على ذلك المرهوب. فذكرها، وعظها، لترتدع وتنزجر، وتكف عن فعلها.



س: وضح معنى قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كُفْرًا لَا يُوَخِّذْ مِنْهَا﴾ مع ذكر بعض الآيات في معناها؟

ج: أما عن معنى الآية الكريمة - والله أعلم - فهو: وإن تفتدي النفس الكافرة - التي أُسْلِمَتْ للعذاب بسبب كفرها - بكل أنواع الفداء بجبال الأرض

من ذهب، بالمال، بالبنون، بأي شيء تملكه حتى يخفف عنها العذاب أو يصرف فلن تقبل منها تلك الفدية ولن يخفف عنها العذاب ولن يصرف.

أما الآيات في معناها فمنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣٦) يُريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيمٌ ﴿[المائدة: ٣٦، ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصرون﴾ [البقرة: ٤٨].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا...﴾ الآية؟

ج: المعنى - والله أعلم - قل لهؤلاء المشركين الذي عبدوا مع الله آلهة أخرى لا تنفع ولا تضر: يا هؤلاء، أأمروني أن أعبد آلهة لا تنفع ولا تضر، وأرجع إلى الجهل بعد العلم، وإلى الظلمات بعد النور، وقد وضح الله لي طريق الهداية وبصرني به ورزقني سلوكه، فإني إن فعلت ذلك؛ فمثلي كمثلي شخص استهوته الشياطين فانتزعتة ولعبت بعقله وفؤاده وقادته إلى طريق الردى، وأخذت به إلى طريق الغواية وحسنته له وزينته له، وحيرته فأضلته مع أن له فئة من أهل الصلاح من أصحابه وأصدقائه ينادونه فلا يسمع ويحذرونه فلا يحذر، فقل له: إن هدى الله هو الهدى لا الذي تسمعه من الشياطين ولا الذي تقودك إليه الشياطين، وأما نحن فأمرنا أن نُسلم لرب العالمين نستسلم له ونخضع، نقبل هدايته ونسمع.

قال الطبري - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية الكريمة:

وهذا تنبيه من الله - تعالى ذكره - نبيه ﷺ على حاجته على مشركي قومه من

عبدة الأوثان.

يقول له - تعالى ذكره -: قل - يا محمد - هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأنداد، والأمين لك باتباع دينهم وعبادة الأصنام معهم: أندعو من دون الله حجرًا أو خشبًا لا يقدر على نفعنا أو ضرنا، فنخصه بالعبادة دون الله، وندع عبادة الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت، إن كنتم تعقلون فتميزون بين الخير الشر؟ فلا شك أنكم تعلمون أن خدمة ما يرتجى نفعه ويهرب ضره، أحق وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه ولا يخشى ضره!

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾، يقول: ونرد إلى أدبارنا، فنرجع القهقري خلفنا، لم نظفر بحاجتنا.

وقد بيّنا معنى: «الرد على العقب»، وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها: «رد على عقبه»، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وإنما يراد به في هذا الموضع: ونرد من الإسلام إلى الكفر، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾، فوفقنا له، فيكون مثلنا في ذلك مثل الرجل الذي استتبعه الشيطان، يهوي في الأرض حيران.

وقوله: «استهوته»، «استفعلته»، من قول القائل: «هوى فلان إلى كذا يهوي إليه»، ومن قول الله - تعالى ذكره -: ﴿فَأَجْعَلْ آفِئَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾ [إبراهيم: ٣٧]، بمعنى: تنزع إليهم وتريدهم.

وأما «حيران»، فإنه «فعلان» من قول القائل: «قد حار فلان في الطريق، فهو يحار فيه حيرة وحيرانًا وحيرة»، وذلك إذ ضلّ فلم يهتد للمحجة.

﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾، يقول: لهذا الحيران الذي قد استهوته الشياطين في الأرض، أصحاب على المحجة واستقامة السبيل، يدعونه إلى المحجة لطريق الهدى الذي هم عليه، يقولون له: اثنا.

وقال رحمه الله أيضًا:

وهذا مثل ضربه الله - تعالى ذكره - لمن كفر بالله بعد إيمانه، فاتبع الشياطين، من أهل الشرك بالله، وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال إسلامه، المقيمون على الدين الحق، يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون، والصواب الذي هم به متمسكون، وهو له مفارق وعنه زائل، يقولون له: «اثننا فكن معنا على استقامة وهدى»! وهو يأبى ذلك، ويتبع دواعي الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان.

وقال في تفسير قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

يقول - تعالى ذكره لنبيه - محمد ﷺ: قل - يا محمد - هؤلاء العادلين برههم الأوثان، القائلين لأصحابك: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، فإننا على هدى، ليس الأمر كما زعمتم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، يقول: إن طريق الله الذي بينه لنا وأوضحه، وسبيله الذي أمرنا بلزومه، ودينه الذي شرعه لنا فبينه، هو الهدى والاستقامة التي لا شك فيها، لا عبادة الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، فلا نترك الحق ونتبع الباطل، ﴿وَأَمْرًا لِلَّهِ لِيُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يقول: وأمرنا ربنا ورب كل شيء تعالى وجهه، لنسلم له، لنخضع له بالذلة والطاعة والعبودية، فنخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد والآلهة.

قال السعدي رحمه الله:

﴿قُلْ﴾ يأياها الرسول للمشركين بالله، الداعين معه غيره، الذين يدعونكم إلى دينهم، مبيّنًا وشارحًا لوصف آلهتهم، التي يكتفي العاقل بذكر وصفها، عن النهي عنها.

فإن كل عاقل إذا تصور مذهب المشركين، جزم ببطلانه، قبل أن تقام البراهين على ذلك، فقال: ﴿أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ وهذا

وصف، يدخل فيه، كل من عبد من دون الله، فإنه لا ينفع ولا يضر، وليس له من الأمر شيء، إن الأمر إلا الله.

﴿وَنُرْدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾ أي: ونقلب بعد هداية الله لنا إلى الضلال، ومن الرشد إلى الغي، ومن الصراط الموصل إلى جنات النعيم، إلى الطرق التي تفضي بسالكها إلى العذاب الأليم.

فهذه حال لا يرتضيها ذو رشد، وصاحبها ﴿كَالَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أضلته وتهيته عن طريقه ومنهجه، الموصل إلى مقصده.
فبقي: ﴿حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ والشياطين يدعونه إلى الردى، فبقي بين الداعين حائراً.

وهذه حال الناس كلهم، إلا من عصمه الله تعالى، فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي متعارضة، دواعي الرسالة والعقل الصحيح، والفطرة المستقيمة.

﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ والصعود إلى أعلى عليين.

ودواعي الشيطان، ومن سلك مسلكه، والنفس الأمارة بالسوء، يدعونه إلى الضلال، والنزول إلى أسفل سافلين.

فمن الناس من يكون مع دواعي الهدى في أموره كلها أو أغلبها. ومنهم من بالعكس من ذلك. ومنهم من يتساوى لديه الداعيان، ويتعارض عنده الجاذبان.

وفي هذا الموضع، تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة.

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: ليس الهدى إلا الطريق التي شرعها الله على لسان رسوله، وما عداه، فهو ضلال وردى، وهلاك.

﴿وَأْمُرْنَا لِلسَّلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بأن نقاد لتوحيده، ونستسلم لأوامره

ونواهيه، وندخل تحت عبوديته. فإن هذا أفضل نعمة أنعم الله بها على العباد، وأكمل تربية أوصلها إليهم.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَأَن أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا﴾

ج: هذا - والله أعلم - : معطوف على ما قبله، فالمعنى: وأمرنا لنسلم لرب العالمين، وأمرنا أن نقيم الصلاة وأن نتقي الله فهو الذي إليه نُحشر. قال الطبري رحمه الله:

فتأويل الكلام: وأمرنا بإقامة الصلاة، وذلك أداؤها بحدودها التي فرضت علينا، ﴿وَاتَّقُوا﴾، يقول: واتقوا رب العالمين الذي أمرنا أن نسلم له، فخافوه واحذروا سخطه، بأداء الصلاة المفروضة عليكم، والإذعان له بالطاعة، وإخلاص العبادة له، ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، يقول: وربكم رب العالمين، هو الذي إليه تحشرون فتجمعون يوم القيامة، فيجازى كل عامل منكم بعمله، وتوفى كل نفس ما كسبت.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ

يَالْحَقَّ؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بالحق: الصواب الذي هو مقابل الباطل والخطأ، فالمعنى: وهو الذي خلق السماوات والأرض، وليس في خلقه لهما خطأ، بل خلقهما عين الحق والصواب.

فيكون المعنى: وهو الذي خلق السماوات والأرض حقاً وصواباً؛ كقولنا:

فلان يقول بالحق، أي: يقول حقاً وصواباً.

ومما يتأيد به هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص: ٢٧].

الثاني: أن المراد بالحق: أي: بكلامه الذي هو حق.

قال الطبري رحمه الله:

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿يَا لِحَقِّ﴾.

فقال بعضهم: معنى ذلك، وهو الذي خلق السماوات والأرض حقاً وصواباً، لا باطلاً وخطأً، كما قال - تعالى ذكره -: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص: ٢٧]. قالوا: وأدخلت فيه «الباء» و«الألف واللام»، كما تفعل العرب في نظائر ذلك؛ فتقول: «فلان يقول بالحق»، بمعنى: أنه يقول الحق.

قالوا: ولا شيء في «قوله بالحق» غير إصابته الصواب فيه، لا أن «الحق» معنى غير «القول»، وإنما هو صفةٌ للقول، إذا كان بها القول، كان القائل موصوفاً بالقول بالحق، ويقول الحق. قالوا: فكذلك خلق السماوات والأرض، حكمة من حكم الله. فالله موصوف بالحكمة في خلقها وخلق ما سواها من سائر خلقه، لا أن ذلك حقٌ سوى خلقها خلقها به.

وقال آخرون: معنى ذلك: خلق السماوات والأرض بكلامه وقوله لهما: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [نصلت: ١١]. قالوا: فالحق، في هذا الموضع معني به: كلامه. واستشهدوا لقليلهم ذلك بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾، «الحق»: هو قوله وكلامه.

قالوا: والله خلق الأشياء بكلامه وقيله، فما خلق به الأشياء فغير الأشياء

المخلوقة.

قالوا: فإذا كان ذلك كذلك، وجب أن يكون كلام الله الذي خلق به الخلق غير مخلوق.

قال صديق حسن خان رحمه الله:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكُوتَ وَالْأَرْضَ﴾ ﴿خَلَقًا﴾ ﴿بِالْحَقِّ﴾ أو حال كون الخلق بالحق، فكيف تعبدون الأصنام المخلوقة أو إظهارًا للحق، وعلى هذا الباء بمعنى اللام، وقيل: كل ذلك بالحق، وقيل: خلقها بكلامه الحق، وهو قوله: كن، وقيل: بالحكمة أو محققًا لا هازلًا ولا عبثًا.



س: وضع وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكُوتَ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؟
ج: قال الطبري - رحمه الله - في وجه الربط بينها:

يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد ﷺ: قل - يا محمد - لهؤلاء العادلين بربرهم الأنداد، الداعيك إلى عبادة الأوثان: «أمرنا لنسلم لرب العالمين، الذي خلق السماوات والأرض بالحق، لا من لا يتنفع ولا يضر، ولا يسمع ولا يبصر».



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
ج: في ذلك أقوال:

أحدها: واذكر يوم يقول الله عز وجل: كن فيكون.

الثاني: وقوله: الحق يوم ينفخ في الصور. أي: يوم يأمر الملك بالنفخ في الصور.

الثالث: أن قول الله حق إذا أمر بالأشياء فأعيدت بعد فنائها، ففعل الله هذا حق.

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله - تعالى ذكره - أخبر أنه المنفرد بخلق السماوات والأرض دون كل ما سواه، معرّفًا من أشرك به من خلقه جهله في عبادة الأوثان والأصنام، وخطأ ما هم عليه مقيمون من عبادة ما لا يضر ولا ينفع، ولا يقدر على اجتلاب نفع إلى نفسه، ولا دفع ضر عنها، ومحتجًا عليهم في إنكارهم البعث بعد الممات والثواب والعقاب، بقدرته على ابتداع ذلك ابتداءً، وأن الذي ابتدع ذلك غير متعذر عليه إفناؤه ثم إعادته بعد إفنائه، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ﴾، أيها العادلون بربهم من لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شيء، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ﴾، حجة على خلقه، ليعرفوا بها صانعها، وليستدلوا بها على عظيم قدرته وسلطانه، فيخلصوا له العبادة، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، يقول: ويوم يقول حين تبدل الأرض غير الأرض والسماوات كذلك: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، كما شاء تعالى ذكره، فتكون الأرض غير الأرض، ويكون الكلام عند قوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ متناهيًا.

وإذا كان كذلك معناه، وجب أن يكون في الكلام محذوفٌ يدلُّ عليه الظاهر، ويكون معنى الكلام: ويوم يقول كذلك: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ تبدل السماوات والأرض غير السماوات والأرض. ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، ثم ابتداء الخبر عن القول فقال: ﴿قَوْلَهُ الْحَقُّ﴾، بمعنى وعده هذا الذي وعد تعالى ذكره، من تبديله السماوات والأرض غير الأرض والسماوات، الحق الذي لا شك فيه، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ فيكون قوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، من صلة ﴿الْمُلْكُ﴾، ويكون معنى الكلام: والله الملك يومئذ؛ لأن النفخة الثانية في الصور حال تبديل الله السماوات والأرض غيرهما.

وجائز أن يكون «القول» أعني: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾، مرفوعاً بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، ويكون قوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ محلاً للقول مرفاعاً، فيكون تأويل الكلام: وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق، ويوم يبدلها غير السماوات والأرض؛ فيقول لذلك: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾.

وأما قوله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، فإنه خُصَّ بالخبر عن ملكه يومئذ، وإن كان الملك له خالصاً في كل وقت في الدنيا والآخرة؛ لأنه عنى تعالى ذكره أنه لـ منازع له فيه يومئذ ولا مدعي له، وأنه المنفرد به دون كل من كان ينازعه فيه في الدنيا من الجبابرة، فأذعن جميعهم يومئذ له به، وعلموا أنهم كانوا من دعواهم في الدنيا في باطل.

وفال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يعني: يوم القيامة، الذي يقول الله: كن فيكون عن أمره كلمح البصر أو هو أقرب، ويوم منصوب إما على العطف على قوله: ﴿وَأَتَقُوهُ﴾، وتقديره: واتقوا يوم يقول: كن فيكون، وإما على قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي: وخلق يوم يقول: كن فيكون؛ فذكر بدء الخلق وإعادته وهو مناسب، وإما على إضمار فعل تقديره: واذكر يوم يقول: كن فيكون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾؟

ج: ذلك - والله أعلم - كقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فليس هنالك يوم ينفخ في الصور من ينازع في ملك الله.

وقال السعدي رحمه الله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي: يوم القيامة خصه بالذكر - مع أنه مالك كل شيء -؛ لأنه تنقطع فيه الأملاك، فلا يبقى ملك

إلا الله الواحد القهار.

وفال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ جملتان محلهاما الجر على أنهما صفتان لرب العالمين.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يحتمل أن يكون بدلًا من قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، ويحتمل أن يكون ظرفًا لقوله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾؛ كقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]؛ وكقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿[الفرقان: ٢٦]، وما أشبه ذلك.

وأورد رحمه الله قولين للعلماء في المراد بـ «الصور»:

أحدهما: أن المراد بالصور: جمع صورة، أي: يوم يُنْفَخُ فيها فتحيًا.

والآخر: وصححه ابن كثير، وهو الأصوب والأصح، والله أعلم - أن المراد بالصور: قرن يُنْفَخُ فيه كما ورد ذلك عن رسول الله ﷺ.



س: اذكر معنى قوله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله تعالى - في معنى ذلك:

ويعني بقوله: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، عالم ما تعينون - أيها الناس - فتشاهدونه، وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾، في تدبيره وتصريفه خلقه من حال الوجود إلى العدم، ثم من حال

العدم والفناء إلى الوجود، ثم في مجازاتهم بما يجازيهم به من ثواب أو عقاب، ﴿الْخَيْرُ﴾، بكل ما يعملونه ويكسبونه من حسن وسيئ، حافظ ذلك عليهم ليجازيهم على كل ذلك. يقول تعالى ذكره: فاحذروا - أيها العادلون بربكم - عقابه؛ فإنه عليم بكل ما تأتون وتذرون، وهو لكم من وراء الجزاء على ما تعملون.



﴿٧٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٧﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٨١﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٢﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ؕ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٣﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٥﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٨﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٩﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٩٠﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ ؕ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٩٢﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّاهُمْ أَفْتَدَهُ قُلْ لَا آسَأُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِلُوهُ قَرَاطِيسَ مُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٤﴾ [الأنعام: ٧٤ - ٩٤].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَصْنَامًا﴾ - ءَالِهَةً - ضَلَالٍ - مُبِينٍ - مَلَكُوتَ - الْمُؤَقِنِينَ - جَنَّ عَلَيْهِ
 أَيْلٌ - كَوْكَبًا - أَفَلٌ - بَارِغًا - الصَّالِينَ - إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ فَطَرَ - خَنِيفًا -
 وَحَاجَّهُ - أَمْحَجُوتِي فِي اللَّهِ - هَدَنَ - وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا -
 تَتَذَكَّرُونَ - سُلْطَنًا - يَلْبِسُوا - الْأَمْنُ - مُهْتَدُونَ - كَلَّا هَدَيْنَا -
 وَاجْتَبَيْنَاهُمْ - هُدَى اللَّهِ - لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ - وَالْحَكْمَ - يَكْفُرُ بِهَا هَؤُلَاءِ -
 وَكَلْنَاهَا - فِيهِدْنَاهُمْ - أَقْتَدَ - ذَكَرَى - وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ - قَرَّاطِيسَ -
 بُدُونَهَا - ذَرَهُمْ - خَوْضِهِمْ - يَلْعَبُونَ - مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ - أُمُّ الْقُرَى -
 - أَفْتَرَى - غَمَرَتِ أَلْوَتٍ - بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ - عَذَابَ الْهُونِ - خَوْلَنَّاكُمْ - تَقَطَّعَ
 بَيْنَكُمْ - وَضَلَّ عَنْكُمْ - زَرَعُمُونَ ﴿﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَصْنَامًا﴾	جمع صنم - تمثال في صورة إنسان أو حيوان.
﴿ءَالِهَةً﴾	معبودة (تعبدوها).
﴿ضَلَالٍ﴾	بُعْدٌ عَنِ الْحَقِّ وَعَدُولٌ عَنِ الصَّوَابِ.
﴿مُبِينٍ﴾	مُظْهِرٌ (لِجَهْلِ مَنْ فَعَلَهُ).
﴿مَلَكُوتَ﴾	مُلْكٌ - خَلْقٌ - آيَاتٌ، وَقِيلَ: إِنَّهَا (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ) فَهِيَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ، وَمَلَكُوتُ الْأَرْضِ الْجِبَالُ وَالْأَشْجَارُ وَالْبَحَارُ.
﴿الْمُؤَقِنِينَ﴾	المصدقين تمام التصديق.

﴿جَنَّ عَلَيْهِ أَلِيلٌ﴾	غطَّاه الليل - أقبل عليه الليل - تغشاه الليل وستره ^(١) .
﴿تَوَكَّبَا﴾	نَجَّما.
﴿أَفَلْ﴾	غاب - ذهب.
﴿بَارِزًا﴾	طالعا - ظاهرا.
﴿الضَّالِّينَ﴾	الذين أخطئوا الحق ولم يصيخوا الهدى وهم الذين عبدوا غير الله عزَّ وجل.
﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾	اتجهت بقصدي ونيتي وعبادتي.
﴿فَطَرَ﴾	خلق على غير مثالٍ سابق.
﴿حَنِيفًا﴾	مائلًا (عن الشرك إلى التوحيد).
﴿وَحَاجَّةً﴾	جادله.
﴿أَتَحْجُجُونِي فِي اللَّهِ﴾	أتجادلونني في توحيدى لله وإخلاص العمل له دون من سواه.
﴿هَدَنِي﴾	وفقني لتوحيده - بصَّرني بالحق.
﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾	أحاط ربي علما بكل شيء.
﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾	تتعظون - تعتبرون - تنزجرون.
﴿سُلْطَنَا﴾	حجة.
﴿يَلْبِسُوا﴾	يخلطوا.

(١) والعرب تطلق على كل ما توارى عن الأبصار: «جَنَّ».

﴿الْأَمَنُ﴾	السلامة من عذاب الله.
﴿شَهِتُونَ﴾	مصيبون للحق - سالكون طريق النجاة.
﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾	هديناهم جميعًا.
﴿وَأَجَبَيْنَاهُمْ﴾	اخترناهم - اصطفيناهم.
﴿هُدًى اللَّهُ﴾	توفيق الله.
﴿لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	ذهب عنهم ثواب العمل الصالح الذي عملوه.
﴿وَالْحَكْمُ﴾	الفهم في الدين - فهم الكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام.
﴿يَكْفُرُ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾	ييحدها هؤلاء ولا يؤمنون بها.
﴿وَكَلَّنَا بِهَا﴾	رزقناها قومًا - هدينا إليها قومًا - مننا بها على قوم.
﴿فَبِهَدَانُهُمْ﴾	بطريقتهم - على طريقهم.
﴿أَقْتَدِهْ﴾	سير - تأس - اتبع.
﴿ذِكْرِي﴾	إنذار - وعظ.
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾	ما عظموا الله حق تعظيمه.
﴿قَرَأَ طَيْسٌ﴾	أوراق - كتب.
﴿بَدَّوْنَهَا﴾	تظهرونها.
﴿ذَرَهُمْ﴾	اتركهم.
﴿خَوَّضِهِمْ﴾	باطلهم - كفرهم.

يستهزئون - يسخرون.	﴿يَلْعَبُونَ﴾
كثيرٌ خيرُه.	﴿مُبَارَكٌ﴾
موافق للكتب التي تقدمته.	﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾
مكة (أصل القرى).	﴿أُمُّ الْقُرَى﴾
اختلق الكذب.	﴿أَفْتَرَى﴾
سكرات الموت.	﴿غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾
مادوا أيديهم (بالضرب).	﴿بِأَسْطُوأَ أَيْدِيهِمْ﴾
العذاب الذي يهين ويذل ^(١) .	﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾
مكناكم (في الدنيا من الأشياء التي يتباهى به الناس).	﴿خَوَّلْنَكُمْ﴾
تقطع ما بينكم - تقطعت أسباب التواصل التي كانوا يتواصلون بها.	﴿نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ﴾
غاب عنكم - حاد عن طريقكم.	﴿وَصَلَّ عَنْكُمْ﴾
تدعون أنه شريك لله.	﴿تَزْعُمُونَ﴾



س: مَنْ (آزر)؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى: أن آزر هو اسمُ والد إبراهيم خليل الرحمن عليه

(١) قال الطبري: والعرب إذا أرادت بـ «الهون» معنى الهوان؛ ضمت الهاء، وإذا أرادت به الرفق والدعة؛ فتحت الهاء.

السلام.

* وقيل: إن اسم والد إبراهيم تارح.

* وقيل إن والد إبراهيم له اسمان أحدهما تارح، والآخر آزر كييعقوب عليه السلام اسمه يعقوب، واسمه إسرائيل

* وقيل: إن آزر اسمٌ لصنم.

* وقيل: إن آزر الزائغ معناه أعوج، فكأن المعنى، وإذ قال إبراهيم لأبيه الأعوج. قال الطبري رحمه الله:

فأولى القولين بالصواب منهما عندي قول من قال: «هو اسم أبيه»؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم، دون القول الآخر الذي زعم قائله أنه نعت.

فإن قال قائل: فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى «تارح»، فكيف يكون ﴿آزَرَ﴾ اسمًا له، والمعروف به من الاسم «تارح»؟

قيل له: غير محال أن يكون كان له اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم. وجائز أن يكون لقبًا يلقَّب به.

هذا، وقد ورد في الصحيح^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يلقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأني خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت

رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ^(١) ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ..﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد لحجاجك الذي تحاج به قومك، وخصومتك إياهم في آهتهم، وما تراجعهم فيها مما نلقيه إليك ونعلمكه من البرهان والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون، وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين، وحقيقة ما أنت به عليهم محتج - حجاج إبراهيم خليلي قومه، ومراجعته إياهم في باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الأوثان، وانقطاعه إلى الله والرضى به وليًا وناصرًا دون الأصنام، فاتخذه إمامًا واقتد به، واجعل سيرته في قومه لنفسك مثالًا، إذ قال لأبيه مفارقًا لدينه، وعائبًا عبادته الأصنام دون بارئه وخالقه: يا آزر.



س: ما المراد بالأصنام؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

و«الأصنام» جمع «صنم»، و«الصنم» التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك في صورة إنسان، وهو «الوثن». وقد يقال للصورة المصورة على صورة الإنسان في الحائط وغيره: «صنم» و«وثن».



(١) قيل: إنه الضبع الذكر المتلوث بعذرته.

س: وضع معنى قوله: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أتعجل لنفسك أصنامًا تعبدها من دون الله ترجو عندها النفع؟! تدعوها لكشف الضر؟! ترقع لها وتسجد؟! وتلجأ إليها وترغب؟! قال الطبري رحمه الله:

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل إبراهيم لأبيه آزر أنه قال: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تعبدها وتتخذها ربًّا دون الله الذي خلقك فسواك ورزقك؟



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله تعالى -: في معنى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾: وكما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلافه - ما كانوا عليه من الضلال -، نريه ملكوت السموات والأرض، يعني: ملكه . وقال أيضًا:

وزيدت فيه «التاء» كما زيدت في «الجبروت» من «الجبر»، وكما قيل: «رهبوت خيرٌ من رحوت»، بمعنى: رهبة خير من رحمة . وحكي عن العرب سماعًا: «له ملكوت اليمن والعراق» بمعنى: له ملك ذلك.



س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح المراد بـ ﴿مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

ج: هذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

الأول: ملكوت السموات والأرض أي: مُلك السموات والأرض.

الثاني: ملكوت السموات والأرض: ما ذُكر في الآيات بعدها وهي الشمس والقمر والنجوم.

الثالث: ملكوت السموات هي الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار.

الرابع: المراد: الآيات في السماوات وفي الأرض، الدالة على وحدانية الله وقدرته. وثُمَّ أقوال آخر أضربت عنها عن عمدٍ لعدم وجود ما يعضدها ويشهد لها بالصحة.

قال الطبري رحمه الله: بعد أن أورد جملة من الآثار^(١):

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب: قول من قال: عنى الله تعالى ذكره

(١) من هذه الآثار ما يلي:

ما أخرجه الطبري بسند حسن عن سلمان، قال:

«لما رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض، رأى عبدًا على فاحشة، فدعا عليه، فهلك. ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه، فهلك. ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه، فهلك. فقال: أنزلوا عبدي لا يُهلك عبادي!».

ونحوه عن عطاء، قال:

«لما رفع الله إبراهيم في الملكوت في السماوات، أشرف فرأى عبدًا يزني، فدعا عليه، فهلك. ثم رفع فأشرف، فرأى عبدًا يزني، فدعا عليه، فهلك. ثم رفع فأشرف، فرأى عبدًا يزني، فدعا عليه، فنودي: على رسلك يا إبراهيم، فإنك عبد مستجاب لك، وإني من عبدي على ثلاث: إما أن يتوب إليّ فأتوب عليه، وإما أن أخلاج منه ذرية طيبة، وإما أن يتهادى فيما هو فيه، فأنا من ورائه». وفي سنده بعض الكلام.

وبسند رجاله ثقات، عن أسامة قال:

«عن أسامة: أن إبراهيم خليل الرحمن حدّث نفسه أنه أرحم الخلق، وإن الله رفعه حتى أشرف على أهل الأرض، فأبصر أعماهم، فلما رآهم يعملون بالمعاصي، قال: اللهم دمر عليهم! فقال له ربه: أنا أرحم بعبادي منك، اهبط، فلعلهم أن يتوبوا إليّ ويراجعوا.

وأثر عن ابن عباس في معنى ذلك، لكن سنده ضعيف جدًا.

وكلها كما رأيت موقوفات ليس منها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ.

بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أنه أراه ملك السموات والأرض، وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما، وجلى له بواطن الأمور وظواهرها، لما ذكرنا قبل من معنى «الملكوت» في كلام العرب، فيما مضى قبل.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: نبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما، على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقهما، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، كقوله: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنِ خُسْفٍ بِهِمُ الْأَرْضِ أَوْ تُسْقَطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [سبا: ٩].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وليكون من المصدقين تمام التصديق، وليكون من المقرّين بوحدانية الله وقدرته تمام الإقرار، ومن المطمئنين لذلك تمام الطمأنينة.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿وَلْيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنه يعني: أنه أراه ملكوت السموات والأرض، ليكون ممن يقرّ بتوحيد الله، ويعلم حقيقة ما هداه له، وبصره إياه، من معرفة وحدانيته، وما عليه قومه من الضلالة من عبادتهم الأصنام واتخاذهم إياها آلهة دون الله تعالى.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلْيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: الواو زائدة، تقديره: وكذلك نري

إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين؛ كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَتِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

وقيل: بل هي على بابها: أي: نريه ذلك ليكون عالماً موقناً.



س: ما وجه قول الخليل إبراهيم عليه السلام للكوكب هذا ربي، ثم إعراضه عن ذلك وقوله للمقر هذا ربي، وكذا إعراضه بعد ذلك عن القمر، وقوله للشمس: هذا ربي هذا أكبر؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى حمل هذه الآيات على ظاهرها، وقالوا: إنه تَفَكَّرَ في ملكوت السماوات والأرض ونظر فيهما فرأى كوكباً فقال: هذا ربي ثم أتبعه بصره، أي: استمر في النظر إليه حتى غاب، فلما غاب (أي: أفل) قال: لا أحب الأفلين، أي: لا أحب إلهًا يأتي في وقتٍ ويزول في آخر، ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾، لكونه أكبر من الكوكب وأنور فلما غاب القمر قال: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾، ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾، أي أكبر من الكوكب والقمر وأنور، فلما غابت الشمس تبرأ من كل ما عُبد من دون الله، و﴿قَالَ يَنْقُومُ إِلَهِي بِرِيٍّ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ (٧٨) ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَافِعًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

* فحملوا الآيات الكرييات على ظاهرها. وإلى هذا ذهب الطبري رحمه الله تعالى.

وأورد آخرون قولاً آخر حاصله: إنما قال ذلك إبراهيم عليه السلام على وجه الإنكار على قومه، وعلى وجه السخرية من آلهتهم والعيب لآلهتهم وأصنامهم؛ فإذا كان الكوكب والقمر والشمس أضواً وأحسن وأبهج من الأصنام، ولم تكن مع ذلك معبودة، وكانت آفلة زائلة غير دائمة؛ فالأصنام - التي هي دونها في الحسن وأصغر منها في الجسم - أحق أن لا تكون معبودة ولا آلهة.

قالوا: وإنما قال ذلك لهم معارضة؛ كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضة له في قول باطل قال به بباطل من القول، على وجه مطالبته إياه بالفرقان بين القولين الفاسدين عنده، اللذين يصحح خصمه أحدهما ويدعي فساد الآخر. وقال آخرون منهم: بل ذلك كان منه في حال طفولته، وقبل قيام الحجة عليه. وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا إيمان.

وقال آخرون منهم: إنما معنى الكلام: أهذا ربي؟ على وجه الإنكار والتوبيخ، أي: ليس هذا ربي.

وقالوا: قد تفعل العرب مثل ذلك، فتحذف «الألف» التي تدلّ على معنى الاستفهام. وزعموا أن من ذلك قول الشاعر:

رَقَوْنِي وَقَالُوا: يَا خُوَيْلِدُ، لَا تَرْعَ! فَقُلْتُ، وَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ: هُمْ هُمْ؟

يعني: أ هم هم؟ قالوا: ومن ذلك قول أوس:

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي، وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا، شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مِنْقَرٍ

بمعنى: أشعيث بن سهم؟ فحذف (الألف)، ونظائر ذلك. وأما تذكير ﴿هَذَا﴾ في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾، فإنما هو على معنى: هذا الشيء الطالع ربّي.

أورد ذلك الطبري، ولكنه - كما أشرت قريباً - اختار القول الأول إذ قال:

وفي خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾، الدليل على خطأ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم، وأن الصواب من القول في ذلك: الإقرارُ بخبر الله تعالى الذي أخبر به عنه، والإعراض عما عداه.

وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى سؤالاً حول ما ذكر، وأجاب عليه،

فقال في سؤاله - وقد اختلف المفسرون في هذا المقام -: هل هو مقام نظير أو مناظرة؟ ثم قال:

والحق: أن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - كان في هذا المقام مناظرًا لقومه مبيّنًا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم، الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته؛ ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه.

وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل.

وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وهي: القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشتري، وزحل، وأشدّهنّ إضاءةً وأشرفهنّ عندهم: الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة، فبين أولاً صلوات الله وسلامه عليه: أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية؛ لأنها مسخرة مقدرة بسير معين، لا تزيع عنه يمينًا ولا شمالًا، ولا تملك لنفسها تصرفًا، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب، حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال، ومثل هذه لا تصلح للإلهية، ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما تقدم في النجم، ثم انتقل إلى الشمس كذلك، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة، التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع، ﴿قَالَ يَقَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أي: أنا بريء من عبادتهم وموالاتهم، فإن كانت آلهة فكيدوني بها جميعًا ثم لا تنظرون: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَافِيًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها

ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربّه ومليكه وإلهه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٤]، وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظرًا في هذا المقام، وهو الذي قال الله في حقه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلَىٰ عِلْمِينَ ۝٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ [الأنبياء: ٥١، ٥٢] والآيات، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ۖ احْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٣﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝﴾ [الأنعام: ١٦١].

وقد ثبت في الصحيحين: عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة»، وفي صحيح مسلم: عن عياض بن حمار: أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: إني خلقت عبادي كلهم حنفاء»^(١)، وقال الله في كتابه العزيز: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ﴾ [الروم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ومعناه على أحد القولين كقوله: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۗ﴾ كما سيأتي بيانه.

فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل - الذي جعله الله أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يكن من المشركين - ناظرًا في هذا المقام، بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا

ريب، ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظرًا لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرًا. قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقال السعدي في تفسيره:

قال هذا ربي أي: على وجه التنزل مع الخصم أي: هذا ربي، فهل ننظر، هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هو أو بغير حجة ولا برهان.

وقال ابن الجوزي (في زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على ظاهره. روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: قال هذا ربي، فعبدته حتى غاب، وعبد القمر حتى غاب، وعبد الشمس حتى غابت؛ واحتج أرباب هذا القول بقوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وهذا يدل على نوع تحيير، قالوا: وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سبق إلى وهمه، قبل أن يثبت عنده دليل.

وهذا القول لا يرتضى، والمتأهلون للنبوة محفوظون من مثل هذا على كل حال.

فأما قوله: ﴿لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ فما زال الأنبياء يسألون الهدى، ويتضرعون في دفع الضلال عنهم، كقولهم: ﴿وَأَجْسِبْنِي وَيَتَى أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]؛ ولأنه قد آتاه رشده من قبل، وأراه ملكوت السموات والأرض ليكون موقتًا، فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التحيير؟!.

والثاني: أنه قال ذلك استدراجًا للحجة، ليعيب آلهتهم ويريمهم بغضها عند

أفولها، ولا بد أن يضمر في نفسه: إما على زعمكم، وفيما تظنون، فيكون كقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِ ع﴾ [النحل: ٢٧]، وإما أن يضمر: يقولون، فيكون كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧]، أي: يقولان ذلك، ذكر نحو هذا أبو بكر بن الأنباري، ويكون مراده استدراج الحجة عليهم، كما نقل عن بعض الحكماء أنه نزل بقوم يعبدون صنما، فأظهر تعظيمه، فأكرموه، وصدروا عن رأيه، فدهمهم عدو، فشاورهم ملكهم، فقال: ندعو إلهنا ليكشف ما بنا، فاجتمعوا يدعونه، فلم ينفع، فقال هاهنا إله ندعوه، فيستجيب، فدعوا الله، فصرف عنهم ما يحذرون، وأسلموا.

والثالث: أنه قال مستفهماً، تقديره: أهذا ربي؟ أضمرت ألف الاستفهام، كقوله: ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]؟ أي: أفهم الخالدون؟ قال الشاعر:

كَذَّبْتَكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ حَيَالَا

أراد: أكذبتك؟ قال ابن الأنباري: وهذا القول شاذ؛ لأن حرف الاستفهام لا يضمر إذ كان فارقاً بين الإخبار والاستخبار؛ وظاهر قوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ أنه إشارة إلى الصانع.

وقال الزجاج: كانوا أصحاب نجوم، فقال: هذا ربي، أي: هذا الذي يدبرني، فاحتج عليهم أن هذا الذي تزعمون أنه مُدبر لا نرى فيه أثر مدبر.

وقال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الآيات، قوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ في المواضع الثلاثة محتمل؛ لأنه كان يظن ذلك، كما روى عن ابن عباس وغيره ومحتمل؛ لأنه جازم بعد ربوبية غير الله ومراده هذا ربي في زعمكم الباطل، أو أنه حذف أداة استفهام الإنكار والقرآن يبين بطلان الأول، وصححه الثاني.

أما بطلان الأول، فالله تعالى نفى كون الشرك الماضي عن إبراهيم في قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١] في عدة آيات، ونفي الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يوماً ما.

وأما كونه جازماً موقناً بعدم ربوبية غير الله، فقد دل عليه ترتيب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ إلى آخره «بالفاء» على قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فدل على أنه قال ذلك موقناً مناظراً ومحاجاً لهم، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ الآية والعلم عند الله تعالى.



س: وضع معنى قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: إني بريء من عبادة الأوثان والأصنام التي تعبدونها، والتي جعلتموها شريكاً لله، وعبدتموها مع عبادة الله، وسألتموها كما تسألون الله عز وجل.



س: هل كان قوم إبراهيم عليه السلام يعبدون الله عز وجل ويعبدون معه الأصنام والأوثان، أم كانوا يعبدون الأوثان والأصنام فقط؟

ج: الظاهر - والله تعالى أعلم -: أنهم كانوا يعبدون الله عز وجل، ولكنهم يشركون معه آلهة أخرى، فيعبدون معه الأصنام والأوثان بدليل قوله: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، فهذا دالٌّ على أنهم كان يشركون مع الله آلهة أخرى.

وقد أورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: في قول قوم إبراهيم

لإبراهيم: تركت عبادة هذه؟ فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، فقالوا: ما جئت بشيء! ونحن نعبده ونتوجه! فقال: لا، حنيفاً!! قال: مخلصاً، لا أشركه كما تُشركون.



س: وضع معنى قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؟

ج: يقول الخليل إبراهيم عليه السلام لقومه المشركين الذين اتخذوا مع الله أوثاناً وأصناماً يعبدونها، مخالفاً لهم فيما هم عليه، ومعلنًا ذلك لهم: إني توجهت بعبادتي لله عز وجل وحده لا شريك له، ذلكم الذي خلق السموات والأرض على غير مثال سابق، توجهت إليه حنيفاً أي مائلاً عن الأصنام التي تعبدونها مع الله، فلن أعبد إلا الله عز وجل وحده لا شريك له، ولست منكم ولا على طريقكم ولا في سلككم أيها المشركون.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله إبراهيم عليه السلام: أنه لما تبين له الحق وعرفه، شهد شهادة الحق، وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله، ولم يأخذه في الله لومة لائم، ولم يستوحش من قيل الحق والثبات عليه، مع خلاف جميع قومه لقوله، وإنكارهم إياه عليه، وقال لهم: ﴿يَقُولُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم وأصنامكم، إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السموات والأرض، الدائم الذي يبقى ولا يفنى، ويحيي ويميت، لا إلى الذي يفنى ولا يبقى، ويزول ولا يدوم، ولا يضر ولا ينفع.

ثم أخبرهم تعالى ذكره: أن توجيهه وجهه لعبادته، بإخلاص العبادة له،

والاستقامة في ذلك لربه على ما يحبُّ من التوحيد، لا على الوجه الذي يوجِّه له وجَّهه من ليس بحنيف، ولكنه به شرك، إذ كان توجيه الوجه على غير التحنُّف غير نافع موجَّهه، بل ضارّه ومهلكه، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ولست منكم، أي: لست ممن يدين دينكم، ويتبع ملَّتكم أيها المشركون.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ...﴾ الآية؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وجادل إبراهيم قومه لما أعلن عن توحيد الله عزَّ وجل وعن براءته من الشرك، وعن هجرانه للأصنام واعتزاله لها، فتعجب من صنيعهم هذا قائلاً أتجادلونني لما وحدت الله عزَّ وجل وأفردته بالعبادة، وقد تفضل علي بذلك الفضل!! فأمركم عجيب، ثم إني أعلنها لكم كرة أخرى فأقول: إنني لا أخشى أصنامكم، ولا أوثانكم التي عبدتموها من دون الله، فهي لا تنفع ولا تضر ولا تحيي ولا تميت ولا ترزق ولا تشفي ولا تُمرض.

إنما الذي أخشاه: أن يقدر الله عزَّ وجل شيئاً علي من سوء أو مكروه فالأمر كله لله، لا لأحدٍ سواه، فهو قادر على قلب قلب، قادرٌ على إحيائي وإماتتي، وضري ونفعي قد علم ربي كل شيءٍ وأحاط بكل شيءٍ علماً أفلا تتعظون وتعتبرون!!!

هذا، وقد قال الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة:

يقول تعالى ذكره: وجادل إبراهيم قومه في توحيد الله وبراءته من الأصنام، وكان جداهم إياه قولهم: أن آلهتهم التي يعبدونها خير من إلهه.

قال إبراهيم: ﴿أَتُحْجَّجُونَ فِي اللَّهِ﴾، يقول: أتجادلونني في توحيد الله وإخلاصي العمل له دون ما سواه من آلهة؟! ﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾، يقول: وقد وفقني ربي لمعرفة وحدانيته، وبصّرني طريق الحق حتى أيقنت: أن لا شيء يستحق أن

يعبد سواه، ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾، يقول: ولا أرهب من آلهتكم التي تدعونها من دونه شيئاً ينالني به في نفسي من سوء ومكروه.

وذلك أنهم قالوا له: «إنا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء من برص أو خبل، لذكرك إياها بسوء!» فقال لهم إبراهيم: لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالني بضر ولا مكروه؛ لأنها لا تنفع ولا تضر، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ يقول: ولكن خوفي من الله الذي خلقني وخلق السموات والأرض، فإنه إن شاء أن ينالني في نفسي أو مالي بما شاء من فناء أو بقاء، أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك، نالني به؛ لأنه القادر على ذلك.

وقال أيضاً:

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، يقول: وعلم ربي كل شيء، فلا يخفى عليه شيء؛ لأنه خالق كل شيء، ليس كالألهة التي لا تضر ولا تنفع ولا تفهم شيئاً، وإنما هي خشبة منحوتة، وصورة ممثلة، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، يقول: أفلا تعتبرون؟ أيها الجهلة، فتعقلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمون، من عبادتكم صورة مصورة وخشبة منحوتة، لا تقدر على ضر ولا على نفع، ولا تفقه شيئاً ولا تعقله، وترككم عبادة من خلقكم وخلق كله شيء، وبيده الخير، وله القدرة على كل شيء، والعالم بكل شيء.



س: على المؤمن دائماً أن يكون حذراً من تقلبات الأمور سائلاً الله عز وجل الثبات، دُلِّل على ذلك؟

ج: نعم، على المؤمن أن يكون كذلك فهؤلاء أهل الإيمان من دعائهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

والخليل إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

رَبِّي شَيْئًا ﴿١﴾.

أي أن الله قادرٌ على أن يغير الأمور ويحدث أشياء غير التي أنا عليها الآن. وكذلك يقول نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهَ مِنهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]. ونبينا محمد ﷺ كان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»^(١).

وكان من أكثر أعيانه لا ومقلب القلوب.

وكان يتعوذ قائلاً: «اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت»^(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾: استثناء منقطع أي لا يضر ولا ينفع إلا الله عز وجل.



س: وضح معنى قوله: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾؟

ج: قال ابن كثير رحمه الله: أي أحاط علمه بجميع الأشياء فلا تخفي عليه خافية.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في معناها:

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: فيما بينته لكم، فتعتبرون أن هذه الآلهة باطلة فتتجزوا عن عبادتها، وهذه الحجة نظير ما احتج بها نبي الله هود عليه السلام على قومه عاد، فيما قص عنهم في كتابه حيث يقول: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ١٨٢).

(٢) مسلم (مع النووي: ١٧ / ٣٨)، مطلعته: اللهم لك أسلمت.

وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَضَكَ
بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ قَالَ إِنْ شَهِدُ اللَّهَ وَآشَهِدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ
فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنْ تَوَلَّيْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَيْكُم مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ
بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿هود: ٥٣-٥٦﴾.



س: وضع معنى قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ
مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ الآية؟

ج: المعنى - والله أعلم -: وكيف أخشى آلهتكم التي لا تنفع ولا تضر ولا
تملك دفع الضر عن نفسها فضلاً عن غيرها، وأنتم لا تخشون عاقبة شرككم بالله
عز وجل وعاقبة عبادتكم أصناماً لم ينزل الله لكم برهاناً بعبادتها ولا إذناً بعبادتها،
فمن منا الذي ينبغي أن يخشى ويخاف؟ المشرك الذي جعل مع الله إلهاً آخر؟!
أم من يعبد رباً واحداً أم من يعبد أرباباً كثيرة؟!!

أم المؤمن الموحد الذي لم يتخذ لله شريكاً؟!، أفيدوني إن كان عندكم علمٌ
بالجواب؟!، أجيئوني إن كنتم تعلمون صدق مقولتي؟!
قال الطبري رحمه الله:

وهذا جواب إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسه، لذكره إياها
بسوء، في نفسه بمكروه، فقال لهم: وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في
عبادتكم ربكم فعبدتموه من دونه، وهو لا ير ولا ينفع؟ ولو كانت تنفع أو تضر،
لدفعت عن أنفسها كسري إياها وضربي لها بالفأس! وأنتم لا تخافون الله الذي
خلقكم ورزقكم، وهو القادر على نفعكم وضرركم في إشراككم في عبادتكم إياه،
﴿مَا لَمْ يُنَزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾، يعني: ما لم يعطكم على إشراككم إياه في
عبادته حجة، ولم يضع لكم عليه برهاناً، ولم يجعل لكم به عذراً، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ

أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴿١﴾، يقول: أنا أحق بالأمن من عاقبة عبادتي ربِّي مخلصًا له العبادة، حنيفًا له ديني، بريئًا من عبادة الأوثان والأصنام، أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصنامًا لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهانًا ولا حجة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾، يقول: إن كنتم تعلمون صدق ما أقول، وحقيقة ما أحتجُّ به عليكم، فقولوا وأخبروني: أي الفريقين أحق بالأمن.

قال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ أي: كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله: ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ قال ابن عباس وغير واحد من السلف: أي: حجة، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣].

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ ففي «كيف» معنى الإنكار؛ أنكر عليهم تخويفهم إياه بالأصنام وهم لا يخافون الله عز وجل؛ أي كيف أخاف موأنا وأنتم لا تخافون الله القادر على كل شيء: ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ أي حجة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: أي الطائفتين

أصوب: الذي عبد من بيده الضر والنفع، أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل، أيها أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة؟ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً، هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة.



س: من قائل: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: أن قائل ذلك هو الله عز وجل فصل فيه الخصومة بين إبراهيم عليه السلام وقومه.

الثاني: أن قائل ذلك هم قوم إبراهيم، فحاججهم إبراهيم عليه السلام فحججهم، أي غلبهم بالحجة حتى اضطروهم وألجأهم إلى أن يقولوا ذلك. وأورد الطبري القولين فقال:

اختلف أهل التأويل في الذي أخبر تعالى ذكره عنه: أنه قال هذا القول، أعني: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية.

فقال بعضهم: هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله ﷺ، وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟ فقال الله تعالى ذكره، فاصلاً بينه وبينهم: الذين صدّقوا الله وأخلصوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم - يعني: بشرك - ولم يشركوا في عبادته شيئاً، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصاً، أحق بالأمن

من عقابه مكروه عبادته ربّه، من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم، أمّا في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سخط الله بهم، وأمّا في الآخرة، فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله.

ثم قال:

وقال آخرون: هذا جوابٌ من قوم إبراهيم ﷺ لإبراهيم، حين قال لهم: «أي الفريقين أحق بالأمن؟» فقالوا له: الذين آمنوا بالله فوحدوه أحق بالأمن، إذ لم يلبسوا إيمانهم بظلم.

واختار الطبري رحمه الله تعالى القول الأول وانتصر له فقال:

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: هذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن أولى الفريقين بالأمن، وفصل قضاءٍ منه بين إبراهيم ﷺ وبين قومه. وذلك: أن ذلك لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها في عبادة الله، لكانوا قد أقروا بالتوحيد واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد، ولكنه كما ذكرت من تأويله بدياً.



س: ما المراد بقوله: ﴿يُظْلَمُ﴾ في الآية الكريمة؟

ج: ذهب أكثر العلماء إلى: أن المراد بالظلم في هذا الموطن الشرك، وقد ورد في هذا حديث رسول الله ﷺ.

أخرج البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ﴾ قال أصحابه وأينا لم يظلم؟ فنزلت: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] (١).



س: ما المراد بالحجة في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾؟

ج: قال بعض العلماء إنها المجادلة التي غلب إبراهيم عليه السلام قومه، وهي قوله لهم: ﴿... فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾، قول إبراهيم لمخاصميه من قومه المشركين: «أي الفريقين أحق بالأمن»، أمن يعبد ربًّا واحدًا مخلصًا له الدين والعبادة، أم من يعبد أربابًا كثيرة؟ وإجابتهم إياه بقولهم: «بل من يعبد ربًّا واحدًا أحق بالأمن»، وقضاؤهم له على أنفسهم، فكان في ذلك قطع عذرهم وانقطاع حجتهم، واستعلاء حجة إبراهيم عليهم. فهي الحجة التي أتاها الله إبراهيم على قومه.



س: في قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ قراءتان وضحهما مع إيضاح

المعنى

ج: القراءتان أولاهما درجاتٍ بالتثنية.

الثانية درجاتٍ بالكسر والإضافة.

قال الطبري رحمه الله:

واختلفت القراءة في قراءة ذلك.

فقرآته عامة قراءة الحجاز والبصرة: «نرفع درجات من نشاء»، بإضافة «الدرجات» إلى ﴿مِّنْ﴾، بمعنى: نرفع الدرجات لمن نشاء.

وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفة: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ بتثنية «الدرجات» بمعنى: نرفع من نشاء درجات.

و «الدرجات» جمع «درجة»، وهي المرتبة.

وأصل ذلك مراقبي السلم ودرجته، ثم تستعمل في ارتفاع المنازل والمراتب.
قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: هما قراءتان قد
قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراءة، متقارب معناهما.
وذلك أن من رفعت درجته، فقد رفع في الدرج، ومن رفع في الدرج، فقد
رفعت درجته. فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ
عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، وهذه التي ذكرناها لك يا رسول الله من محاجة
إبراهيم لقومه ومناقشته معهم وغلبه لهم بالحجة لما قال لهم فأبي الفريقين أحق
بالأمن إن كنتم تعلمون؟ أمن عبد إلهًا واحدًا كمن تعددت معبوداته؟!
وهزيمتهم أمام قوله هذا.

تلك الحجة فضل من الله تفضل به على إبراهيم عليه السلام، ومنقبة آتاه الله
إياها فغلب قوله بفضل الله عز وجل، يرفع الله بهذا العلم وبتلك الحجج من يشاء
من خلقه على من جهلوا تلك الحجج والبراهين، وإن سأل سائل لماذا اختص الله
إبراهيم عليه السلام بذلك، فجواب قوله في ختام الآية الكريمة إن ربك حكيم
في تلقينه عباده الصالحين حججهم كي يغلبوا بها أهل الكفر، عليم بمن يستحق
الهداية والغلبة بالحجة فقوله نرفع درجات من نشاء قيل بالعلم، وقيل بالنبوة،
وقيل هي عامة والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

فمعنى الكلام إذا: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾، فرفعنا بها

درجته عليهم، وشرّفناه بها عليهم في الدنيا والآخرة.

فأما في الدنيا، فآتيناه فيها أجره، وأما في الآخرة، فهو من الصالحين، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾، أي بما فعل من ذلك وغيره.

وأما قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، فإنه يعني: إن ربك، يا محمد، ﴿حَكِيمٌ﴾، في سياسته خلقه، وتلقينه أنبياء الحجج على أمهم المكذبة لهم، الجاحدة توحيد ربهم، وفي غير ذلك من تدبيره، ﴿عَلِيمٌ﴾، بما يثول إليه أمر رسله والمرسل إليهم، من ثبات الأمم على تكذيبهم إياهم، وهلاكهم على ذلك، أو إنابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى ذكره وتصديق رسله، والرجوع إلى طاعته.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فأتس، يا محمد، في نفسك وقومك المكذبيك، والمشركين، بأبيك وخليلي إبراهيم ﷺ، واصبر على ما ينوبك منهم صبره، فإني بالذي يثول إليه أمرك وأمرهم عالم، وبالتدبير فيك وفيهم حكيم.

قال السعدي رحمه الله:

﴿نَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ كما رفعنا درجات إبراهيم عليه السلام في الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه، فوق العباد درجات.

خصوصاً، العالم العامل، المعلم، فإنه يجعله الله إماماً للناس، بحسب حاله. ترمق أفعاله، وتقتفي آثاره، ويستضاء بنوره، ويمشي بعلمه في ظلمة ديجوره.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ فلا يضع العلم والحكمة، إلا في المحل اللائق بهما، وهو أعلم بذلك المحل، وبما ينبغي له.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ الآية؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ورزقنا إبراهيم عليه السلام بوليد صالح ونبي كريم وهو إسحاق عليه السلام، وكذا رزقنا إسحاق بوليد صالح ونبي كريم وهو يعقوب عليه السلام، فهدينا هؤلاء أجمعين، ووفقناهم إلى طريق الحق والرشاد، وإلى الطريق المستقيم وكذا هدينا من قبلهم نوحًا، وهدينا من ذرية نوح داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون، وبهذا الجزاء الذي جازينا به هؤلاء من هدايتهم إلى الطريق المستقيم نجزي كل محسن وكل منيب، فهدايتنا لا تقتصر على هؤلاء، بل نجزي كل محسن بالهداية أيضًا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فجزينا إبراهيم عليه السلام على طاعته إيانا، وإخلاصه توحيد ربه، ومفارقة دين قومه المشركين بالله، بأن رفعنا درجته في عليين، وآتيناه أجره في الدنيا، ووهبنا له أولادًا خصصناهم بالنبوة، وذرية شرفناهم منا بالكرامة، وفضلناهم على العالمين، منهم: ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب، ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾، يقول: هدينا جميعهم لسبيل الرشاد، فوفقناهم للحق والصواب من الأديان، ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾، يقول: وهدينا لمثل الذي هدينا إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الحق والصواب، فوفقناه له، نوحًا، من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

وقال السعدي رحمه الله:

لما ذكر الله عبده وخليله، إبراهيم عليه السلام، وذكر ما منّ الله عليه به، من العلم، والدعوة، والصبر، ذكر ما أكرمه الله به من الذرية الصالحة، والنسل الطيب.

وأن الله جعل صفوة الخلق من نسله، وأعظم بهذه المنقبة والكرامة الجسيمة، التي لا يدرك لها نظير فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه، الذي هو إسرائيل، أبو الشعب الذي فضله الله على العالمين.

﴿كُلًّا﴾ منها ﴿هَدَيْنَا﴾ الصراط المستقيم، في علمه وعمله.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق بعد أن طعن في السن، وأيس هو وامراته سارة من الولد، فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فبشروهما بإسحاق، فتعجبت المرأة من ذلك وقالت: ﴿قَالَتْ يَوْنِيَتْنِي ۚ أَلَدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٢) ﴿قَالُوا أَنْعَجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ، عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود: ٧٢، ٧٣) فبشروهما مع وجوده بنبوته، وبأن له نسلًا وعقبًا، كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢] وهذا أكمل في البشارة، وأعظم في النعمة، وقال: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَبِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ (هود: ٧١) أي: ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما، فتقر أعينكما به كما قرت بوالده؛ فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب، الذي فيه اشتقاق العقب والذرية، وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام، حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم، وهاجر من بلادهم ذاهبًا إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله - عز وجل - عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه؛ لتقر بهم عينه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آعَزَ لَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩]، وقال هاهنا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾.



س: الهاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ عائدةٌ على من؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أنها عائدةٌ على نوح عليه السلام وليست بعائدة على إبراهيم عليه السلام وذلك لقوله تعالى ﴿وَلُوطًا﴾ ولوط ليس من ذرية إبراهيم عليه السلام.

وانتصر الطبري لذلك بقوله:

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ﴾، و (الهاء) التي في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾، من ذكر نوح.

وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر في سياق الآيات التي تتلو هذه الآية لوطاً فقال: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشُ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ومعلوم أن لوطاً لم يكن من ذرية إبراهيم ﷺ أجمعين. فإذا كان ذلك كذلك، وكان معطوفاً على أسماء من سمينا من ذريته، كان لا شك أنه لو أريد بالذرية ذرية إبراهيم، لما دخل يونس ولوط فيهم. ولا شك أن لوطاً ليس من ذرية إبراهيم، ولكنه من ذرية نوح. فلذلك وجب أن تكون (الهاء) في (الذرية)، من ذكر نوح.

فتأويل الكلام: ونوحاً وفقنا للحق والصواب من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهدينا أيضاً من ذرية نوح، داود وسليمان.

و (داود)، هو داود بن إيشا، و (سليمان) هو ابنه: سليمان بن داود، و (أيوب)، هو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، و (يوسف)، هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، و (موسى)، هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، و (هارون)، أخو موسى.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: وهدينا من ذريته ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ الآية، وعود الضمير إلى نوح؛ لأنه أقرب المذكورين ظاهر لا

إشكال فيه، وهو اختيار ابن جرير، وعوده إلى إبراهيم، لأنه الذي سيق الكلام من أجله حسن، لكن يشكل على ذلك لوط؛ فإنه ليس من ذرية إبراهيم، بل هو ابن أخيه ما ران بن آزر، اللهم إلا أن يقال إنه دخل في الذرية تغليبا، كما في قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] فإسماعيل عمه ودخل في آبائه تغليبا.

وكما قال في قوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٣٠) ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [الحجر: ٣٠، ٣١] فدخل إبليس في أمر الملائكة بالسجود وذم على المخالفة؛ لأنه كان في تشبه بهم، فعومل معاملتهم ودخل معهم تغليبا، وإلا فهو كان من الجن وطبيعته من النار، والملائكة من النور.

وفي ذكر عيسى - عليه السلام - في ذرية إبراهيم أو نوح على القول الآخر: دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل؛ لأن عيسى عليه السلام إنما ينسب إلى إبراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام؛ فإنه لا أب له.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وكما جازينا هؤلاء المذكورين وهديناهم فنجزى أيضا كل محسن، فخرجت الآية الكريمة بمفهومها عن الخصوص إلى العموم تبشيرا لأهل الإحسان في كل زمان ومكان.

قال الطبري رحمه الله:

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، يقول تعالى ذكره: جزينا نوحا بصبره على ما امتحن به فينا، بأن هديناه فوقفناه لإصابة الحق الذي خذلنا عنه من عصانا

فخالف أمرنا ونهينا من قومه، وهدينا من ذريته من بعده من ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذي هديناه له. وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم إيانا وصبرهم على المحن فينا، كذلك نجزي بالإحسان كل محسن.



س: ما أسماء آباء الأنبياء المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ﴾؟

ج: الله أعلم بالصواب من ذلك.
وقد قال الطبري رحمه الله:

زكريا بن إدو بن برخيّا، ويحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن حزقيا، ﴿وَإِيلَاسَ﴾.



س: من: ﴿وَإِيلَاسَ﴾ عليه السلام؟

ج: هو نبي من أنبياء الله عز وجل من ذرية نوح عليه السلام ولا أعلم له ذكر في حديث ثابت عن رسول الله ﷺ.

وقد أورد الطبري: من طريق عبيدة بن ربيعة^(١) عن ابن مسعود قال: (إدريس) هو (إلياس) فالله أعلم بالصواب من ذلك.



س: من اليسع عليه السلام؟

ج: نبي من أنبياء الله عز وجل من ذرية نوح عليه السلام، ولا أعلم له ذكراً

(١) وسنده صحيح إلى عبيدة بن ربيعة، أخرجه الطبري (١٣٥١٩).

في سند ثابت عن رسول الله ﷺ.



س: قوله تعالى: ﴿وَأَجْبَيْنَاهُمْ﴾ لأي شيء اجتبناهم؟

ج: اجتبناهم لإبلاغ رسالتنا إلى خلقنا.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؟

ج: ودللناهم طريق مستقيم يوصلهم إلى مرضاة الله عز وجل وجناته، ووفقناهم لذلك وسهلنا ذلك عليهم وحببنا سلوك هذا الطريق إليهم.

قال الطبري رحمه الله:

﴿وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يقول: وسددناهم فأرشدناهم إلى طريق غير معوج، وذلك دين الله الذي لا عوج فيه، وهو الإسلام الذي ارتضاه الله ربنا لأنبيائه، وأمر به عباده.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

ج: قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾، هذا الهدى الذي هديت به من سميت من الأنبياء والرسل، فوفقتهم به لإصابة الدين الحق الذي نالوا بإصابتهم إياه رضى ربهم، وشرف الدنيا، وكرامة الآخرة، هو ﴿هُدَى اللَّهِ﴾، يقول: هو توفيق الله ولطفه الذي يوفق به من يشاء، ويلطف به لمن أحب من خلقه، حتى ينبى إلى طاعة الله، وإخلاص العمل له، وإقراره بالتوحيد، ورفض الأوثان

والأصنام، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، يقول: ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم، بربهم تعالى ذكره، فعبدوا معه غيره، ﴿لَحِطَ عَنْهُمْ﴾، يقول: لبطل فذهب عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعملون، لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملاً.

وقال ابن كثير رحمه الله:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي: إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله لهم وهدايته إياهم ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه، وتعظيم للملابسته، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] الآية، وهذا شرط والشرط لا يقتضي جواز الوقوع، كقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، وكقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًَا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧]، وكقوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].



س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾؟

ج: المراد بالكتاب هنا عموم الكتب التي أنزلها الله عز وجل على الأنبياء المذكورين، والتي منها صحف إبراهيم وموسى، والزبور الذي أنزل على داود عليه السلام والتوراة التي أنزلت على موسى وكذا الألواح، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، أننا قد مننا يا رسول الله عليك بالقرآن وبالْحجج والآيات، فإن كفر بها هؤلاء المشركون فهناك من يؤمن بها ويقبلها شاكراً، هنالك من رزقناهم الإيمان والهداية فقبلوا نعمتنا عليهم التي هي القرآن وما فيه من الحجج والآيات شاكرين لنعمنا مُتَّنين بها علينا.

والآية في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا...﴾ [الإسراء: ١٠٧].

وفي معناها قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ...﴾ [المائدة: ٥٤].

ثم إن أهل العلم اختلفوا في تعيين الذين قال الله عنهم ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ فقال بعضهم إنهم الأنصار، فيكون المعنى إن كفرتم يا أهل الشرك من أهل مكة، فقد رزق الله أهل المدينة حب الإيمان وحب القرآن وحب النبي عليه الصلاة والسلام.

وقال آخرون: إن المراد بالقوم الذين ليسوا بكافرين: الملائكة.

وقال آخرون: إنهم الأنبياء المذكورون في الآيات التي قبلها والتي مطلعها ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾

وهذا الأخير هو اختيار الطبري رحمه الله فقد قال:

وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: عني بقوله: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾، كفار قريش، ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾، يعني: الأنبياء الثمانية عشر الذين ساهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية.

وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى وفي التي بعدها عنهم ذكر، فما بينها بأن يكون خبراً عنهم، أولى وأحق من أن يكون خبراً عن غيرهم.

فتأويل الكلام، إذ كان ذلك كذلك، فإن كفر قومك من قريش، يا محمد، بآياتنا، وكذبوا وجحدوا حقيقتها، فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رُسُلنا وأنبيائنا من قبلك، الذين لا يجحدون حقيقتها، ولا يكذبون بها، ولكنهم يصدقون بها ويؤمنون بصحتها.

قال ابن كثير رحمه الله:

﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعني: أهل مكة، قال ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغير واحد، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ أي: إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريش، وغيرهم من سائر أهل الأرض: من عرب وعجم، ومليين وكتايين ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾، يعني: المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة ﴿لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ أي: لا يجحدون منها شيئاً، ولا يردون منها حرفاً واحداً، بل يؤمنون بجميعها: محكمها ومتشابهها، جعلنا الله منهم بمره وكرمه وإحسانه.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً﴾؟

ج: قال الطبري في معناها:

يقول تعالى ذكره: ﴿أُولَئِكَ﴾، هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتفاء عما فيه من نهيه، فوفقهم جل ثناؤه لذلك، ﴿فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً﴾، يقول

تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم، ﴿أَقْتَدَ﴾، يا محمد، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عمل الله فيه رضى، ومنهاج من سلكه اهتدى.

وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾، أنهم الأنبياء المسمون في الآيات المتقدمة. وهو القول الذي اخترناه في تأويل ذلك.

وأما على تأويل من تأول ذلك: أن القوم الذين وُكِّلوا بها هم أهل المدينة - أو: أنهم هم الملائكة - فإنهم جعلوا قوله: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءَ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾، اعتراضاً بين الكلامين، ثم ردوا قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَ﴾، على قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ: ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني: الأنبياء المذكورين، مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان: وهم الأشباه ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: هم أهل الهداية لا غيرهم ﴿فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَ﴾ أي: اقتد واتبع، وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ فأتمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به.



س: هل شرع من قبلنا شرع لنا؟

ج: ذهب إلى ذلك فريق من العلماء مستدلين بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَ﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

وذهب آخرون إلى أن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا وذلك لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٥].

ويمكن الجمع بأن يقال إن شرع من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يأت من شرعنا ما ينسخه.

قال القرطبي رحمه الله:

وقد احتجَّ بعض العلماء بهذه الآية على وجوب اتباع شرائع الأنبياء فيما عدم فيه النص؛ كما في صحيح مسلم وغيره: ^(١) «أن أخت الربيع أم حارثة جرحت إنساناً فاختموا إلى النبي ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: (القصاص القصاص) فقالت أم الربيع: يا رسول الله أيقص من فلانة؟! والله لا يقتص منها.

فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله يا أم الربيع القصاص كتاب الله». قالت: والله لا يقتص منها أبداً. قال: فما زالت حتى قبلوا الدية. فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره». فأحال رسول الله ﷺ على قوله: ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] الآية.

وليس في كتاب الله تعالى نصٌ على القصاص في السنِّ إلا في هذه الآية؛ وهي خبر عن شرع التوراة ومع ذلك فحكم بها وأحال عليها.

وإلى هذا ذهب معظم أصحاب مالك وأصحاب الشافعي، وأنه يجب العمل بما وجد منها.

قال ابن بكير: وهو الذي تقتضيه أصول مالك وخالف في ذلك كثير من أصحاب مالك وأصحاب الشافعي والمعتزلة؛ لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وهذا لا حجة فيه؛ لأنه يحتمل التقييد: إلا فيما قصَّ عليكم من الأخبار عنهم مما لم يأت من كتابكم. وفي صحيح البخاري عن العوام قال: سألت مجاهدًا عن سجدة «ص» فقال: سألت ابن عباس عن سجدة «ص» فقال: أو تقرأ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ

(١) مسلم بنحوه (١٦٧٥)، والبخاري (٤٦١١).

الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَهُمْ أَقْتَدَ؟ وكان داود عليه السلام ممن أمر نبيكم ﷺ بالافتداء به.

قلت (مصطفى): ولمزيد انظر: تأويل قوله تعالى من سورة المائدة ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾؟

ج: قال الطبري في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الذين أمرتك أن تذكرهم بآياتي، أن تبسل نفس بما كسبت، من مشركي قومك يا محمد: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ﴾، على تذكيري إياكم، والهدى الذي أدعوكم إليه، والقرآن الذي جئتكم به، عوضاً أعتاضه منكم عليه، وأجرًا آخذه منكم، وما ذلك مني إلا تذكير لكم، ولكل من كان مثلكم ممن هو مقيم على باطل، بأس الله أن يحلَّ بكم، وسخطه أن ينزل بكم على شرككم به وكفركم، وإنذارٌ لجميعكم بين يدي عذاب شديد، لتذكروا وتنزعوا.

قال ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: لا أطلب منكم على إبلاغي إياكم هذا القرآن أجرًا، أي: أجرة ولا أريد منكم شيئاً ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: يتذكروا به فيرشدوا من العمى إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشاد، ومن الكفر إلى الإيمان.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي فيما وجب له واستحال عليه وجاز.

قال ابن عباس: ما آمنوا أنه على كل شيء قدير.

وقال الحسن: ما عظموه حقَّ عظمته.

وهذا يكون من قولهم: لفلان قدر.

وشرح هذا أنهم لما قالوا: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ نسبوا الله عز وجل إلى أنه لا يقيم الحجة على عباده، ولا يأمرهم بما لهم فيه الصلاح؛ فلم يُعَظِّمُوهُ حَقَّ عظمته ولا عرفوه حقَّ معرفته.

وقال أبو عبيدة: أي ما عرفوا الله حقَّ معرفته.

قال النحاس: وهذا معنى حسن؛ لأن معنى قدرت الشيء وقدرته: عرفت مقداره.

ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ أي لم يعرفوه حق معرفته؛ إذ أنكروا أن يرسل رسولاً. والمعنيان متقاربان. وقد قيل:

وما قدروا نعم الله حق تقديرها. وقرأ أبو حيوة ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ بفتح الدال، وهي لغة.



س: وضح مرادهم بقولهم: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ ومن قائله؟

ج: مرادهم أن الله عز وجل ما أنزل التوراة على موسى عليه السلام ولا

الزبور على داود عليه السلام، ولا الإنجيل على عيسى عليه السلام، ولا القرآن على محمد ﷺ ولا أنزل أي كتاب على أي شخص من البشر.

أما قائل ذلك فقد اختلف في تعيينه فمن العلماء من قال:

إن القائل رجل من اليهود، قيل هو مالك بن الصيف وقيل فخاص اليهودي.

والقول الثاني: أن قائل ذلك جماعة من اليهود، وذلك للآية التي تلت هذه الآيات وهي: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ...﴾.

والقول الثالث: أن قائل ذلك مشركوا قرشي، وهذا الأخير اختيار الطبري، وذلك لأن السياق المتقدم فيهم، وانفك الطبري رحمه الله تعالى عن احتجاج أهل القول الثاني بقوله والأصوب في قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ بالياء، أي (يجعلونه).

قال الطبري رحمه الله:

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: عني بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، مشركو قریش.

وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولاً، فأن يكون ذلك أيضاً خبراً عنهم، أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود ولما يجز لهم ذكر يكون هذا به متصلاً مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية، من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب، وليس ذلك مما تدين به اليهود، بل المعروف من دين اليهود: الإقرار بصحف إبراهيم وموسى، وزبور داود.

وإذ لم يأت بما روي من الخبر، بأن قائل ذلك كان رجلاً من اليهود، خبرٌ صحيح متصل السند، ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماعاً، وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان، وكان قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، موصولاً بذلك غير مفصول

منه، لم يجوز لنا أن ندّعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل.

ولكنني أظن أن الذين تأولوا ذلك خبراً عن اليهود، وجدوا قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾، فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة، فقرأوه على وجه الخطاب لهم: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾، فجعلوا ابتداء الآية خبراً عنهم، إذ كانت خاتمتها خطاباً لهم عندهم.

وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل، لما وصفت قبل من أن قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبداء الأوثان وهو به متصل، فالأولى أن يكون ذلك خبراً عنهم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ والأول هو الأظهر؛ لأن الآية مكية، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش والعرب قاطبة كانوا يبعدون إرسال رسول من البشر، كما قال: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ [يونس: ٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٤) قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿[الإسراء: ٩٤، ٩٥]، وقال ها هنا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذ قالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله، في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ يعني التوراة،

التي قد علمتم وكل أحد أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران ﴿تُورًا وَهُدًى
لِّلنَّاسِ﴾ أي: ليستضاء بها في كشف المشكلات، ويهتدي بها من ظلم الشبهات.

وقال السعدي رحمه الله:

هذا تشنيع على من نفى الرسالة، من اليهود والمشركون، وزعم أن الله ما
أنزل على بشر من شيء.

فمن قال هذا، فما قدر الله حق قدره، ولا عظمه حق عظمته.

إذ هذا، قدح في حكمته، وزعم أنه يترك عباده هملاً، لا يأمرهم ولا ينهاهم.
ونفي لأعظم منه، امتن الله بها على عباده، وهي الرسالة، التي لا طريق
للعباد إلى نيل السعادة، والكرامة، والفلاح، إلا بها، فأى قدح في الله، أعظم من
هذا؟ قل لهم - ملزماً بفساد قولهم وقرّرهم بما به يقرون -: ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي
جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ وهو التوراة العظيمة ﴿تُورًا﴾ في ظلمات الجهل ﴿وَهُدًى﴾ من
الضلالة، وهاديا إلى الصراط المستقيم علماً، وعملاً، وهو الكتاب الذي شاع
وذاع، وملاً ذكره القلوب والأسماع.

حتى أنهم جعلوا يتناسخونه في القراطيس، ويتصرفون فيه بما شاءوا.

فما وافق أهواءهم منه، أبدوه وأظهروه، وما حالف ذلك، أخفوه وكتموه،
وذلك كثير.



س: ما الكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام؟

ج: المراد به التوراة.



س: اذكر بعض ما أخفاه اليهود من التوراة؟

ج: أخفوا أمورًا كثيرة كما قال الله تعالى ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾، وقد ذكر العلماء من ذلك ما يلي:

صفة رسول الله ﷺ، فقد كان موصوفًا عندهم في التوراة تمام الوصف ومعروفًا لديهم تمام المعرفة.

آية الرجم فقد أخفوها.

وفضح أمرهم في ذلك عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

بعض صور العذاب التي حلت بسلفهم، والتي منها مسخهم إلى قردة وخنازير.



س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ..؟﴾

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله هؤلاء المنكرين لك من اليهود القائلين: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ يا هؤلاء من أنزل التوراة على موسى ﷺ، تلك التوراة التي أبديتهم بعضها وأخفيتهم بعضها، ومع كونكم أخفيتهم بعضها إلا أنكم أقررتهم بالبعض الآخر، وإقراركم أي جزء منها إقرارًا بأن الله أنزل كتبًا على بشر.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، لمشركي قومك القائلين لك: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، قل: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا﴾، يعني: جلاءً وضياءً من ظلمة الضلالة، ﴿وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾، يقول: بيانًا للناس، يبين

لهم به الحق من الباطل فيما أشكل عليهم من أمر دينهم، ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ بُدُونَهَا﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ بُدُونَهَا﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في معناها:

وقوله: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ بُدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ أي: يجعلها حملتها قراطيس، أي: قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم، وتخفون منها ما تخفون، وتبدلون وتتأولون وتقولون هذا من عند الله، أي: في كتابه المنزل، ما هو من عند الله، ولهذا قال: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ بُدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ وَلَاءُ آبَاءُكُمْ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، وعلمتم يا معشر يهود أموراً كانت خافية عليكم من قبل، وكذا كانت خافية على الآباء وذلك مما أخفاه عليكم أسلافكم وأجدادكم، علمناكم تلك الأمور وأخبرناكم بها، كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥] أي ويستر كثيراً من الأمور فلا يفضحكم بها، ومن ذلك بعض صور العذاب التي حلت بسلفكم، وبعض المخازي التي ارتكبتها سابقوكم.

ويحتمل أن يكون المعنى أيضاً، وعلمتم يا أهل الشرك من أهل مكة في هذا الكتاب الذي أنزل الله على نبيه محمد ﷺ أموراً كنتم تجهلونها، فمن ذلك إخباركم بأحوال الأمم المتقدمة وما حلَّ بها وما حدث لها، وكذا إخباركم بما هو آتٍ من أمر البعث والمعاد والحساب، والجنة والنار.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وعلمكم الله جل ثناؤه بالكتاب الذي أنزله إليكم، ما لم تعلموا أنتم من أخبار من قبلكم، ومن أنباء من بعدكم، وما هو كائن في معادكم يوم القيامة، ﴿وَلَا أَبَاؤُكُمْ﴾، يقول: ولم يعلمه آبائكم، أيها المؤمنون بالله من العرب وبرسوله ﷺ.



استدل بعض أهل الأهواء بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ على جواز الذكر بقول الله الله.. فما مدى صحة هذا الاستدلال؟

ج: هذا بلا شك استدلال في غير محله، لأن قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ إجابة على سؤال سابق، وهو ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى...﴾.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾، فإنه أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمداً ﷺ أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ بُدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾، بقيل الله، كما مره إياه في موضع آخر في هذه السورة بقوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ يَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]. فأمره باستفهام المشركين عن ذلك، كما أمره باستفهامهم إذ قالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، عمن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس. ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٤]، كما أمره بالإجابة ههنا عن ذلك بقيله: الله أنزله علي موسى.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وبعد أن طرحت يا رسول الله على هؤلاء المنكرين نبوتك سؤالك من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى... ولم يجدوا جواباً وجيهاً يردن عليك به، فأخبرهم أنت بصحيح الجواب، ثم اتركهم في ضلالتهم وجهالتهم واستهزائهم وسخريتهم يخوضون فيما هم فيه خائضون.
قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾، فإنه يقول لنبية محمد ﷺ: ثم ذر هؤلاء المشركين العادلين برهم الأوثان والأصنام، بعد احتجاجك عليهم في قيلهم: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ بقولك: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾، وإجابتك ذلك بأن الذي أنزله: الله الذي أنزل عليك كتابه، ﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾، يعني: فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته، ﴿يَلْعَبُونَ﴾، يقول: يستهزئون ويسخرون.
وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين وتهديد لهم.

يقول الله جل ثناؤه: ثم دعهم لاعبين، يا محمد، فإني من وراء ما هم فيه من استهزائهم بآياتي بالمرصاد، وأذيقهم بأسى، وأحلّ بهم إن تمادوا في غيهم سخطي.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم أن هذا الكتاب موافق للكتب التي تقدمته وذلك في نفي الشرك وإثبات التوحيد وغير ذلك.



س: ما المراد بالذي ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، الكتب التي تقدمته كالطهارة والإنجيل.



س: وضح معنى قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين يصدقون بالبعث وبالثواب والعقاب وأن ذلك كائن يوم القيامة، هؤلاء يصدقون بهذا القرآن ويحافظون على الصلوات، فخوفهم من الحساب وإيمانهم بالبعث، كل ذلك يحملهم على المحافظة على الصلاة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعاد في الآخرة إلى الله، ويصدق بالثواب والعقاب، فإنه يؤمن بهذا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، ويصدق به، ويقرّ بأن الله أنزله، ويحافظ على الصلوات المكتوبات التي أمره الله بإقامتها، لأنه منذر من بلغه وعيد الله على الكفر به وعلى معاصيه، وإنما يجحد به وبها فيه ويكذب، أهل التكذيب بالمعاد، والجحود لقيام الساعة، لأنه لا يرجو من الله إن عمل بها فيه ثواباً، ولا يخاف إن لم يحتسب ما يأمره باجتنابه عقاباً.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وليس هناك أحد أظلم من شخص تقول على الله عز وجل ونسب إليه ما لم يقله، أو ادعى أن الله عز وجل جعله نبياً وأوحى

إليه قرآنًا ولم يوحى الله إليه قرآنًا، أو قال: سأتى من عند نفسي بقرآن كالذي أنزل الله على رسوله محمد ﷺ فلا أحد أظلم من هؤلاء الكذبة المفتريين هذا، وهذه الآية تنسحب على مسيلمة الكذب الذي ادعى أنه قد أوحى إليه، وأمثاله من المفتريين الكذابين وكذا تنسحب على عبدالله بن سعد بن أبي السرح الذي ادعى أنه سيأتى بقرآن كالذي أنزل على رسول الله ﷺ.

قال الطبري رحمه الله:

يعني جل ذكره بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، ومن أخطأ قولاً وأجهل فعلاً، ﴿مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، يعني: ممن اختلق على الله كذباً، فادعى عليه أنه بعثه نبياً وأرسله نذيراً، وهو في دعواه مبطل، وفي قيله كاذب.

وهذا تسفيه من الله لمشركي العرب، وتجهيل منه لهم، في معارضة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، والحنفي مسيلمة، لنبي الله ﷺ، بدعوى أحدهما النبوة، ودعوى الآخر أنه قد جاء بمثل ما جاء به رسول الله ﷺ، ونفي منه عن نبيه محمد ﷺ اختلاق الكذب عليه ودعوى الباطل.

وذكر الطبري عن بعضهم أن هذه الآية نزلت في عبدالله بن أبي السرح خاصة، ولكنه تعقب ذلك بقوله: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، ولا تمنع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: «إني قد قلت مثل ما قال محمد»، وأنه ارتد عن إسلامه ولحق بالمشركين، فكان لا شك بذلك من قيله مفترياً كذباً.

وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسي الكذابين، ادّعى على الله كذباً أنه بعثها نبيين، وقال كل واحد منهما إن الله أوحى إليه، وهو كاذب في قيله. فإذا كان ذلك كذلك، فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقاً على الله

كذبًا، وقائلًا في ذلك الزمان وفي غيره: أوحى الله إلي، وهو في قلبه كاذب، لم يوح الله إليه شيئًا.

فأما التنزيل، فإنه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم، وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم، وجائز أن يكون عني به جميع المشركين من العرب، إذ كان قائلوا ذلك منهم، فلم يغيروه.

فغيرهم الله بذلك، وتوعدّهم بالعقوبة على تركهم نكير ذلك، ومع تركهم نكيره هم بنبيه محمد ﷺ مكذبون، ولنبوّته جاحدون، ولآيات كتاب الله وتنزيله دافعون، فقال لهم جل ثناؤه: ومن أظلم من ادّعى علي النبوة كاذبًا، وقال: ﴿أَوْحَى إِلَيَّ﴾، ولم يوح إليه شيء، ومع ذلك يقول: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، فينقض قوله بقوله، ويكذب بالذي تحقّقه، وينفي ما يثبت. وذلك إذا تدبره العاقل الأريب علم أن فاعله من عقله عديم.

فائدة:

قال القرطبي رحمه الله (عند تفسيره لهذه الآية الكريمة:

قلت: ومن هذا النمط من أعرض عن الفقه والسُّنن وما كان عليه السلف من السنن فيقول: وقع في خاطري كذا، أو أخبرني قلبي بكذا؛ فيحكمون بما يقع في قلوبهم ويغلب عليهم من خواطرهم، ويزعمون أن ذلك لصفائها من الأكدار وخلوها من الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربّانية، فيقفون على أسرار الكليات ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، ويقولون: هذه الأحكام الشرعية العامة، إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص، فلا يحتاجون لتلك النصوص.

وقد جاء فيما ينقلون: استفت قلبك وإن أفتاك المُفْتُون؛ ويستدلُّون على هذا بالخضر؛ وأنه استغنى بما تجلّى له من تلك العلوم، عما كان عند موسى من تلك

الفهوم. وهذا القول زُندَقَةٌ وكفر، يقتل قائله ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب؛ فإنه يلزم منه هُذُّ الأحكام وإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ. وسيأتي لهذا المعنى في «الكهف» مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

وقال السعدي في تفسيره:

يقول تعالى: لا أحد أعظم ظلماً، ولا أكبر جرماً، ممن كذب على الله بأن نسب إلى الله قولاً أو حكماً وهو تعالى بريء منه.

وإنما كان هذا أظلم الخلق، لأن فيه من الكذب، وتغيير الأديان، أصولها، وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله - ما هو من أكبر المفاسد.

ويدخل في ذلك، ادعاء النبوة؛ وأن الله يوحي إليه، وهو كاذب في ذلك. فإنه مع كذبه على الله، وجراته على عظمته وسلطانه - يوجب على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم. ويدخل في هذه الآية، كل من ادعى النبوة، كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، والمختار، وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف.

﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: ومن أظلم ممن زعم، أنه يقدر على ما يقدر الله عليه، ويجاري الله في أحكامه، ويشرع من الشرائع، كما شرعه الله. ويدخل في هذا، كل من يزعم أنه يقدر على معارضة القرآن، وأنه في إمكانه، أن يأتي بمثله.

وأي ظلم أعظم من دعوى الفقير العاجز بالذات، الناقص من كل وجه، مشاركة القوي الغني، الذي له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، في ذاته، وأسمائه وصفاته؟!!!



س: من الذين عناهم الله بقوله: ﴿الظَّالِمُونَ﴾؟

ج: هم، والله أعلم، الذين ذكرهم الله عزَّ وجل في صدر الآية الكريمة، وهم المفترون على الله كذِّبًا، والزاعمون أن الله عزَّ وجل قد أوحى إليهم، والزاعمون أنهم سيأتون بقرآنٍ كالذي نزل الله على نبيه محمد ﷺ.



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ...﴾؟

ج: في معناها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَاهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَاهُمْ﴾ [محمد: ٢٧].



س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ...﴾ بإيجاز؟

ج: المعنى، ولو رأيت ما يحدث للكفار عند الاحتضار، والملائكة تتلقاهم بالضرب قائلة لهم أخرجوا أنفسكم...، لو رأيت ذلك لرأيت منظرًا بشعًا رهيبًا حُفِيًّا تقشعر منه الجلود وتذهل له العقول.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ذلك أن الكافر إذا احتضر، بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من

أجسادهم، قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، أي: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله.



س: هل بنو آدم هم الذين يقبضون أنفسهم من أجسامهم حتى يقال لهم ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾؟

ج: قل: بل الذي يقبضها ملك الموت وأعوانه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَنفِقُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

قال الطبري رحمه الله:

فإن قال قائل: ما وجه قوله: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، ونفوس بني آدم إنما يخرجها من أبدان أهلها رب العالمين؟ فكيف خوطب هؤلاء الكفار، وأمروا في حال الموت بإخراج أنفسهم؟ فإن كان ذلك كذلك، فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يقبضون أنفسهم أجسامهم!

قيل: إن معنى ذلك بخلاف الذي إليه ذهبت، وإنما ذلك أمر من الله على ألسن رسله الذين يقبضون أرواح هؤلاء القوم من أجسامهم، بأداء ما أسكنها ربها من الأرواح إليه، وتسليمها إلى رسله الذين يتوفونها.



س: اذكر حديثاً يبين كيفية نزع الأرواح من الأجساد؟

ج: ورد في ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما بسند صحيح عن

رسول الله ﷺ، عند الإمام أحمد وغيره^(١)، وفيه:

خطبنا رسول الله ﷺ في يوم نحر فقال: لا يذبحن أحد حتى نصلي فقام خالي فقال: يا رسول الله هذا يوم مكروه وإني عجلت وإني ذبحت نسيكتي لأطعم أهلي وأهل داري أو أهلي وجيراني فقال: قد فعلت فاعد ذبحاً آخر فقال: يا رسول الله، عندي عناق لبن هي خير من شاتي لحم أفأذبحها؟ قال: نعم، وهي خير نسيكتك ولا تقضي جذعة عن أحد بعدك .

حدثنا عبدالله حدثني أبي ثنا أبو معاوية قال ثنا الأعمش عن منهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرون يعني: بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها

(١) أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨).

خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة.

نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأتين ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرْحاً ثم قرأ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري،

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي من السماء: إن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب متن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد جئتمونا وحدانًا لا مال معكم ولا أولاد ولا أهل ولا عشيرة ولا أصحاب ولا رفيق (أي ولا عبيد) ولا شيء معكم مما كانوا يتباهون في الدنيا.

وقال الشنقيطي رحمه الله: (أضوان البيان):

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار يأتون يوم القيامة كل واحد منهم بمفرده ليس معهم شركاؤهم، وصرح تعالى بأن كل واحد يأتي فردًا في قوله: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]، وقوله في هذه الآية: ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي منفردين لا مال، ولا أثاث، ولا رفيق، ولا خول عندكم، حفاة عراة غرلاً، أي غير مختونين ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

وللمفسرين في معنى «فرادى» خمسة أقوال متقاربة المعنى:

أحدها: فرادى من الأهل والمال والولد، قاله ابن عباس.

والثاني: كل واحد على حدة، قاله الحسن.

والثالث: ليس معكم من الدنيا شيء، قاله مقاتل.

والرابع: كل واحد منفرد عن شريكه في الغي، وشقيقه، قاله الزجاج.

والخامس: فرادى من المعبودين، قاله ابن كيسان.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ مع إيراد بعض أحاديث رسول الله ﷺ في ذلك؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، كما ولدتكم أمهاتكم حفاة عراة غُرلاً (أي غير مختونين) غلفاً (أي بأعضائكم).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد جئتمونا يوم القيامة فرادى لا شيء معكم، ولا ولد ولا والد ولا مال ولا جاه ولا شيء، فلقد تركتم كل ذلك خلفكم في دنياكم كما في الحديث «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»^(١).

قال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ أي: من النعم والأموال التي اقتنيتموها في الدار الدنيا وراء ظهوركم، وثبت في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست

(١) البخاري (حديث ٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»^(١)

وما سوى ذلك فذاهب وتاركة للناس.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفٍّ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾؟

ج: هذا قول الله عز وجل للمشركين الذين كانوا يزعمون أن الأصنام والأوثان تشفع فيهم، فقل لهم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون، وتدعونها لله شركاء، لقد ذهب عنكم فما تروى!!

أين اللات؟! أين العزى؟! أين مناة؟!

قال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفٍّ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ تقرير لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان، طائين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان ثم معاد، فإذا كان يوم القيامة تقطعت الأسباب، وانزاح الضلال، وضل عنهم ما كانوا يفترون، ويناديهم الرب جل جلاله على رءوس الخلائق: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَتَنَزَّلُ عَلَيْكُمْ فِي الْبُحْرِ أَوْ نَتَّبِعُكُمْ وَأَوَّلُكُمْ وَآخِرُكُمْ فَتُؤْمِنُونَ﴾ [الشعراء: ٩٢، ٩٣] ولهذا قال ها هنا: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفٍّ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ أي: في العبادة لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، لقد تقطعت أسباب التواصل التي كنتم تتواصلون

بها في دنياكم - إلا وصلة الإيمان لقد تقطعت القربات فلم يعد قريبٌ يغني عن قريبه شيئاً، وكذا تقطعت الصداقات، وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

قال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرئ بالرفع أي: شملكم، وقرئ بالنصب أي: لقد انقطع ما بينكم من الأسباب والوصلات والوسائل ﴿وَصَلَّ عَنْكُمْ﴾ أي: وذهب عنكم ﴿مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ من رجاء الأصنام والأنداد، كقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (٣٦)﴾ وقال الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقال: ﴿وَقِيلَ أَذْعُوا شُرَكَاءَكُمُ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ [الفصل: ٦٤] الآية، وقال: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعَاتِمُ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ٢٢] إلى قوله: ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٤] والآيات في هذا كثيرة جداً.

وقال الشنقيطي رحمه الله (في أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤] ذكر في هذه الآية الكريمة: أن الأنداد التي كانوا يعبدونها في الدنيا تضل عنهم يوم القيامة، وينقطع ما كان بينهم وبينها من الصلات في الدنيا، وأوضح هذا المعنى في

آيات كثيرة جدًا كقوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]، وقوله: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢] وقوله: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقوله: ﴿إِن مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُم أَوْ يَنْصُرُونَ﴾، وقوله هنا: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: ٩٤].



﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىٰ
 ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ
 وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
 ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا
 الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُوهُ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا
 بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا
 وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ
 مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ
 لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ
 وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
 وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ
 شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْإَبْصَارُ
 وَهُوَ يُدْرِكُ الْإَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُم بِصَآئِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ
 فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴿١٠٤﴾

وَكَذَلِكَ نَضْرِبُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
 (١٠٥) أَتَبِعَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ
 (١٠٦) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
 بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ
 عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ (١٠٨) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ
 إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنَقَلِبُ
 أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
 يَعْمَهُونَ ﴿ [الأنعام: ٩٥ - ١١٠].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَالِقُ^(١) - الْحَبِّ - وَالنَّوَى - ذَلِكُمُ اللَّهُ - فَأَنَّى - تُؤْفَكُونَ - فَالِقُ الْإِصْبَاحِ - سَكَنًا - حُسْبَانًا - تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ - فَصَلْنَا - أَنْشَأَكُم - فَمُسْتَقَرًّا - وَمُسْتَوْدَعًا - يَفْقَهُونَ - خَضْرَاءَ - حَبًّا - مُتَرَاكِبًا - قِنَوانٌ - دَانِيَةً - وَيَنْعِهِ - وَخَرَقُوا - سُبْحَنَهُ - وَتَعَالَى - بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - صَاحِبَةُ - وَكِيلٌ - لَا تُدْرِكُهُ الْبِصَرُ - اللَّطِيفُ - بَصَائِرُ - بِحَفِيزٍ - نُصِرْتُ الْآيَاتِ - دَرَسَتْ - عَدَوًا - بَغَيْرِ عِلْمٍ - وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ - جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ - لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا - وَمَا يَشْعُرْكُمْ - أَفَعَدَّتَهُمْ - وَنَذَرُهُمْ - يَعْمَهُونَ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَالِقُ﴾	الذي يشق (الحب والنوى) - فلق: شق، والفلقة: هي الشق بين الحبة.
﴿الْحَبِّ﴾	جمع حبة.
﴿وَالنَّوَى﴾	جمع نواة.
﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾	فاعل ذلك هو الله ^(١) .
﴿فَأَنَّى﴾	من أي وجه (من وجوه الباطل).
﴿تُؤْفَكُونَ﴾	تصرفون عن الصواب.
﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾	شاق الصبح من ظلمة الليل - مُضِيء الفجر من ظلمة الليل، أتى بضوء الفجر من ظلمة الليل.
﴿سَكَنًا﴾	وقتاً للسكون والراحة، يسكن فيه كل متحرك - مستقرًا - مأوى.

(١) فلق النواة فأخرج منها نبات النخلة، وفلق الحبة فأخرج منها نباتها.

(٢) من أي وجه تهربون من الإقرار بوحدانية، وقد فصل لكم الآيات وبينها.

﴿حُسْبَانًا﴾	يجريان بحساب (إلى أجل معلوم) كما قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].
﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾	الذي عَزَّ سلطانه - الذي يفعل ما يريد ولا يمنعه مانع مما أراد - عظيم السلطان منيع الجناب.
﴿فَصَلْنَا﴾	ميزنا - بينا - فَرَّقْنَا.
﴿أَنشَأَكُم﴾	خلقكم.
﴿فَمَسْتَقَرٌّ﴾	مكانًا تستقرون ^(١) فيه (قيل: هو الرحم).
﴿وَمُسْتَوْعٍ﴾	مكان يستودعكم غيركم فيه (قيل: هو القبر).
﴿يَفْقَهُونَ﴾	يفهمون.
﴿خَضِرًا﴾	النبات الأخضر - وقيل: الخضروات - وقيل: البقول.
﴿حَبًّا﴾	ما في السنابل (حب الحنطة - الشعير - الأرز).
﴿مُتَرَاكِبًا﴾	يركب بعضها بعضًا (كحب السنابل).
﴿قِنَوانٌ﴾	جمع قنٍ، وهو: العذق.
﴿دَانِيَةً﴾	متدلية ^(٢) - قريبة.
﴿وَيَتَوَعَّه﴾	نضجه - بلوغه حين يبلغ.
﴿وَحَرُوقًا﴾	اخرعوا - افتروا - كذبوا - تخرصوا.
﴿سُبْحَنَهُ﴾	تنزهه.
﴿وَتَعَالَى﴾	علا وارتفع.
﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	محدثهما على غير مثال سابق (بعد أن لم يكونا شيئًا) الذي أحسن خلق السموات والأرض.

(١) وذلك لقوله تعالى: ﴿وَنُقَرِّفُ فِي الْأَنْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَّا لَئِنْ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٥].

(٢) قريبة من الأرض، وذلك في نوع من النخيل قصير.

﴿صَاحِبَةٌ﴾	زوجة.
﴿وَكَيْلٌ﴾	رقيب - حفيظ.
﴿لَا تُدْرِكُهُمُ الْعَبْصَةُ﴾	لا تحيط به الأبصار.
﴿اللطيف﴾	الرفيق بعباده - موصل الشيء باللين والرفق الذي يعامل أهله باللطف والرأفة.
﴿بصائر﴾	جمع بصيرة وهي: الحجة والبينة، والمراد: الآيات.
﴿بمحفوظ﴾	برقيب - بمحصى للأعمال.
﴿نُفْرِفُ الْآيَاتِ﴾	نفصل الآيات - أنواع الآيات.
﴿دَرَسَتْ﴾	تعلمت من غيرك.
﴿عَدَوًا﴾	جهلاً واعتداءً.
﴿بغير علم﴾	بجهل.
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾	حلفوا بالله.
﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾	مجتهدين في الأيمان.
﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا﴾	ليصدقن بها - ليصدقنك في أنها من عند الله.
﴿وَمَا يَشْعُرْكُمْ﴾	وما يدريكم.
﴿أَفَنِدَّاهُمْ﴾	قلوبهم.
﴿وَنَذَرُهُمْ﴾	نتركهم.
﴿يَقْمَهُونَ﴾	يترددون - يتحIRON - لا يهتدون للحق - لا يبصرون صواباً.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى فلق الحب والنوى؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: أن الله عزَّ وجل هو الذي شقَّ الحبة فأخرج منها النبات، وفلق النواة فأخرج منها النخلة، وكما أنه سبحانه وتعالى فعل ذلك فهو قادرٌ على إحياء الموتى، وعلى إخراج الحي من الميت والميت من الحي.

قال الطبري رحمه الله:

وهذا تنبيه من الله جل ثناؤه لهؤلاء العادلين به الآلهة والأوثان على موضع حجته عليهم، وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون من إشراك الأصنام في عبادتهم إياه.

يقول تعالى ذكره: إن الذي له العبادة أيها الناس دون كل ما تعبدون من الآلهة والأوثان، هو الله الذي فلق الحب -يعني: شق الحب- من كل ما ينبت من النبات، فأخرج منه الزرع، ﴿وَالنَّوَى﴾، من كل ما يغرس مما له نواة فأخرج منه الشجر. و «الحب»: جمع «الحبة»، و «النوى»: جمع «النواة».

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى: أنه فلق الحب والنوى، أي: يشقه في الثرى، فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها؛ من الحبوب والثمار، على اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها من النوى؛ ولهذا فسر قوله: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ بقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي: يخرج النبات الحي من الحب والنوى الذي هو كالجماد الميت، كقوله: ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ أَلْيَمَّةٌ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣] إلى قوله: ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

قال السمعاني في «تفسيره»:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ الفلق: الشق، ومعناه: أنه يشق الحبة؛ فيستخرج السنبلة من الحبة، ويشق النواة؛ فيستخرج النخلة من النواة،

ويدخل في قوله: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ﴾ جميع البذور والحبوب، ويدخل في قوله: ﴿وَالنَّوَى﴾ نواة جميع الأشجار مثل: نواة المشمش، ونواة الخوخ، ونواة الغبيراء، ونحو ذلك، وقيل: فالق الحب والنوى بمعنى: خالق الحب والنوى.



س: ما المراد بالحي، وما المراد بالميت في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾؟

ج: في ذلك أقوال ذكرها العلماء منها ما يلي:

الحي: المؤمن.

والميت: الكافر.

الحي: السنبلة.

الميت: الحبة.

الحي: النخلة.

الميت: النواة.

الحي: الإنسان الحي.

الميت: النطفة

الحي: الدجاجة.

الميت: البيضة.

وَتَمَّ أقوال أُخر.

وقد اختار الطبري في هذا المقام بعض ما ذكر دون الآخر فقال:

يقول تعالى ذكره: يخرج السنبل الحي من الحَبِّ الميت، ومخرج الحَبِّ الميت من السنبل الحي، والشجر الحي من النوى الميت، والنوى الميت من الشجر الحي.

والشجر ما دام قائماً على أصوله لم يجف، والنبات على ساقه لم ييبس، فإن العرب تسميه «حَيًّا»، فإذا ييس وجف أو قطع من أصله، سموه «مَيِّتًا».

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد عبروا عن هذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى فمن قائل: يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، ومن قائل: يخرج الولد الصالح من الفاجر والفاجر من الصالح، وغير ذلك من العبارات التي تتظمها الآية وتشملها.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: أن الله عزَّ وجلَّ يذكرُّ خلقه بنعمه عليهم ويذكرُّهم بقدرته، فيقول: فالق الإصباح أي: أنه سبحانه وتعالى أخرج الضياء من الظلام وخلق الصباح من الليل، فجعل النهار منيرًا ليسعى الناس على معاشهم ويلتمسوا أسباب الرزق، وجعل الليل لهم للراحة والهدوء والسكون تستريح فيه الأبدان من العناء والتعب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ أي: خالق الضياء والظلام، كما قال في أول السورة: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] أي: فهو سبحانه يخلق ظلام الليل عن غرة الصباح، فيضيء الوجود ويستنير الأفق، ويضمحل الظلام، ويذهب الليل بدأته وظلام رواقه، ويحيي النهار بضيائه وإشراقه، كقوله: ﴿يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُكَا﴾ [الأعراف: ٥٤]، فبيّن تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة، الدالة على كمال عظمتة وعظيم سلطانه، فذكر أنه فالق الإصباح، وقابل ذلك بقوله: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ أي: ساجيًا مظلمًا لتسكن فيه الأشياء، كما قال: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى: ١، ٢]، وقال: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل: ١، ٢]، وقال: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَلَهَا ۝٢ وَاللَّيْلُ إِذَا يَعْشَىٰهَا﴾ [الشمس: ٣، ٤].

وقال السعدي في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن» (...):

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ أي: كما أنه فالق الحب والنوى، كذلك هو فالق ظلمة الليل الداجي، الشامل لما على وجه الأرض، بضياء الصبح الذي يفلقه شيئاً فشيئاً، حتى تذهب ظلمة الليل كلها ويخلفها الضياء والنور العام، الذي يتصرف به الخلق، في مصالحهم ومعاشهم ومنافع دينهم ودنياهم.

ولما كان الخلق محتاجين إلى السكون والاستقرار والراحة، التي لا تتم إلا بوجود النهار والنور ﴿وَجَعَلَ﴾ الله ﴿الَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن فيه الآدميون إلى دورهم ومنامهم، والأنعام إلى مأواها، والطيور إلى أوكارها، فتأخذ نصيبها من الراحة، ثم يزيل الله ذلك بالضياء، وهكذا أبداً إلى يوم القيامة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ؟

ج: المعنى، والله أعلم: أن الله عز وجل جعل الشمس والقمر يجريان بحساب لا يتعديانه ولا يتجاوزانه فلهما مسارات يسيران فيها وأزمته لمسير كل منهما، يقدر ذلك كله العزيز الذي لا يمنعه مما أراد مانع ولا يحول بينه وبين مراده حائل (العليم) بمصالح العباد والعليم بكل شيء.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ أي: يجريان بحساب مقنن مقدر لا يتغير ولا يضطرب، بل كل منهما له منازل يسلكها في الصيف والشتاء، فيرتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طويلاً وقصراً، كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥] الآية، وكما قال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]،

وقال: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ أي: الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف، العليم بكل شيء، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وكثيراً ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر يختم الكلام بالعزة والعلم، كما ذكر في هذه الآية، وكما في قوله: ﴿وَأَيُّهُمْ أَلَبُّ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [يس: ٣٧، ٣٨].

وقال السعدي في «تفسيره»:

وجعل تعالى ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ بهما تعرف الأزمنة والأوقات، فتنضبط بذلك أوقات العبادات، وآجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضى من الأوقات التي لولا وجود الشمس والقمر، وتناوبهما، واختلافهما لما عرف ذلك عامة الناس ولا اشتركوا في علمه.

بل كان لا يعرفه إلا أفراد من الناس بعد الاجتهاد، وبذلك يفوت من المصالح الضرورية ما يفوت.



س: ما المراد بالظلمات في قوله تعالى: ﴿لِنَهْتِدُ وَايَهَا فِي ظُلُمَاتٍ أَلْبَرٍ وَالْبَحْرِ﴾ وما المراد بظلمات البر وظلمات البحر؟

ج: أما الظلمات فهي: ظلمات الليل

أما ظلمات البر: فظلمات الليل التي تسبب لكم الخطأ والضلال والحيود عن الطريق، وأنتم على الأرض .

أما ظلمات البحر: فالظلمات التي تحلُّ بكم وأنتم في البحر فتضلوا عن الطريق بسببها، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: والله الذي جعل لكم - أيها الناس - النجوم أدلة في البر والبحر إذا ضللتكم الطريق أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلاً، تستدلون بها على المحجة، فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة، فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَعَلَّمَكُمُ الْيَمِّنَ وَالْشَّمَالَ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، أي: من ضلال الطريق في البر والبحر. وعني بالظلمات ظلمة الليل، وظلمة الخطأ والضللال، وظلمة الأرض أو الماء.



س: اذكر بعض الأدلة على مشروعية الاهتداء بالنجوم والاستدلال بها، وهل في ذلك إشارة إلى شيء؟
ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكُمُ الْيَمِّنَ وَالْشَّمَالَ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾.

وقال بعض العلماء: كما أن النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فكذلك الرسل يهتدى بهم إلى طريق الله عز وجل، وينقذنا الله بهم من ظلمات الكفر والجهالة، وأيضاً فالدعاة إلى الله يهتدى بهم.

والكافر ميت في ظلمة والمؤمن حي في نور وضياء، وحياة المؤمن بإقباله على هدى الله عز وجل وإيمانه، وموت الكافر بضلاله وكفره وابتعاده عن الإيمان.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: معنى ذلك، والله أعلم: قد ذكرنا الآيات والدلالات على وحدانيتنا

وقدرتنا وعلمنا في عدة مواطن من كتابنا الذي أنزلناه على نبينا محمد ﷺ، لعل قوماً يعلمون ذلك ويفقهونه ويتدبرونه فيقبلون على طاعتنا وامثال أمرنا وتوحيدها.

فقوله: ﴿فَصَلْنَا﴾ من فصل الشيء بعضه عن بعض، وفصلنا الآيات أي: أتينها في مواطن متفرقة، ولعل المعنى يتضح من قوله تعالى في شأن الآيات التي أرسلها الله على فرعون وقومه ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَءَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣] أي: بين كل آية وآية فواصل أي: فواصل زمنية؛ فأرسلنا عليهم الطوفان وتركوا زمناً لعلهم يتذكرون فما تذكروا فأرسل عليهم الجراد... وهكذا.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يقول: قد ميزنا الأدلة، وفرقنا الحجج فيكم وبينها أيها الناس، ليتدبرها أولو العلم بالله منكم، ويفهمها أولو الحجى منكم، فينبوا من جهلهم الذي هم مقيمون عليه، وينزجروا عن خطأ فعلهم الذي هم عليه ثابتون، ولا يتهادوا عناداً لله - مع علمهم بأن ما هم عليه مقيمون خطأ - في غيهم.



س: ما المراد بالنفس الواحدة؟

ج: المراد بالنفس الواحدة: آدم عليه السلام.



س: اذكر بعض أقوال العلماء في تفسير: المستقر والمستودع؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: المستقر هو: المستقر في الرحم، المستودع: القبور.

الثاني: المستقر هو: المستقر في الصلب - يعني: أصلاب الرجال -، المستودع: حيث تموت (المكان الذي تموت فيه).

الثالث: المستقر: مستقر بطون النساء، المستودع: أصلاب الرجال.

الرابع: المستقر: في الصلب، المستودع: على ظهر الأرض.

الخامس: المستقر: على الأرض، المستودع: عند الله.

السادس: المستقر: في الرحم، المستودع في الصلب.

السابع: المستقر: في القبر، المستودع: في الدنيا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: قد فرقنا الآيات وبيننا الحجج في غير موضع من كتابنا لعل هؤلاء المعرضين عن ذكر ربهم وهداه يفهمون عن الله مراده، وتبين لهم قدرته.
قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ يقول تعالى: قد بينا الحجج، وميزنا الأدلة والأعلام وأحكمناها، ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ مواقع الحجج ومواقع العبر، ويفهمون الآيات والذكر، فإنهم إذا اعتبروا بما نبهتهم عليه من إنشائي من نفس واحدة ما عاينوا من البشر، وخلقي ما خلقت منها من عجائب الألوان والصور، علموا أن ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شريك فيشركوه في عبادتهم إياه.



س: اذكر المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ..﴾؟

ج: المستفاد، والله تعالى أعلم: بيان قدرة الله عز وجل ونعمته في إنزال هذا الماء من السماء، ذلكم الماء الذي يشرب منه الإنس وتشرب منه الدواب والأنعام،

وتنمو به الأرض ويرزق منه بنو آدم وخرجت بسببه جميع النباتات، فالذي أنزل ذلك جدير بأن يعبد ولا يشرك به شيء، جدير بأن يخشى، جدير بأن يرهّب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: بقدر مباركاً رزقاً للعباد وإحياءً وغياثاً للخلائق رحمة من الله بخلقه ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾؟
ج: المعنى، والله أعلم: فأخرجنا به كل النباتات، وقيل: المعنى فأخرجنا به ما ينبت به كل شيء.

أما الطبري رحمه الله فقد قال:

وإنما معنى قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، فأخرجنا به ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويصلح.

ولو قيل: معناه: فأخرجنا به نبات جميع أنواع النبات، فيكون ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ هو أصناف النبات، كان مذهباً، وإن كان الوجه الصحيح هو القول الأول. كذا قال الطبري رحمه الله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ أي: زرعاً وشجراً أخضرًا، ثم بعد ذلك يخلق فيه الحب والتمر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ أي: يركب بعضه

بعضًا كالسنابل ونحوها: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِمَّنْ طَلَعَهَا قِنْوَانٌ﴾ أي: جمع قنو، وهي عذوق الرطب، ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة من المتناول.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ أي: من ذلك النبات الخضر.

﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ بعضه فوق بعض، من بر، وشعير، وذرة، وأرز، وغير ذلك من أصناف الزروع، وفي وصفه بأنه متراكب إشارة إلى أن حبوبه متعددة، وجميعها تستمد من مادة واحدة وهي لا تختلط بل هي متفرقة الحبوب مجتمعة الأصول، وإشارة أيضًا إلى كثرتها وشمول ريعها وغلتها، ليبقى أصل البذر ويبقى بقية كثيرة للأكل والادخار.



س: على أي أساس رُفعت ﴿قِنْوَانٌ﴾؟

ج: رفعت على أنه خبر لمبتدأ وهو جملة ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِمَّنْ طَلَعَهَا﴾ أو مبتدأ والمعنى: وقنوان النخل التي تخرج من الطلع دانية.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ومن النخل من طلعتها قنوانه دانية، ولذلك رفعت قنوان.



س: كثيرًا ما يمتن الله عزَّ وجل على العباد بثمرات النخيل والأعناب دَلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾

[النحل: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِّنَ الْعُيُونِ﴾ [يس: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وهذان النوعان: هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز، وربما كانا خيار الثمار في الدنيا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: وأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء زيتونًا ورمانًا مشتبهاً في لونه مختلفاً في طعمه، أو مشتبهاً ورقه مختلفاً طعمه، أو مشتبهاً ورقه مختلفاً ثمره هكذا، والمراد بقوله: ﴿وَالزَّيْتُونَ﴾ أي: شجر الزيتون، وكذا ﴿وَالرُّمَّانَ﴾: شجر الرمان.

قال السعدي رحمه الله:

وقوله: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ يحتمل أن يرجع إلى الرمان والزيتون، أي: مشتبهاً في شجره وورقه، غير متشابه في ثمره.

ويحتمل أن يرجع ذلك إلى سائر الأشجار والفواكه، وأن بعضها مشتبّه، يشبه بعضها بعضاً، ويتقارب في بعض أوصافه، وبعضها لا مشابة بينه وبين غيره. والكل ينتفع به العباد، ويتفكهون ويقتاتون ويعتبرون؛ ولهذا أمر تعالى بالاعتبار به.



س: هل في الزيتون والرمان زكاة؟

ج: أما الرمان: فأكثر أهل العلم على أنه: لا زكاة فيه، أما الزيتون: فلاهل العلم فيه قولان: أحدها: لا زكاة فيه؛ لاقتراحه بالرمان، وقال آخرون من أهل العلم: فيه الزكاة؛ لأنه يعصر وزيته له بقاء، ويدخر، ولأن الآية الكريمة فيها:

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتُ مُتَشَبِهًا وَغَيْرُ مُتَشَبِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١].

ولمزيد انظر: كتب الفقه «المغني» وغيره، وكذا انظر: «تفسير القرطبي».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: فكروا أيها الناس فيما يحدث لهذه الزروع المذكورة، وكيف نمت، وكيف ترعرعت، معنى هذا: دلالة على قدرة الله عز وجل وعلى وحدانيته فلا يقدر على فعل ذلك أحد سواه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ أي: نضجه، قاله البراء بن عازب، وابن عباس، والضحاك، وعطاء الخراساني، والسدي، وقتادة، وغيرهم، أي: فكروا في قدرة خالقه من العدم إلى الوجود، بعد أن كان حطبًا صار عنبًا ورطبًا، وغير ذلك مما خلق سبحانه وتعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح، كقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنُونٌ وَغَيْرُ صِنُونٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِيدٍ وَتَفْضُلٌ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: يدلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدقون به ويتبعون رسله.



س: اذكر معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؟

ج: المعنى: إن في المذكور في الآية الكريمة من نعم الله عز وجل على عباده من إنزال الماء وإخراج النبات به الذي منه الأخضر، ومنه ذو الحب المتراكب،

وكذا النخيل والأعناب والزيتون والرمان المشتبة في لونه المختلف في طعمه، وكذا حاله عند البلوغ والنضج في كل ذلك دلالات على قدرتنا ووحدانيتنا يستدل بها على وحدانيتنا قوم كتبنا لهم الهداية ووفقناهم للإيمان.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره إن في إنزال الله من السماء الماء الذي أخرج به نبات كل شيء، والخضر الذي أخرج منه الحب المتراكب، وسائر ما عدّد في هذه الآية من صنوف خلقه، ﴿لَا يَنْبَغُ﴾، يقول: في ذلكم، أيها الناس، إذا أنتم نظرتم إلى ثمره عند عقد ثمره، وعند ينعه وانتهائه، فرأيتم اختلاف أحواله وتصرفه في زيادته ونموه، علمتم أن له مدبراً ليس كمثله شيء، ولا تصلح العبادة إلا له دون الآلهة والأنداد، وكان فيه حجج وبرهان وبيان، ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يقول: لقوم يصدقون بوحدانية الله وقدرته على ما يشاء.

وخصّ بذلك تعالى ذكره القوم الذين يؤمنون، لأنهم هم المنتفعون بحجج الله والمعتبرون بها، دون من قد طبع الله على قلبه، فلا يعرف حقاً من باطل، ولا يتبين هدىً من ضلالة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أن هؤلاء المشركين جعلوا لله شركاء وعبدوهم مع الله عز وجل، هؤلاء الشركاء هم الجن.

فجعلوا الجن شركاء لله مع أن الله عز وجل هو خالقهم وخالق الجن كذلك هو وحده لا شريك له الذي خلقهم لم يشاركه في خلقهم أحد.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، وأشركوا به في عبادته، أن

عبدوا الجن فجعلوهم شركاء الله في العبادة، تعالى الله عن شركهم وكفرهم.

فإن قيل: فكيف عُبِدَت الجن وإنما كانوا يعبدون الأصنام؟ فالجواب:

أنهم ما عبدوا الأصنام إلا عن طاعة الجن، وأمرهم إياهم بذلك، كقوله: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ۝١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۝١٨ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلَيْتَ كُنَّ إِذَاقُ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيَغَيِّرْتُ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ۝١٩ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝﴾ [النساء: ١١٧ - ١٢٠]، وكقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝﴾ [الكهف: ٥]، وقال إبراهيم لأبيه: ﴿يَتَّابَتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۝﴾ [مريم: ٤٤]، وكقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَسَىٰ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝﴾ [يس: ٦٠، ٦١]، وتقول الملائكة يوم القيامة: ﴿سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ۝﴾ [سبأ: ٤١]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۝﴾ أي: وقد خلقهم، فهو الخالق وحده لا شريك له، فكيف يعبد معه غيره، كقول إبراهيم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجُونَ ۝٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

ومعنى الآية: أنه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده، فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده، لا شريك له.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرِّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۝﴾

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن هؤلاء المشركين منهم فريق جعلوا الجن شركاء لله فعبدوهم مع الله، ومنهم من افترى كذبًا على الله واختلق لله البنين

والبنات، فادعى أن الله له أبناء وبنات، فالمشركون عبدوا الجن، واليهود قالوا عزير ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله، وقبائل من العرب زعموا أن الملائكة بنات الله.

أما الأدلة على ما ذكر فمنها - على وجه الإيجاز - ما يلي:

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَنْفٌ يُؤَفَّكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَحَرِّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ينبه به تعالى على ضلال من ضل في وصفه تعالى بأن له ولدًا، كما يزعمه من قاله من اليهود في عزير، ومن قال من النصارى في المسيح، وكما قال المشركون من العرب في الملائكة أنها بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا ومعنى قوله: ﴿وَحَرِّقُوا﴾ أي: اختلقوا وأتفكوا وتحرصوا وكذبوا، كما قاله علماء السلف.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: تنزه الله سبحانه وتعالى وارتفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة الكفرة أهل الشرك، إذ وصفوه بما لا يليق به فادعوا له الشريك وزعموا أن الجن شركاء لله وزعموا أن الله البنات وأنه اتخذ ولدًا كالعزير

والمسيح، فنزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن هذه الأوصاف وبين تعالى عنها بقوله (سبحانه وتعالى عما يصفون).

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: تنزه الله، وعلا فارفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه، في ادعائهم له شركاء من الجن، واختراقهم له بنين وبنات، وذلك لا ينبغي أن يكون من صفته، لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذي يحدث عنه الأولاد، والذين تضطربهم لضعفهم الشهوات إلى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذات، وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شيء إلى شيء، ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته إلى النساء إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ؟﴾

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: خالق السموات والأرض من أي وجه يأتيه الولد، والولد إنما يأتي من ذكر وأنثى والله ليست له صاحبة (أي: زوجة) فمن أين يأتيه الولد؟!

قال الطبري رحمه الله:

﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾، والولد إنما يكون من الذكر والأنثى، ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة، فيكون له ولد. وذلك أنه هو الذي خلق كل شيء.

يقول: فإذا كان لا شيء إلا الله خلقه، فأنى يكون لله ولد، ولم تكن له صاحبة فيكون له منها ولد؟

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مبدعها وخالقها ومنشئها ومحدثها على

غير مثال سبق، كما قال مجاهد والسدي، ومنه سميت البدعة بدعة؛ لأنه لا نظير لها فيما سلف.

﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: كيف يكون له ولد ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ أي: والولد إنما يكون متولدًا بين شيئين متناسبين، والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه؛ لأنه خالق كل شيء فلا صاحبة له ولا ولد، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَتُخَذُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ [مريم: ٨٨، ٨٩] إلى قوله: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء وأنه بكل شيء عليم، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه وهو الذي لا نظير له، فأنى يكون له ولد، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.



س: اذكر بعض أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: والله خلق كل شيء، ولا خالق سواه.
وكل ما تدعون أيها العادلون بالله الأوثان من دونه، خلقه وعبيده ملكًا كان الذي تدعونه ربًا وتزعمون أنه له ولد، أو جنيا أو إنسيا، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، يقول: والله الذي خلق كل شيء لا يخفى عليه ما خلق ولا شيء منه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، عالم بعددكم وأعمالكم، وأعمال من دعوتوه ربًا أو لله ولدًا، وهو محصياها عليكم وعليهم، حتى يجازي كلًا بعلمه.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ذلكم الذي خلقكم، والذي خلق السموات والأرض، والذي تنزه عن الصاحبة والولد، العالم بكل شيء هو ربكم الذي ينبغي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وهو خالق كل شيء وهو على كل من خلقهم حفيظ ورقيب.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: الذي خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم، هو الله ربكم، أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان، والجاعلون له الجن شركاء، وأهتكم التي لا تملك نفعا ولا ضررا، ولا تفعل خيرا ولا شرا، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء الله.

يقول جل ثناؤه لهم: أيها الجاهلون، إنه لا شيء له الألوهية والعبادة، إلا الذي خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها، فإنه خالق كل شيء وبارئ وصانعه.

وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة، ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾، يقول: فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة، واخضعوا له بذلك، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، يقول: والله على كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتديره وتصريفه بقدرته.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول الله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: الذي خلق كل شيء ولا ولد له ولا صاحبة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ أي: فاعبدوه وحده لا

شريك له، وأقروا له بالوحدانية، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا ولد له ولا والد ولا صاحبة له، ولا نظير ولا عدیل ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: حفيظ ورفيق يدبر كل ما سواه، ويرزقهم ويكلأهم بالليل والنهار.



س: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟

ج: نعم يرى المؤمنون ربهم عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ...﴾ [يونس: ٢٦].

قال كثير من أهل التفسير إن المراد بالزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل.

وقال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر».

وقد قدمنا في تفسير سورة القيامة مزيداً من ذلك فارجع إليه إن شئت.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: لا تحيط به الأبصار، وذلك لعظمته سبحانه وتعالى فهو أجل وأعظم من أن يحيط به بصر أحد من خلقه، ولكن سبحانه وتعالى يحيط بالأبصار لا يخفى عليه شيء منها وهو الخبير بخلقها، العليم بهم، هذا وقد أورد الطبري^(١) بإسناد حسن عن قتادة قال لا يحيط بصر أحد بالمليك.

هذا، وقد وردت عن بعض أهل العلم أقوال أخر منها أن المراد بالإدراك الرؤية، ولكن هذا قول ضعيف، ولعلّ ضعفه يظهر مما سيأتي قريباً إن شاء الله .



س: كيف نفهم قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُمُ الْعَيْنُ وَلَا تَدْرِكُهُمُ السَّمْعُ﴾ مع الوارد من الأدلة من الكتاب والسنة التي تُثبت رؤية المؤمنين لربهم عز وجل يوم القيامة؟
ج: ذلك يفهم من وجوه:

أحدها: أن الإدراك شيءٌ والرؤية شيءٌ آخر فالإدراك أعمُّ من الرؤية، فقد يرى الشخص شخصاً لكنه لا يدركه، دلٌّ على ذلك قوله تعالى في شأن الجمعين جمع موسى عليه سلام، وقوم فرعون ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونٌ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

فحصلت الرؤية ولم يحدث الإدراك.

أما العلماء الذين ذهبوا إلى تفسير الإدراك بالرؤية فلهم تأويلات أخر منها لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا، أما في الآخرة فإنها تدركه.

والثاني: أن الأبصار التي لا تدركه أبصار الظالمين، فأما أبصار المؤمنين فإنها تُدركه.

الثالث: أن الله عز وجل سيحدث لأوليائه حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس يوم القيامة فيرونها بها.

وكل هذه الأقوال التي بُنيت على تفسير الإدراك بالرؤية أقوالٌ ضعيفةٌ، والصواب القول الذي قدمناه أولاً الذي حاصله أن الإدراك أعم من الرؤية فالشخص قد يرى الشيء ولكنه لا يدركه. والله تعالى أعلم.

وقال السعدي رحمه الله تعالى: في معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الذي لطف علمه وخبرته ودق، حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبایا، والبواطن، ومن لطفه، أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، ويوصلها إليه بالطرق، التي لا يشعر بها العبد، ولا يسعى فيها.

ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السرمدى، من حيث لا يحتسب. حتى

إنه يقدر عليه الأمور، التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها، لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها. فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾؟

ج: المعنى الإجمالي، والله تعالى أعلم، قد جاءكم يا أهل الشرك يا من هم غارقون في الضلالة حجج وبيّنات من ربكم، وتلك الحجج والبيّنات هي الآيات المباركات الواضحات في هذا الكتاب العزيز، جاءكم كي تستضيؤا بها وتبصروا بها الإيمان من الكفر، والهداية من الضلالة فمن قبل هذا النور واستضاء به فإنما أفاد نفسه ونفعها باستضاءته، ومن أعرض عن هذا النور فلن يضر إلا نفسه وسيبقى غارقاً في الضلالة.

قال الطبري رحمه الله:

وهذا أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهؤلاء - الذين نبههم بهذه الآيات من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْخَيْبِ وَالنَّوَى﴾، إلى قوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، على حججه عليهم، وعلى سائر خلقه معهم، العادلين به الأوثان والأنداد، والمكذبين بالله ورسوله محمد ﷺ وما جاءهم من عند الله - قل لهم يا محمد: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾، أيها العادلون بالله، والمكذبون برسوله، ﴿بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي: ما تبصرون به الهدى من الضلال، والإيمان من الكفر.

وهي جمع «بصيرة»، ومنه قول الشاعر:

حملوا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأقر

يعني بالبصيرة: الحجة البينة الظاهرة.

ثم قال:

وقوله: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾، يقول: فمن تبين حجج الله وعرفها وأقر

بها، وآمن بما دلت عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به، فإنما أصاب حظ نفسه، ولنفسه عمل، وإياها بغى الخير، ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾، يقول: ومن لم يستدل بها، ولم يصدق بما دلت عليه من الإيمان بالله ورسوله وتنزيله، ولكنه عمي عن دلالتها التي تدل عليها، يقول: فنفسه ضر، وإليها أساء لا إلى غيرها.

وأما قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾، يقول: وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أسلت به إليكم، والله الحفيظ عليكم، الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي آيات وبراهين يبصر بها ويستدل؛ جمع بصيرة وهي الدلالة. قال الشاعر:

جاءوا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وآي

يعني بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة.

ووصف الدلالة بالمجيء لتفخيم شأنها؛ إذ كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره للنفس؛ كما يقال: جاءت العافية وقد انصرف المرض، وأقبل السعود وأدبر النحوس. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ الإبصار: هو الإدراك بحاسة البصر؛ أي فمن استدل وتعرّف فنفسه نفع.

﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ لم يستدل، فصار بمنزلة الأعمى؛ فعلى نفسه يعود ضرر عماه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ أي: لم أؤمر بحفظكم علي أن تهلكوا أنفسكم.

وقيل: أي لا أحفظكم من عذاب الله.

وقيل: «بحفيظ» برقيب؛ أحصي عليكم أعمالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربّي، وهو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

قال الزجاج: نزل هذا قبل فرض القتال، ثم أمر أن يمنعهم بالسيف من عبادة الأوثان.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وكما صرفنا الآيات وفصلناها وبينناها في هذه السورة تلك الآيات الدالة على وحدانيتي فأبين لكم دائماً حججي لتعلموا كل ما جهلتموه، وكان من اللائق أن يقدم القوم لذلك شكراً لكن ما قدموا شكراً، وإنما كفروا وافتروا ونسبوا إليكم ما ليس بصدق فقالوا عنك وقد جئتهم بالبينات من ربك، قالوا ﴿دَرَسْتَ﴾ أي لقد درست هذا الذي تنقله لنا من كتب الأولين وتعلمت منها قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَأَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، وفي قراءة ﴿دَرَسْتَ﴾ أي دارست غيرك وجالست غيرك فعلموك، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

قال السمعاني رحمه الله:

قوله - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ﴾ أي: نفصل الآيات، مرة هكذا، ومرة هكذا ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ قيل: هذه «لام العاقبة» أي: عاقبة أمرهم أن يقولوا: درست، وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿فَالنَّقْطَةُءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨] ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لهذا، ولكن أراد أن عاقبة أمره معهم أن كان عدواً لهم؛ فيسمون ذلك لام العاقبة، كذلك ها هنا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيُبَيِّنَنَّ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وكما بينا الآيات لأهل الشرك لعلهم ينزجروا بها ويتعظوا، فكذلك نبين الآيات لأهل الإيمان لعلهم يزدادوا علماً وفهماً عن الله عز وجل.

قال الطبري رحمه الله:

وأما تأويل قوله: ﴿وَلْيُبَيِّنَنَّ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كما صرفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة لهؤلاء العادلين برهم الآلهة والأنداد، كذلك نصرف لهم الآيات في غيرها، كيلا يقولوا لرسولنا الذي أرسلناه إليهم: «إنما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب»، فينزجروا عن تكذيبهم إياه، وتقوُّهم عليه الإفك والزور، ولنبين بتصرفنا الآيات الحق، لقوم يعلمون الحق إذا تبين لهم فيتبعوه ويقبلوه، وليسوا كمن إذا بُيِّن لهم عموا عنه فلم يعقلوه، وازدادوا من الفهم له بعداً.



س: اذكر معنى قوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أقبل يا رسول الله على كتاب الله الذي أنزله عليك واعمل بما فيه وامثل ما أمرت بالامثال له واعمل ما أمرت بعمله، واجتنب ما نهيت عنه ولا تلتفت لأهل الشرك الذين يريدون صرفك عما أنت فيه من طريق الخير فربك واحد لا شريك له، ولا إله سواه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: اتبع، يا محمد، ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك، فاعمل به، وانزجر عما زجرك عنه فيه، ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك من عبادة الأوثان والأصنام، فإنه لا إله إلا هو: يقول: لا معبود يستحق

عليك إخلاص العبادة له إلا الله الذي هو فائق الحب والنوى، وفائق الإصباح، وجاعل الليل سكناً، والشمس والقمر حسباناً.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى آمراً لرسوله ﷺ ولن اتبع طريقه: ﴿الْبَيْعَ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: اقتد به، واقتف أثره، واعمل به، فإن ما أُوحي إليك من ربك هو الحق الذي لا مزية فيه، لأنه لا إله إلا هو.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: اعف عنهم واصفح واحتمل أذاهم، حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم، واعلم أن الله حكمة في إضلالهم، فإنه لو شاء لهدى الناس كلهم جميعاً.



س: هل قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ منسوخ أم محكم؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الآية الكريمة منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ بينما ذهب آخرون إلى أنها محكمة، وأن المراد بالإعراض عن المشركين الإعراض عن جدالهم إذا تمادوا فيما هم فيه والله أعلم.



س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا

أَشْرَكُوا؟﴾

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول: لو أراد ربك هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم، للطف لهم بتوفيقه إياهم فلم يشركوا به شيئاً، ولآمنوا بك فاتبعوك وصدّقوا ما جئتهم به من الحق من عند ربك، ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾، يقول جل ثناؤه: وإنما بعثتك إليهم رسولاً مبلغاً، ولم نبعثك حافظاً عليهم ما هم عاملوه، تحصي ذلك عليهم، فإن ذلك إلينا دونك، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾، يقول: ولست عليهم بقيم تقوم

بأرزاقهم وأقواتهم ولا بحفظهم، فيما لم يجعل إليك حفظه من أمرهم.



س: اذكر بعض الأدلة على أن المهتدي من هداه الله؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩].



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ

بِوَكِيلٍ؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وما جعلناك يا رسول الله رقيبًا على هؤلاء

تكتب أعمالهم وأقوالهم وتحفظها عليهم بل الله عز وجل هو الحفيظ، وكذا: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي لست بموكل على أرزاقهم وعلى تدبير أمورهم بل كل ذلك إلى الله عز وجل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ أي: بل له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه ويختاره، لا

يسأل عما يفعل وهم يسألون، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ أي:

حافظًا تحفظ أقوالهم وأعمالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: موكل على أرزاقهم

وأموارهم إن عليك إلا البلاغ، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ

عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

وقال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

قال القرطبي رحمه الله:

﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ أي لا يمكنك حفظهم من عذاب الله. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي قيم بأمورهم في مصالحهم لدينهم أو دنياهم، حتى تلتطف لهم في تناول ما يجب لهم؛ فلست بحفيظ في ذلك ولا وكيل في هذا، إنما أنت مبلغ. وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولا تشتموا يا أهل الإيوان الأصنام والأوثان التي يعبدها المشركون ليس توقيرًا للأصنام والأوثان كلا، بل حفاظًا على دينكم حتى لا يسبوا الله عز وجل اعتداءً منهم وبغيًا وتطاولًا بسبب جهلهم بالله وجهلهم عقوبة صنيعهم.



س: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قاعدة هامة وضحتها مع ذكر مثال لها؟

ج: تلك قاعدة سد الذرائع ولها أدلة متعددة وفحواها أننا امتنعنا عن سب آلهة المشركين منعًا للمشركين من سب الرب عز وجل ومن الأدلة لهذه القاعدة: قوله ﷺ ^(١) «من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه.



(١) البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (حديث ٩٠).

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم كما ذكر الطبري رحمه الله: قال يقول تعالى ذكره كما زينا هؤلاء العادلين برهبهم الأوثان والأصنام عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بخذلاننا إياهم عن طاعة الرحمن، كذلك زينا لكل جماعة اجتمعت على عمل من الأعمال من طاعة الله ومعصيته عملهم الذي هم عليه مجتمعون ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم إلى ربهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول فيوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملون بها في الدنيا ثم يجازيهم بها إن كان خيراً فخييراً، وإن كان شراً فشرّاً أو يعفو بفضله ما لم يكن شركاً أو كفراً.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ أي: وكما زينا هؤلاء القوم حب أصنامهم والمحاماة لها والانتصار ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: من الأمم الخالية على الضلال ﴿عَمَلُهُمْ﴾ الذي كانوا فيه، والله الحجة البالغة والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختاره، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ أي: معادهم ومصيرهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: يجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرّاً.



س: وضع معنى الآية الكريمة: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ...﴾ الآية؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم أن أهل الشرك حلفوا واجتهدوا في الحلف، وذلك يكون بتكراره أحياناً وتأكيده وتغليظه أحياناً، أقسموا على أنه إذا جاءتهم معجزة من جنس تلك المعجزات التي أيد الله بها الأنبياء، كناقصة صالح عليه السلام، أو عصا موسى عليه السلام أو تسخير الريح لسليمان عليه السلام أو غير ذلك ليصدقن بأنها من عند الله وأنتك رسول الله، فأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يقول لهم إن أمر الآيات والإتيان بها ليس إلي إنما مرده إلى الله عز وجل هو الذي

يأتي بالآيات إن شاء .

* أما قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ فقد قيل إن ذلك خطاب للكافرين فيكون المعنى، وما يدريكهم، ويكون المعنى قد اكتمل إلى هذا القدر، فيكون المعنى وما يدريكهم يا أهل الكفر أنكم ستؤمنون إذا جأتكم الآيات، ثم أخبر الله عز وجل أنهم وإن جاءتهم الآيات أيضًا لن يؤمنوا، فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون.

* وقد قال بعض العلماء قولاً آخر، فقالوا إن قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي يا أهل الإيمان، يا من تمنيتم نزول الآيات حتى يؤمن هؤلاء الكفار ما يدريكهم يا أهل الإيمان أن أهل الكفر سينتفعون بهذه الآيات.

على اعتبار أن حرف (لا) هنا صلة لتقوية الكلام، كما تقول لا والله، وأنت تقصد والله .

ووجه آخر وما يدريكهم يا أهل الإيمان لعل الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فيعاجلهم الله عز وجل بالعذاب ولا يملها ولا يؤخروا بعد ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى إخباراً عن المشركين: أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، أي: حلفوا أياناً مؤكدة ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ أي: معجزة وخارق ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا﴾ أي: ليصدقنها ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد هؤلاء الذين يسألونك الآيات تعتنا وكفراً وعناداً، لا على سبيل الهدى والاسترشاد: إنما مرجع هذه الآيات إلى الله، إن شاء أجابكم، وإن شاء ترككم.

وقال أيضًا:

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قيل: المخاطب بها يشعركم المشركون.

وإليه ذهب مجاهد، كأنه يقول لهم: وما يدريك بصدقكم في هذه الآيات التي تقسمون بها، وعلى هذا فالقراءة: ﴿أَنهَآ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بكسر «إنها» على استئناف الخبر عنهم بنفي الإيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها، وقرأ بعضهم: ﴿أَنهَآ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالتاء المثناة من فوق.

وقيل: المخاطب بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ المؤمنون، أي: وما يدريك أيها المؤمنون، وعلى هذا فيجوز في قوله: ﴿أَنهَآ﴾ الكسر كالأول، والفتح على أنه معمول يشعركم، وعلى هذا فتكون «لا» في قوله: ﴿أَنهَآ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ صلة، كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقوله: ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، أي: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك، وقوله: وحرام أنهم يرجعون، وتقديره في هذه الآية، وما يدريك أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصاً على إيمانهم، أنها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون.

وقال القرطبي رحمه الله:

وقال الكسائي والفرّاء: أن «لا» زائدة، والمعنى: وما يشعركم أنها - أي الآيات - إذا جاءت المشركين يؤمنون، فزيدت «لا»؛ كما زيدت «لا» في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]. لأن المعنى: وحرام على قرية مهلكة رجوعهم. وفي قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]. والمعنى: ما منعك أن تسجد.

وضَعَّفَ الزَّجَاجُ والنَّحَاسُ وغيرهما زيادة «لا» وقالوا: هو غلط وخطأ؛ لأنها إنما تزداد فيما لا يشكل.

وقيل: في الكلام حذف، والمعنى: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون، ثم حذف هذا لعلم السامع؛ ذكره النحاس وغيره.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرْتَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ۖ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أننا كما صرفنا قلوب وأبصار أهل الكفر عن الإيمان، وكما حجبناهم عن الإيمان أول مرة، فإننا وبعد نزول الآيات التي طلبوها نحول بينهم وبين الإيمان أيضًا لأن الهداية من الله عز وجل، ليست من الآيات وهناك وجه آخر ذكره العلماء حاصله، ولو رددنا أهل الكفر إلى الحياة الدنيا بعد أن توفيناهم وأحسيناهم يوم القيامة فعاينوا العذاب ورأوه، وتمنى العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات كما قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٨].

لو رددناهم إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر ثانية لأننا وكما صرفناهم عن الإيمان في الدنيا قبل موتهم نصر فهم عنه بعد إعادتهم إلى الدنيا أيضًا قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] وقال سبحانه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرْتَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ۖ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى التأويلات في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه، أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها. أنه يقلب أفئدتهم وأبصارهم ويصرفها كيف شاء، وأن ذلك بيده يقيمه إذا شاء، ويزيغه إذا أراد، وأن قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ۖ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ دليل على محذوف من الكلام، وأن قوله: ﴿كَمَا﴾ تشبيه ما بعده بشيء قبله.

وإذ كان ذلك كذلك، فالواجب أن يكون معنى الكلام: ونقلب أفئدتهم، فنزيغها عن الإيمان، وأبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجة، وإن

جاءتهم الآية التي سألوها، فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله، كما لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبل مجيئها مرة قبل ذلك.

وإذا كان ذلك تأويله، كانت «الهاء» من قوله: ﴿كَمَا لَوْ يُؤْمِنُؤِيَهُ﴾ كناية ذكر «التقليب».

وقال السعدي رحمه الله:

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٩) وَتَقْلِبُ آفِيدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُؤِيَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: ونعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيتهم فيها الداعي، وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم.

وهذا من عدل الله، وحكمته بعباده، فإنهم الذين جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب، فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق، فلم يسلكوا.

فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسباً لأحوالهم. وكذلك تعليقهم الإيمان بإرادتهم، ومشيتهم وحدهم، وعدم الاعتماد على الله من أكبر الغلط.

فإنهم لو جاءتهم الآيات العظيمة، من تنزيل الملائكة إليهم، يشهدون للرسول بالرسالة، وتكليم الموتى، وبعثهم بعد موتهم ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ حتى يكلمهم ﴿قُبُلًا﴾ ومشاهدة ومباشرة، بصدق ما جاء به الرسول ما حصل لهم الإيمان، إذا لم يشأ الله إيمانهم، ولكن أكثرهم يجهلون.

فلذلك رتبوا إيمانهم، على مجرد إتيان الآيات.

وإنما العقل والعلم، أن يكون العبد مقصوده، اتباع الحق، ويطلبه بالطرق التي بينها الله، ويعمل بذلك، ويستعين ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه، وحوله وقوته، ولا يطلب من الآيات الاقتراحية، ما لا فائدة فيها.



س: المعجزات لا تنفع إلا من كتب الله له الهداية. دَلِّلْ على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَدَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۚ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالشُّدْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].



س: اذكر بعض الأدلة على أن أمر القلوب موكل إلى الله عز وجل؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصُرُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ۖ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُخَيِّمَ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١].

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَّبَّنَا عَلَىٰ قُلُوبِنَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ...﴾ [البقرة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

وقول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...﴾ [آل عمران: ٨].



﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَّنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا
 مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ
 جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
 زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾
 وَلِلصَّغِيِّ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا
 هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ
 الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ
 فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا لَا مُبَدِّلَ
 لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تُطِيعِ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ
 يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ
 رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا
 ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا
 ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ
 وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
 وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِلَهِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِلَافَةَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا
 كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ

الشَّيْطَانِ لِيُوْحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ^{١٢١} وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ
 لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مَن كَانَ مِيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
 النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا
 لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا
 جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ
 حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ
 وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ
 صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
 يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا
 يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ لِقَوْمٍ
 يَذْكُرُونَ ﴿[الأنعام: ١١١-١٢٦]﴾.

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَحَشَرْنَا - قُبُلًا - شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ - زُحْرَفَ الْقَوْلِ - غُرُورًا - فَذَرَهُمْ - يَفْتَرُونَ - وَلِصَغَى - أَفْعَدَةً - وَلِيقْتَرِفُوا - مُقْتَرِفُونَ - مُفَصَّلًا - الْمُتَمَتِّينَ - كَلِمَتُ رَبِّكَ - صَدَقًا - وَعَدَلًا - لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ - يَخْرُصُونَ - فَصَلَ - اضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ - وَذَرُّوْا - ظَاهِرَ الْإِثْمِ - وَبَاطِنُهُ - يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ - سَيُجْزَوْنَ - يَقْتَرِفُونَ - لَفِسْقٌ - أَوْلِيَآئِهِمْ - لِيُجَدِّدُوَكُمْ - مَيِّتًا - فَأَحْيَيْنَاهُ - ثَوْرًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ - فِي الظُّلُمَاتِ - زَيْنَ - أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا - لِيَمَكُرُوا فِيهَا - آيَةً - صَغَارٌ - ضَيِّقًا حَرَجًا - يَصْعَدُ الرِّجْسَ - صِرَاطٌ - يَذْكُرُونَ ؟﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَحَشَرْنَا﴾	جمعنا عليهم - سقنا إليهم.
﴿قُبُلًا﴾	عيانًا يرونها بأعينهم - أمامهم - قبيلة قبيلة - صفاً صفاً - جماعة جماعة - مقابلة ومواجهة.
﴿شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾	المتوردون من الإنس والجن الذين يغوون العباد ويضلونهم.
﴿زُحْرَفَ الْقَوْلِ﴾	المرخرف من القول - المزين - المحسن - تزيين الباطل باللسان.
﴿غُرُورًا﴾	خداعاً.
﴿فَذَرَهُمْ﴾	دعهم.
﴿يَفْتَرُونَ﴾	يختلقون من الإفك والزور.

ولتميل.	﴿وَلْيَصْغَى﴾
قلوب.	﴿أَفْسَدَةُ﴾
ليكتسبوا - ليعملوا.	﴿وَلْيَقْتَرِفُوا﴾
مكتسبون - عاملون.	﴿مُقْتَرِفُونَ﴾
مبيناً فيه الحكم الذي تختصمون فيه.	﴿مُفَصَّلًا﴾
الشاكين.	﴿الْمُتَمَرِّينَ﴾
القرآن - وقيل: الأمور المقدرة.	﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾
صدقاً في الأخبار - أخباراً حقاً.	﴿صِدْقًا﴾
عدلاً في الأحكام - أحكام عادلة.	﴿وَعَدْلًا﴾
لا مغير لقضاء الله الذي قضاه، وقدره الذي قدر.	﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾
يظنون - يكذبون - يتكلمون بلا علم.	﴿يَمْخَرُصُونَ﴾
بين.	﴿فَصَلَ﴾
ألجأتكم إليه الضرورة.	﴿أَضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾
اتركوا - دعوا.	﴿وَذَرُوا﴾
المعاصي الظاهرة (التي يجاهر بها صاحبها ويعلمها).	﴿ظَاهِرَ الْإِنْمِ﴾
المعاصي التي يُسر بها صاحبها - يعملها سراً.	﴿وَبَاطِنُهُ﴾
يعملون السيئات.	﴿يَكْسِبُونَ الْإِنْمِ﴾
سيعاقبون.	﴿سَيُجْزَوْنَ﴾
يعملون المعاصي.	﴿يَقْتَرِفُونَ﴾
معصية - خروج عن الطاعة.	﴿لَفَسْقٍ﴾

﴿أُولِيَآيَهُمْ﴾	أتباعهم وأنصارهم.
﴿لِيُجَادَّ لَوْ كُمْ﴾	ليُحَاجُّوكُمْ - ليُخَاصِمُوكُمْ.
﴿مَيْتًا﴾	كافرًا.
﴿فَأَخَيَّنَهُ﴾	فهديناه للإيمان ورزقناه إياه.
﴿نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾	قرآنا يهتدي به في الناس.
﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾	المراد ظلمات الكفر والجهل.
﴿زُيِّنَ﴾	حُسِّنَ.
﴿أَكْبَرِ مُجْرِمِيهَا﴾	الأكابر الكبراء، جمع أكبر.
﴿لِيَتَكَبَّرُوا فِيهَا﴾	يُخَادِعُوا - يُحْتَالُوا - يَغْدُرُوا.
﴿ءَايَةً﴾	معجزة.
﴿صَغَارٌ﴾	ذُلٌّ وَإِهَانَةٌ.
﴿ضَيْقًا حَرَجًا﴾	شديد الضيق - شاكًا - ملتبسًا .
﴿يَضَعُدُّ﴾	يَضِيقُ.
﴿الرَّجَسِ﴾	العذاب - الشيطان - القدر - النجاسة - حل ما لاخير فيه.
﴿صِرَاطٌ﴾	طريق.
﴿يَذْكُرُونَ﴾	يتعظون ويعتبرون.



س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَنَّا لَأْتَيْنَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ...﴾ الآية.

ج: المعنى - والله أعلم -: ولو أننا نزلنا إلى هؤلاء الكفار المطالبين بالآيات الملائكة من السماء فرأوها بأعينهم، وأخبرتهم بأن وعد الله حق وأحيينا لهم من مات من الأموات نجبرهم بأن هناك عذاب وحساب وجنة أو نار وبأن الله حق، وكذا لو جمعنا لهم كل خلقنا فرأوهم عياناً وجاءهم الخلق صفوفاً، كل يشهد بأن وعد الله حق، وبأن الله واحد لا شريك له ما آمنوا؛ وذلك لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل، وأن الإيمان من عند الله عز وجل ولكن أكثر هؤلاء القوم يجهلون أن أمر الإيمان من الله عز وجل ويظنون أن إيمانهم بأيديهم يؤمنوا متى شاءوا ويكفروا متى شاءوا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، آيس من فلاح هؤلاء العادلين برهم الأوثان والأصنام، القائلين لك: «لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك»، فإننا لو نزلنا إليهم الملائكة حتى يروها عياناً، وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم حُجَّةً لك، ودلالة على نبوتك، وأخبروهم أنك محقٌ فيما تقول، وأن ما جئتهم به حقٌّ من عند الله، وحشرنا عليهم كل شيء فجعلناهم لك قبلاً، ما آمنوا ولا صدَّقوك ولا اتبعوك إلا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾، يقول: ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك، يحسبون أن الإيمان إليهم، والكفر بأيديهم، متى شاءوا آمنوا ومتى شاءوا كفروا. وليس ذلك كذلك، ذلك بيدي، لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشd فأضللته.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾؟

ج: في ذلك أقوال لأهل العلم:

أحدها: وجعنا هؤلاء الكفار كل ضامنٍ يضمن لهم أن ما وعدناهم به من الجنات حقٌ لهم إن هم آمنوا وما أعددناه لهم من العذاب إن هم كفروا، كل ذلك حق ما آمنوا ولا صدقوا.

الثاني: ولو أننا سقنا هؤلاء الكفار كل الآيات والحجج التي طلبوها وسألوها فأروها بأعينهم عيانًا ما آمنوا.

الثالث: ولو أننا سقنا هؤلاء الكفار الأشياء صنوفًا صنوفًا، وكل المخلوقات أجناسًا أجناسًا وقبائل قبائل ما آمنوا ولا صدقوا.



س: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ يحسبون ماذا؟

ج: ذلك الجهل - والله أعلم -: هو الجهل بقدرة الله والجهل بأن أمر الإيمان والهداية موكول إلى الله؛ فالشخص لا يستطيع توفيقًا لنفسه إلا إذا وفقه الله؛ فهؤلاء الذين زعموا أنهم سيؤمنون إذا جاءتهم آية، وأقسموا بالله على ذلك مجتهدين في الإيمان يجهلون أن أمر الإيمان والهداية من الله وبتوفيق الله، والله أعلم. قال صديق حسن خان في «فتح البيان».

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ جهلاً يحول بينهم وبين درك الحق والوصول

إلى الصواب، وقال البيضاوي: أي يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون، ولذلك أسند الجهل إلى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعًا في إيمانهم، انتهى.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾؟

ج: هذه الآية من آيات المواساة يواسي فيها ربنا سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ ويصبره بها، فيقول الله تبارك وتعالى له ما حاصله: وكما أننا جعلنا لك أعداء وهم شياطين الإنس والجن فقد جعلناهم - من قبلك - أعداء لعموم الأنبياء؛ فما من نبي إلا وناصبته شياطين الجن والإنس العداء، فاصبر كما صبر غيرك من الأنبياء من قبلك.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مسلياً بذلك عما لقي من كفره قومه في ذات الله، وحثاً له على الصبر على ما نال فيه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾، يقول: وكما ابتليناك، يا محمد، بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول، ليصدّوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان بك وبما جئتهم به من عند ربك، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل، بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات. يقول: فهذا الذي امتحنك به، لم تخصص به من بينهم وحدك، بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم وأختبرهم، مع قدرتي على منع من آذاهم من إيذائهم، فلم أفعل ذلك إلا لأعرف أولي العزم منهم من غيرهم. يقول: فاصبر أنت كما صبر أولو العزم من الرسل.



س: ما المراد بشياطين الإنس والجن؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بشياطين الإنس والجن المتمردون على طاعة الله ورسوله

من الإنس والجن؛ فشياطين الإنس هم المتمردون على طاعة الله ورسوله من البشر، وشياطين الجن هم المتمردون على طاعة الله ورسوله من الجن.

الثاني: أن المراد بشياطين الإنس والجن الشياطين التي تغوي الإنس والجن، وهم ذرية إبليس، فيكون هناك إنس وجن وذرية إبليس، وذرية إبليس منهم من يغوي الإنس ومنهم من يغوي الجن.

والقول الأول أقوى، والله تعالى أعلم.



س: ما المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَنَّا لَإِلَهُمُ الْمَلَكُوتُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]؟

ج: من المستفاد من ذلك أن النفس لا تذهب حسرات على من أعرض عن طريق الله عز وجل؛ لأن الهداية من الله عز وجل.

وكذلك فيها مواساة لأهل الإيثار فيما يلاقونه من أهل العناد والشقاق من أذى، وذلك في التذكير بما حدث لأنبيا الله صلوات الله وسلامه عليهم، فحتى الأنبياء، لم يُتركوا، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾.



س: هل هناك شياطين من الإنس؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: نعم هناك شياطين من الإنس، وهم المتمردون على طاعة الله ورسوله من الإنس وحجة أصحاب هذا القول الوجه الأول الذي قدمناه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾.

ومن حججهم أيضًا بعض الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذه الصور.

الثاني: ليس هناك شياطين من الإنس وحجة أصحاب هذا القول وجه التأويل الثاني الذي قدمناه للآية الكريمة.

أخرج مسلم^(١) في «صحيحه» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ. فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

وفي رواية عند مسلم^(٢): «وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ». وقد أخرج مسلم^(٣) أيضًا من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا لَيْلًا. قَالَتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ. فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ. قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ؟! أَغِرْتِ؟» فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِنِّي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ».

قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ».

قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ».



(١) مسلم (٢٨١٤).

(٢) عقب الرواية السابقة.

(٣) مسلم (٢٨١٥).

س: وضع المراد بقوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَمُورًا﴾؟

ج: في ذلك قولان لأهل العلم:

أحدهما: أن المتمردين من الجن الذين هم أعداء الأنبياء يوسوسون إلى المتمردين من الإنس الذين هم أعداء الأنبياء أيضًا، فيزينون لهم الباطل ليجادلوا به الأنبياء، ويحسنون لهم الكلام الذي يلبسون به على الطغام من البشر.

الثاني: أن ذرية إبليس يوحى بعضها إلى بعض ويؤازر بعضهم بعضًا؛ لإعانتته على أهل الإيمان من الجن والإنس فيلقي الشيطان الموكل بالإنس إلى الشيطان الموكل بالجن، وعكسه كل ما يساعده على الإضلال والإغواء من القول الباطل المزخرف والمحسن المزين.

وأورد الطبري رحمه الله تعالى بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَمُورًا﴾، قال: «الزخرف»، المزين، حيث زين لهم هذا الغرور، كما زين إبليس لآدم ما جاءه به وقاسمه إنه له لمن الناصحين. وقرأ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥]. قال: ذلك الزخرف.

وأما «الغرور»، فإنه ما غرَّ الإنسان فخدعه فصده عن الصواب إلى الخطأ، وعن الحق إلى الباطل، وهو مصدر من قول القائل: «غررت فلانًا بكذا وكذا، فأنا أغرُّه غرورًا وغرًّا».



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولو شاء الله عز وجل ما عادت الشياطين

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا كادت لهم، ولا أوحى بعضهم إلى بعض، ولكن الله عز وجل جعل ذلك ابتلاءً يبتلي به العباد، فليصبر الصابرون على طاعة الله وليثبت أهل الإيوان على طاعتهم لله عز وجل.

وكما قال تعالى في آية مشابهة في المعنى ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبَلَّوْا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ...﴾ [حمد: ٤].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولو شئت، يا محمد، أن يؤمن الذين كانوا لأنبيائي أعداء من شياطين الإنس والجن فلا ينالهم مكرهم ويأمنوا غوائلهم وأذاهم، فعلت ذلك، ولكني لم أشأ ذلك، لأبتلي بعضهم ببعض، فيستحق كل فريق منهم ما سبق له في الكتاب السابق، ﴿فَذَرَهُمْ﴾، يقول: فدعهم، يعني: الشياطين الذين يجادلونك بالباطل من مشركي قومك ويخاصمونك بما يوحي إليهم أولياؤهم من شياطين الإنس والجن، ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، يعني: وما يخلقون من إفك وزور.

يقول له ﷺ: «اصبر عليهم، فإني من وراء عقابهم على افترائهم على الله، واختلاقهم عليه الكذب والزور».

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته، أن يكون لكل نبي عدواً من هؤلاء ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أي: فدعهم ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: يكذبون، أي: دع أذاهم وتوكل على الله في عدواتهم، فإن الله كافيك وناصرك عليهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِصَغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ...﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن شياطين الإنس والجن تلقى الشبه والشهوات على أوليائها ليجادلوا أهل الإيمان وغيرهم فيسلم الله عز وجل أهل الإيمان، ويقدر الله عز وجل على الذين لا يؤمنون بالآخرة أن يستمعوا لهذا الباطل وتميل قلوبهم إليه ويعتقدوه، ومن ثم يكتسبوا من الآثام ما هم مكتسبون، وليعملوا من السيئات ما هم عاملون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَلِصَغَىٰ إِلَيْهِ﴾ يقول جل ثناؤه: يوحى بعض هؤلاء الشياطين إلى بعض المزين من القول بالباطل، ليغروا به المؤمنين من أتباع الأنبياء فيفتنهم عن دينهم، ﴿وَلِصَغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، يقول: ولتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَلِصَغَىٰ﴾^(١) اللام لام كي، وقيل: اللام للأمر، وهو غلط؛ فإنها لو كانت لام الأمر جزمت الفعل، والإصغاء الميل، يقال: صغوت أصغو وصغيت أصغي، ويقال: أصغيت الإناء إذا أملتته ليجتمع ما فيه، وأصله الميل إلى الشيء لغرض من الأغراض، ويقال: صغت النجوم إذا مالت للغروب، وأصغت الناقة إذا مالت برأسها.

والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ لزخرف القول أو لما ذكر سابقاً من زخرف القول وغيره، أي: أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروهم، ولتصغي إليه

(١) وقال السمعاني في «تفسيره»: إنها لام العاقبة، كما قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿فَالْفَلَقَةُ: ١﴾ فَرَعُونَ لِيَكُونَ لَهُمُ عَدُوًّا وَحَزَنًا [القصص: ٨]، أي: فكانت العاقبة أن يكون لهم عدواً وحزناً.

﴿أَفَعِدَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ من الكفار، والمعنى: أن قلوب الكفار تميل إلى زخرف القول وباطله وتحبه وترضى به، وهو قوله: ﴿وَلَيَرْضَوْنَهُ﴾ لأنفسهم بعد الإصغاء إليه ﴿وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام والاقتراف والاكْتِسَاب، يقال: خرج ليقترف لأهله، أي: ليكتسب لهم، وقارف فلان هذا الأمر إذا واقعه، وقرفه إذا رماه بالرمية، واقترف كذب، وأصله اقتطاع قطعة من الشيء، أي: ليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ما هم مكتسبون.

وترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة؛ لأنه أولاً يكون الخداع، فيكون الميل، فيكون الرضا، فيكون الفعل أي: الاقتراف، فكل واحد مسبب عما قبله، قاله أبو حيان.

وقال السعدي في «تفسيره»:

﴿وَلَيَرْضَوْنَهُ﴾ بعد أن يصغوا إليه، فيصغون إليه أولاً. فإذا مالوا إليه، ورأوا تلك العبارات المستحسنة، رضوه، وزين في قلوبهم، وصار عقيدة راسخة، وصفة لازمة، ثم ينتج من ذلك، أن يقترفوا من الأعمال والأقوال، ما هم مقترفون. أي: يأتون من الكذب بالقول والفعل، ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة. فهذه حال المفتريين، شياطين الإنس والجن، المستجيبين لدعوتهم. وأما أهل الإيمان بالآخرة، وأولو العقول الوافية، والألباب الرزينة، فإنهم لا يغترون بتلك العبارات، ولا تحلبهم تلك التموهيات.

بل همتهم مصروفة إلى معرفة الحقائق، فينظرون إلى المعاني التي يدعو إليها الدعاة. فإن كانت حقاً، قبلوها، وانقادوا لها، ولو كسيت عبارات رديئة، وألفاظاً غير وافية.

وإن كانت باطلاً، ردوها على من قالها، كائناً من كان، ولو ألبست من العبارات المستحسنة، ما هو أرق من الحرير.



س: من قوله تعالى: ﴿وَلِنَصْنَعَنَّ إِلَيْهِ أَفْعِدَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ ما يفيد أن أصحاب القلوب الفارغة من الإيمان يتسرب إليهم الكفر أكثر من غيرهم، وضح ذلك؟

ج: نعم، فيه ما يفيد هذا المعنى، فالذين يستمعون إلى إملاءات شياطين الإنس والجن هم الذين لا يؤمنون بالآخرة؛ فقلوبهم جوفاء فارغة من الإيمان؛ فلذا استقبلت هذا الكفر ووحى الشياطين، ورضيت به وعملت بمقتضاه .
أما الذين آمنوا واملئت قلوبهم إيماناً؛ فلا يجذو وحى الشياطين إلى قلوبهم سبيلاً.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: قل يا رسول الله، لهؤلاء المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة، المتبعين للباطل من القول وللزور منه، هؤلاء الذين تميل قلوبهم إلى الباطل وتعتقده، قل لهم: إن الله عز وجل هو الذي حكم على ما أنتم فيه من عبادة الأصنام والأوثان بأنه باطل، ولن أرض بحكم غير حكم الله عز وجل، وهو سبحانه الذي أنزل إليكم الكتاب مبيناً فيه الحلال والحرام، والتوحيد من الشرك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾؟

ج: المعنى - الله تعالى أعلم -: إن أنكر هؤلاء المشركون ما أنزل الله من الحق - وهو القرآن - فهناك خيرٌ منهم يعلمون أن هذا القرآن نزل من عند الله حاملاً

الحق مبيناً له عن الباطل، مُظهرًا لوجوه الحق والصواب، فلا تكن في شكٍّ مما أنزلناه إليك، ولا ترتاب في أنه من عند الله، أي: فلا تُدخلن نفسك في عداد الشاكِّين.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ...﴾؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلْآذَانِ سُجْدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]؛ وكقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَكْفُرُوا بِهَا بِكَفَرٍ﴾ [الأنعام: ٨٩].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن أنكر هؤلاء العادلون بالله الأوثان من قومك توحيد الله، وأشركوا معه الأنداد، وجحدوا ما أنزلته إليك، وأنكروا أن يكون حقاً وكذبوا به، فالذين آتيناهم الكتاب - وهو التوراة والإنجيل من بني إسرائيل - ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾، يعني: القرآن وما فيه، ﴿بِالْحَقِّ﴾ يقول: فصلاً بين أهل الحق والباطل، يدل على صدق الصادق على الله، وكذب الكاذب المفترى عليه، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾، يقول: فلا تكونن - يا محمد - من الشاكِّين في حقيقة الأنبياء التي جاءتك من الله في هذا الكتاب، وغير ذلك مما تضمنه؛ لأن الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا﴾؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ قرأ أهل الكوفة كلمة بالتوحيد والباقون بالجمع، والمراد: العبارات أو متعلقاتها من الوعد والوعيد، والمعنى: أن الله قد أتم وعده ووعيده؛ فظهر الحق وانطمس الباطل، وقيل: المراد بالكلمة أو الكلمات: القرآن، أي: لا أحد يقدر على تحريفه كما فعل بالتوراة؛ فيكون هذا ضمناً له من الله بالحفظ

أو لا نبي ولا كتاب بعده ينسخه، ومعنى تمت: بلغت الغاية.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها القرآن، قاله قتادة.

والثاني: أقضيته وعداته.

والثالث: وعده ووعيده وثوابه وعقابه. وفي قوله تعالى: ﴿صَدَقَّا وَعَدَلَا﴾

قولان:

أحدهما: صدقاً فيما أخبر، وعدلاً فيما قضى وقدر.

والثاني: صدقاً فيما وعد وأوعد، وعدلاً فيما أمر ونهى.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: لا مغير لقضاء الله الذي قضاه؛ فما قدره الله لا بد وأن يقع، كما قدر في الوقت الذي قدر فيه وقوعه، والمكان الذي قدر أن يقع فيه أيضاً.

قال الطبري رحمه الله:

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾، يقول: لا مغير لما أخبر في كتبه أنه كائن، من وقوعه في حينه وأجله الذي أخبر الله أنه واقع فيه، وذلك نظير قوله جل ثناؤه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾،

[الفتح: ١٥].

فكانت إرادتهم تبديل كلام الله، مسألتهم نبي الله أن يتركهم يحضرون

الحرب معه، وقولهم له ولمن معه من المؤمنين: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الفتح: ١٥].

بعد الخبر الذي كان الله أخبرهم - تعالى ذكره - في كتابه بقوله: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْرَكَ لِيُخْرِجَ قُلٌّ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ الآية [التوبة: ٨٣]، فحاولوا تبديل كلام الله، وخبره بأنهم لن يخرجوا مع نبي الله في غزاة ولن يقاتلوا معه عدوًا بقولهم لهم: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾، فقال الله جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا﴾ بمسألتهم إياهم ذلك، كلام الله وخبره: ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

فكذلك معنى قوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾، إنما هو لا مغير لما أخبر عنه من خبر أنه كائن، فيبطل مجيئه وكونه ووقوعه على ما أخبر جل ثناؤه؛ لأنه لا يزيد المفترون في كتب الله ولا ينقصون منها.

وذلك أن اليهود والنصارى لا شك أنهم أهل كتب الله التي أنزلها على أنبيائه، وقد أخبر جل ثناؤه أنهم يحرفون غير الذي أخبر أنه لا مبدل له.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ لا خلف فيها ولا مغير لما حكم به لما وصفها بالتمام، وهو في كلامه تعالى يقتضي عدم قبول النقص والتغير، قال محمد بن كعب القرظي: لا تبديل لشيء قاله في الدنيا والآخرة؛ كقوله: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩].

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي قوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ قولان:

أحدهما: لا يقدر المفترون على الزيادة فيها والنقصان منها.

والثاني: لا تخلف لمواعيده، ولا مغير لحكمه.



س: اذكر بعض أقوال العلماء في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُطْعَمَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟

ج: قال الطبري في معناها:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تطع هؤلاء العادلين بالله الأنداد - يا محمد - فيما دعوك إليه من أكل ما ذبحوا لأهلتهم وأهلوا به لغير ربهم، وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال، فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن دين الله. ومحجة الحق والصواب، فيصدوك عن ذلك.

وإنما قال الله لنبيه: ﴿وَلَا تُطْعَمَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، من بني آدم؛ لأنهم كانوا حينئذ كفاراً ضالاً، فقال له جل ثناؤه: لا تطعهم فيما دعوك إليه، فإنك إن تطعهم ضللت ضلالهم، وكنت مثلهم؛ لأنهم لا يدعونك إلى الهدى وقد أخطأوه. ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الذين نهى نبيه عن طاعتهم فيما دعوه إليه في أنفسهم، فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، فأخبر جل ثناؤه أنهم من أمرهم على ظن عند أنفسهم، وحسبان على صحة عزم عليه، وإن كان خطأ في الحقيقة، ﴿وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، يقول: ما هم إلا متخرصون، يظنون ويوقعون خَرَصًا، لا يقين علم.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي ماذا يطيعهم فيه أربعة أقوال:

أحدها: في أكل الميتة.

والثاني: في أكل ما ذبحوا للأصنام.

والثالث: في عبادة الأوثان.

والرابع: في اتباع ملل الأباء.

قلت: (مصطفى): والقول بالعموم أولى؛ فالمعنى: وإن تطع أكثر من في الأرض

- فيما هم عليه من خلافٍ للكتاب العزيز - يضلوك عن سبيل الله، والله أعلم.
قال السعدي في «تفسيره»:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ، محذراً عن طاعة أكثر الناس: ﴿وَأِنْ تَطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فإن أكثرهم قد انحرفوا في أديانهم، وأعمالهم، وعلومهم؛ فأديانهم فاسدة، وأعمالهم تبع لأهوائهم، وعلومهم ليس فيها تحقيق، ولا إيصال لسواء الطريق. بل غايتهم أنهم يتبعون الظن، الذي لا يغني من الحق شيئاً، ويتخرسون في القول على الله ما لا يعلمون. ومن كان بهذه المثابة، فحريٌّ أن يحذر الله منه عباده، ويصف لهم أحوالهم؛ لأن هذا - وإن كان خطاباً للنبي ﷺ؛ فإن أمته تبع له في سائر الأحكام، التي ليست من خصائصه. والله تعالى أصدق قِيلاً، وأصدق حديثاً، و﴿هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، وأعلم بمن يهتدي ويهدي.

فيجب عليكم - أيها المؤمنون - أن تتبعوا نصائحه وأوامره ونواهيه؛ لأنه أعلم بمصالحكم، وأرحم بكم من أنفسكم.

ودلت هذه الآية، على أنه لا يستدل على الحق، بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور، أن يكون غير حق. بل الواقع بخلاف ذلك، فإن أهل الحق هم الأقلون عدداً، الأعظمون - عند الله - قدراً وأجراً، بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل بالطرق الموصلة إليه.



س: اذكر بعض الأدلة على قلة أهل الإيمان، وأنهم دون المشركين في العدد؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبا: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأِنْ تَطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].
 وقوله تعالى: ﴿فَعِنْتُهُمْ تُمَتِّتُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].
 وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ٧١].
 وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩].
 وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: إن ربك - يا رسول الله - هو أعلم من يحميد عن طريق الحق والصواب بسبب ما يلقيه شياطين الإنس والجن من القول المزخرف المزيّن، وهو أعلم بمن سيسلمه الله ويحفظه من كيد الشياطين ومن وساوس الشياطين، وما يوحون من زخرف القول الذي يخادعون به الناس.
 قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، إن ربك الذي نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثان؛ لئلا يُضِلُّوك عن سبيله، هو أعلم منك ومن جميع خلقه أي خلقه يضل عن سبيله بزخرف القول الذي يوحى الشياطين بعضهم إلى بعض، فيصدّوا عن طاعته واتباع ما أمر به، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، يقول: وهو أعلم أيضًا منك ومنهم بمن كان على استقامة وسداد، لا يخفى عليه منهم أحد.
 يقول: واتبع - يا محمد - ما أمرتك به، وانه عما نهيتك عنه من طاعة من نهيتك عن طاعته، فإني أعلم بالهادي والمضل من خلقي، منك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: فكلوا - يا أهل الإيمان - الذبائح التي ذُبِحت وذكر اسم الله عليها عند الذبح، سواء كان الذابح مسلماً أو كتابياً ما دام قد سمي الله عز وجل عند الذبح إن كنتم مصدقين بما أنزلته على نبيِّ محمد ﷺ.

قال السعدي في تفسير هذه الآية الكريمة:

يأمر تعالى، عباده المؤمنين، بمقتضى الإيمان، وأنهم، إن كانوا مؤمنين، فليأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، من بهيمة الأنعام، وغيرها، من الحيوانات المحللة، ويعتقدوا حلها، ولا يفعلوا كما يفعله أهل الجاهلية، من تحريم كثير من الحلال، ابتداءً من عند أنفسهم، وإضلالاً من شياطينهم.

فذكر الله أن علامة المؤمن مخالفة أهل الجاهلية في هذه العادة الذميمة، المتضمنة لتغيير شرع الله، وأنه، أي شيء يمنعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه، وقد فصل الله لعباده ما حرم عليهم، وبينه ووضحه؟ فلم يبق فيه إشكال ولا شبهة، توجب أن يمتنع من أكل بعض الحلال، خوفاً من الوقوع في الحرام.

ودلت الآية الكريمة، على أن الأصل في الأشياء والأطعمة، الإباحة. وأنه، إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها، فإنه باقٍ على الإباحة. فما سكت الله عنه، فهو حلال؛ لأن الحرام قد فصله الله، فما لم يفصله الله، فليس بحرام.

ومع ذلك، فالحرام الذي قد فصله الله، وأوضحه، قد أباحه عند الضرورة، والمخمصة، كما قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].



س: ما الذي حُرِّم علينا مما فصله الله في كتابه؟

ج: قال بعض العلماء: ذلك هو المذكور في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدُّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إن الله حَرَّمَ كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير».

وفي السنة أيضًا تحريم الحُمُر الأهلية.

وقد قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ [الأعراف:

[١٥٧].

هذا، وقد تعقب الشنقيطي - رحمه الله تعالى - القول القائل بأن قوله تعالى:

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ﴾ مفسر بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ...﴾ [المائدة: ٣]

بدعوى أن الآية ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ...﴾: مكية، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ...﴾

[المائدة: ٣]: مدنية، فقال رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية. التحقيق أنه فصله لهم

بقوله: ﴿قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾

[الأنعام: ١٤٥]، ومعنى الآية: أي شيء يمنعكم أن تأكلوا ما ذكيتهم، وذكرتم عليه

اسم الله، والحال أن الله فصل لكم المحرم أكله عليكم في قوله: ﴿قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا

أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية، وليس هذا منه.

وما زعمه كثير من المفسرين من أنه فصله لهم بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

أَلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] الآية. فهو غلط؛ لأن قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ﴾

[المائدة: ٣] من سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل من القرآن بالمدينة، وقوله:

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ من سورة الأنعام، وهي مكية. فالحق هو ما

ذكرنا، والعلم عند الله تعالى.

قلت (مصطفى):

وما ذكره الشنقيطي - رحمه الله تعالى - فيه نظر، خاصة وأن ما خطأه الشنقيطي هو قول كثير من المفسرين، ووجه النظر فيما قاله الشنقيطي رحمه الله أن السورة، وقد تكون مكية - في الأغلب - ولا يمنع أن تتخللها بعض الآيات المدنية وهذا واردٌ بكثرة، فإذا كان ذلك كذلك فلا تثريب ولا تخطئة لأهل التفسير القائلين بما ذكرناه، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وما المانع لكم من الأكل مما ذكر اسم الله عليه.

وهناك وجه آخر حاصله: وما الفائدة العائدة عليكم من الامتناع من أكل ما ذكر اسم الله عليه عند الذبح.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وإن كثيرًا من الناس ليضلون غيرهم بغير علم، فيحرمون عليهم ما أحله الله لهم ويحلون لهم ما حرمه الله عليهم.
قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإن كثيرًا من الناس الذين يجادلونكم في أكل ما حرم الله عليكم، أيها المؤمنون بالله، من الميتة، ليضلون أتباعهم بأهوائهم من غير علم منهم بصحة ما يقولون، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون، إلا ركوبًا منهم لأهوائهم،

واتباعاً منهم لدواعي نفوسهم، اعتداءً وخلافاً لأمر الله ونهيه، وطاعة للشياطين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾، يقول: إن ربك - يا محمد - الذي أحل لك ما أحل وحرّم عليك ما حرّم، هو أعلم بمن اعتدى حدوده فتجاوزها إلى خلافها، وهو لهم بالمرصاد.

قال السعدي في «تفسيره»:

ثم حذر عن كثير من الناس، فقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ﴾ أي: بمجرد ما تهوى أنفسهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ولا حجة. فليحذر العبد من أمثال هؤلاء، وعلامتهم - كما وصفهم الله لعباده - أن دعوتهم، غير مبنية على برهان، ولا لهم حجة شرعية.

وإنما يوجد لهم شبه، بحسب أهوائهم الفاسدة، وآرائهم القاصرة. فهؤلاء معتدون على شرع الله، وعلى عباد الله، والله لا يحب المعتدين. بخلاف الهادين المهتدين، فإنهم يدعون إلى الحق والهدى، ويؤيدون دعوتهم بالحجج العقلية والنقلية، ولا يتبعون في دعوتهم إلا رضا ربهم، والقرب منه.



س: الأهواء كثيراً ما تُضِلُّ أهلها دَلِّلْ على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

[الأنعام: ١١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ

فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الحجرات: ٢٣].

وقال تعالى لنبيه داود عليه السلام: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].



س: ما المراد بالاعتداء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾؟
ج: المراد: الاعتداء على الشرع بتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، والله أعلم.

فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرَّم الله، وليس من حق أحد أن يشرع خلاف ما شرع الله وما جاء به رسوله ﷺ.



س: ما المراد بظاهر الإثم وباطنه؟

ج: ابتداء فظاهر الإثم هو المعاصي المعلن بها، وباطنه المعاصي في السر.
أي أن ظاهر الإثم وباطنه، علانية المعاصي وسرها، أما المعاصي المعلنه فهي عموم ما ظهر من المعاصي ويدخل فيها الكبائر وغيرها، ومنها نكاح أزواج الآباء؛ فقد كانوا يصنعون ذلك، ومن ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢].

ومن ظاهر الإثم أيضًا الزنا بالنسوة اللواتي يجاهرن بالزنا، ويضعن الرايات على بيوتهن إشعارًا بأنهن يفعلن ذلك.
* ومنها الجمع بين الأختين في الزواج.
* ومنها التعري والتجرد من الثياب.
* ومنها أكل ما حرَّم الله من الأطعمة: كالميتة، والدم، ولحم الخنزير، وغير ذلك جهراً.

وعموماً فالمراد اقتراف المعاصي والذنوب جهراً.

أما باطن الإثم فمنه الزنا واتخاذ العشيقات وأكل الأطعمة التي حرمها الله سرّاً، وكذا كل معصية أسرّها الشخص وأخفاها.

والآية كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، والله تعالى أعلم.

وقال الطبري - رحمه الله تعالى -: بعد أن أورد صوراً لما ظهر من الإثم وما بطن:

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله - تعالى ذكره - تقدم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه، وذلك سره وعلايته.

و«الإثم» كل ما عصي الله به من محارمه، وقد يدخل في ذلك سرُّ الزنا وعلايته، ومعاهرة أهل الرايات وأولات الأخدان منهن، ونكاح حلالل الآباء والأمهات والبنات، والطواف بالبيت عرياناً، وكل معصية لله ظهرت أو بطن.

وإذ كان ذلك كذلك، وكان جميع ذلك «إثمًا»، وكان الله عمّ بقوله: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾، جميع ما ظهر من الإثم وجميع ما بطن، لم يكن لأحد أن يخص من ذلك شيئاً دون شيء، إلا بحجة للعدر قاطعة.

غير أنه لو جاز أن يوجه ذلك إلى الخصوص بغير برهان، كان توجيهه إلى أنه عني بظاهر الإثم وباطنه في هذا الموضع، ما حرم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم، وما بين الله تحريمه في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، إلى آخر الآية أولى؛ إذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى، وهذه في سياقها. ولكنه غير مستنكر أن يكون عني بها ذلك، وأدخل فيها الأمر باجتناب كل ما جانسه من معاصي الله، فخرج الأمر عامّاً بالنهي عن كل ما ظهر أو بطن

من الإثم.

وقال السعدي في «تفسيره»:

المراد بالإثم: جميع المعاصي، التي تؤثم العبد، أي: توقعه في الإثم، والحرَج من الأشياء المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده. فمنهى الله عباده عن إقرار الإثم الظاهر والباطن.

أي: السر والعلانية، المتعلقة بالبدن والجوارح، والمتعلقة بالقلب. ولا يتم للعبد ترك المعاصي الظاهرة والباطنة، إلا بعد معرفتها، والبحث عنها. فيكون البحث عنها، ومعرفة معاصي القلب، والبدن، والعلم بذلك، واجباً متعيناً على المكلف.

وكثير من الناس يخفى عليه كثير من المعاصي، خصوصاً معاصي القلب: كالكبر، والعجب، والرياء، ونحو ذلك. حتى إنه يكون به كثير منها، وهو لا يحس به ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم، وعدم البصيرة. ثم أخبر تعالى أن الذين يكسبون الإثم الظاهر والباطن، سيجزون على حسب كسبهم، وعلى قدر ذنوبهم، قلَّتْ أو كثرت. وهذا الجزاء يكون في الآخرة. وقد يكون في الدنيا يعاقب العبد، فيخفف عنه بذلك من سيئاته.



س: ما حكم اللحوم المستوردة؟

ج: اللحوم المستوردة ينبي الحكم عليها من عدة جوانب:

أولاً: مكان الاستيراد:

فإذا كانت مستوردة من دول مسلمة أو من دول كتابية، فالأصل في ذلك الحِلُّ لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

وإن كانت مستوردة من دول ملحدة أو مشركة؛ فالأصل أن ذبائحهم لا تؤكل.

ثانيًا: طريقة التذكية: فإن كانت ذُكيت التذكية الشرعية فهي حلال، وإن كانت لم تُذكَ التذكية الشرعية فهي حرام .

فإذا علمنا يقينًا أنها ذكيت تذكية شرعية حلَّ أكلها، وإن كانت واردة من دول ملحدة ما دام اسم الله قد ذكر عليها.



س: قوله تعالى: ﴿وَلَئِنَّهُمْ لَافْسُقٌ﴾ عائذٌ على ماذا؟

ج: ذلك عائذٌ على الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه.



س: ما المراد بالشياطين في قوله تعالى: ﴿وَلِإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ...﴾

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالشياطين: هنا شياطين الإنس، كالمجوس الذين يرون جواز أكل الميتة، وكذا اليهود الذين يفسدون على الناس دينهم، علمٌ هؤلاء وأولئك أهل الشرك من مشركي قريش وغيرهم.

وقال آخرون: إن المراد بذلك شياطين الجن الذين يقذفون في صدور أهل الشرك صور الباطل وأساليب الكلام التي يجادلون بها أهل الشرك، والظاهر من ذلك أن المراد: كل شيطان إنسيًّا كان أو جنِّيًّا .

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين في تحريمهم أكل الميتة، بما ذكرنا من جدالهم إياهم، وجائز أن يكون الموحدون كانوا شياطين الإنس يوحون إلى أوليائهم منهم، وجائز أن

يكونوا شياطين الجن أوحوا إلى أوليائهم من الإنس، وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاوناً على ذلك، كما أخبر الله عنهما في الآية الأخرى التي يقول فيها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] بل ذلك الأغلب من تأويله عندي؛ لأن الله أخبر نبيه أنه جعل له أعداء من شياطين الجن والإنس، كما جعل لأتبيائه من قبله، يوحى بعضهم إلى بعض المزين من الأقوال الباطلة، ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرم الله من الميتة عليهم.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وإن الشياطين ليزينون لأتباعهم من أهل الكفر القول الباطل المزخرف؛ كي يجادلوا أهل الإيمان، ومن صور هذا الجدل قولهم في شأن تحريم أكل الميتة، كيف تأكلون يا أهل الإسلام ما ذبحتموه بأيديكم وتُحرموا ما ذبحه الله وهي الميتة؟!

أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال:

قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الآية، يعني: عدو الله إبليس أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة؛ فقال لهم: خاصموا أصحاب محمد في الميتة فقولوا: «أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون، وأما ما قتل الله فلا تأكلون، وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمر الله!» فأنزل الله على نبيه: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث: أن يدعو مع الله إلهًا آخر، أو يسجد لغير الله، أو يسمي الذبائح لغير الله.



س: ما حكم من أكل الميتة غير مُستحلٍّ لأكلها؟

ج: أكل الميتة والحالة هذه مرتكبٌ لكبيرة من الكبائر، إلا إذا كان مضطراً، فقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ...﴾ [البقرة: ١٧٣].



س: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ أطاعوهم في ماذا؟

ج: قيل: أطاعوهم فيما يدعون إليه من الشرك بالله.

وقيل: أطاعوهم في استحلال ما حَرَّمَ الله؛ فإن أكلوا الميتة مستحلين أكلها؛ فقد صاروا مثلهم مشركين، وإلى هذا الأخير ذهب الطبري - رحمه الله تعالى -؛ إذ قال:

وأما قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، يعني: إنكم إذا مثلهم؛ إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالاً فإذا أنتم أكلتموها كذلك؛ فقد صرتم مثلهم مشركين.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ أي: في تحليل الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ فدلَّت الآية على أن من استحلَّ شيئاً مما حَرَّمَ الله تعالى صار به مشركاً. وقد حَرَّمَ الله سبحانه الميتة نصّاً؛ فإذا قَبِلَ تحليلها من غيره فقد أشرك.

قال ابن العربي: إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركاً، إذا أطاعه في الاعتقاد؛ فأما إذا أطاعه في الفعل وعقده سليم مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاصٍ؛ فافهموه. وقد مضى في «المائدة».

وقال السعدي في «تفسيره»:

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في شركهم، وتحليلهم الحرام، وتحريمهم الحلال ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾؛ لأنكم اتخذتموهم أولياء من دون الله، ووافقتموهم على ما به فارقوا

المسلمين، فلذلك كان طريقكم طريقهم.

ودلت هذه الآية الكريمة على أن ما يقع في القلوب، من الإلهامات، والكشوف، التي يكثر وقوعها عند الصوفية ونحوهم، لا تدل - بمجرد ما على أنها حق، ولا تصدق حتى تعرض على كتاب الله وسنة رسوله. فإن شهدا لها بالقبول، قُبِلت، وإن ناقضتهما، رُدت، وإن لم يعلم شيء من ذلك، توقف فيها، ولم تصدق، ولم تكذب؛ لأن الوحي والإلهام، يكون من الشيطان، فلا بد من التمييز بينهما.

والفرقان وبعدم التفريق بين الأمرين، حصل من الغلط والضلال، ما لا يحصيه إلا الله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أو من كان كافرًا غارقًا في العمى والجهالة والظلمة والضلالة، فأحياه الله بالإيمان ورزقه الله الهداية والإسلام، وأنزل له كتابًا يستنير به ويستضيء، كمن هو غارق في الضلالة متباد في الغواية، لا يستبصر ولا يلتمس هداية، فهو في ظلمات الكفر يتردى ظلمة إلى ظلمة؟!!

وقيل في المعنى أيضًا: أطيعه من كان كافرًا فهده الله للإيمان وبصره الله بالقرآن أولى، أم طاعة من لا زال في الضلالة غارقًا وفي الجهالة متحيرًا؟

وفي معناها قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَن يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]، والله أعلم.

وقال أبو المظفر السمعاني في «تفسيره»:

وفي الآية قول آخر: أن معناه: أو من كان ميتًا بالجهل؛ فأحييناه بالعلم، وكل جاهل ميت، وكل عالم حي، قال الشاعر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور

وإن امرأ لم يحيَ بالعلم ميت وليس له قبل النشور نشور

قال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ﴾ من قبل هداية الله له ﴿مَيِّتًا﴾ في ظلمات الكفر، والجهل، والمعاصي.

﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بنور العلم والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس في النور، متبصرًا في أموره، مهتديًا لسبيله، عارفًا للخير، مؤثرًا له، مجتهدًا في تنفيذه في نفسه وغيره، عارفًا بالشر، مبغضًا له، مجتهدًا في تركه، وإزالته عن نفسه وعن غيره. فيستوي هذا بمن هو في الظلمات، ظلمات الجهل والغبي، والكفر والمعاصي. ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ قد التبست عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك، فحضره الهم والغم والحزن والشقاء.

ففيه - تعالى - العقول بما تدركه وتعرفه، أنه لا يستوي هذا ولا هذا كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، والأحياء والأموات.

فكانه قيل: فكيف يؤثر من له أدنى مسكة من عقل، أن يكون بهذه الحالة، وأن يبقى في الظلمات متحيرًا:

فأجاب بأنه: ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فلم يزل الشيطان يحسن لهم أعمالهم، ويزينها في قلوبهم، حتى استحسناها، ورأوها حقًا. وصار ذلك عقيدة في قلوبهم، وصفة راسخة ملازمة لهم.

فلذلك رضوا بما هم عليه من الشر والقبائح.
وهؤلاء الذين في الظلمات يعمهون، وفي باطلهم يترددون، غير متساوين.
فمنهم: القادة، والرؤساء، والمتبوعون، ومنهم: التابعون والمرءوسون.
والأولون منهم: الذين فازوا بأشقى الأحوال.



س: من الذي زين للكافرين عملهم؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن الذي زين لهم ذلك هو الله، كما قال تعالى:
﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

بينما ذهب قليل من أهل العلم إلى أن الذي زين لهم ذلك هو الشيطان،
واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا
يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤] ولا تعارض؛ فالشيطان سبب في التزيين، وإنما جرى منه ما
جرى، بإذن الله عز وجل، وتقديره سبحانه وتعالى، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُفْرَيْنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾؟

ج: المعنى: وكما زينا للكفار أكل الميتة، وأكل ما لم يذكر اسم الله عليه، زينا
لهم أيضًا كل أعمال السوء التي يعملونها.
قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم - أيها المؤمنون بالله
ورسوله - في أكل ما حرمت عليكم من المطاعم، عن الحق، فزينت له سوء عمله
فرآه حسنًا؛ ليستحق به ما أعددت له من أليم العقاب، كذلك زينت لغيره ممن

كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته، ما كانوا يعملون من معاصي الله؛ ليستوجبوا بذلك من فعلهم، ما لهم عند ربهم من النكال.



س: الله عز وجل هو الذي زين الإيمان للمؤمنين، وزين الكفر للكافرين، دلل على ذلك، مع ذكر أقوال العلماء في ذلك إن أمكن؟
ج: من الأدلة على ما ذكر ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].
وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال الطبري رحمه الله:

وفي هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فَوَّضَ الأمور إلى خلقه في أفعالهم، فلا صنع له في أفعالهم، وأنه قد سَوَّى بين جميعهم في الأسباب التي بها يصلون إلى الطاعة والمعصية.

لأن ذلك لو كان كما قالوا، لكان قد زينَ لَأَنْبِيَاءِهِ وَأَوْلِيَاءِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ، نظير ما زين من ذلك لِأَعْدَائِهِ وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وزين لأهل الكفر به من الإِيْمَانِ بِهِ، نظير الذي زين منه لَأَنْبِيَاءِهِ وَأَوْلِيَاءِهِ.

وفي إخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله، ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان، وخصَّ أَعْدَاءَهُ وَأَهْلَ الْكُفْرِ، بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان، وكرَّهَ إِلَيْهِمُ الْإِيْمَانِ بِهِ والطاعة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَلِيَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وكما زينا للكافرين أعمالهم جعلنا أيضاً في كل قرية من القرى الأكابر الذي هم فيها أهل إجرام، يمكروا فيها للصد عن سبيل الله وذلك تارة بزخرف من القول وخداع وتمويه، وتارة أخرى بالتدبير لقتل الأنبياء وأهل الصلاح، وثالثة بالمجادلة بالباطل والمحاججة بالمنكر.

ثم إن عائدة هذا المكر إنما هي عليهم بالشر والعذاب؛ فالمكر السيئ لا يحيق إلا بأهله.

هذا، ويحتمل أن يكون في الآية الكريمة وجه آخر، خاصة في صدرها فيكون المعنى، وكما جعلنا الكبراء في قريتك يا رسول الله هم المجرمون: كأبي جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة وغيرهم، فهكذا في كل قرية الكبراء بها هم المجرمون... فلا تأس ولا تحزن ولا تتأسف.

قال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه: وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون، كذلك جعلنا بكل قرية عظماء مجرميها، يعني: أهل الشرك بالله والمعصية له، ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾، بغرور من القول أو بباطل من الفعل، بدين الله وأنبيائه، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ﴾، أي: ما يحيق مكرهم ذلك إلا بأنفسهم؛ لأن الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدهم عن سبيله، وهم لا يشعرون، يقول: لا يدرون ما قد أعد الله لهم من أليم عذابه، فهم في غيهم وعتوهم على الله يتمادون.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

والمراد بالمكر ها هنا: دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف من المقال والفعال، كما قال

تعالى إخباراً عن قوم نوح: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣١) ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ ثَجْرَمِينَ﴾ (٣٢) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبا: ٣١-٣٣].

ثم قال أيضًا:

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وما يعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم من أضلوه إلا على أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، وقال: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلْسَاءٌ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرَ مُجْرِمِهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ الآية.

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه جعل في كل قرية أكابر المجرمين منها ليملكروا فيها، ولم يبين المراد بالأكابر هنا، ولا كيفية مكرهم، وبين جميع ذلك في مواضع أخرى: فبيّن أن مجرميها الأكابر هم أهل الترف، والنعمة في الدنيا، بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبا: ٣٤]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ونحو ذلك من الآيات وبيّن أن مكر

الأكابر المذكور: هو أمرهم بالكفر بالله تعالى، وجعل الأنداد له بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ [سبأ: ٣٣]، وقوله: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ (٢٢) وقالوا لَا نَذُرُ الْهَنَكَ﴾ [نوح: ٢٢، ٢٣].

وأظهر أوجه الإعراب المذكورة في الآية عندي اثنان:

أحدهما: أن «أكابر» مضاف إلى مجرميها، وهو المفعول الأول لجعل «التي» بمعنى: «صير»، والمفعول الثاني: هو الجار والمجرور، أعني: في كل قرية.
والثاني: أن مجرميها مفعول أول، و«أكابر» مفعول ثان، أي: جعلنا مجرميها أكابرها، والأكابر: جمع الأكبر.

وقال صديق حسن خان في تفسيره «فتح البيان في مقاصد القرآن»:

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجعل بمكة ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا﴾
الأكابر: جمع أكبر، قيل: هم الرؤساء والعظماء، وخصهم بالذكر؛ لأنهم أقدر على الفساد والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم، وإنما حصل ذلك لأجل رياستهم، وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءها، وجعل فسادها أكابر ﴿مُجْرِمِيهَا﴾. قال الواحدي: في الآية تقديم وتأخير، أي: مجرميها أكابر، وإنما جعل المجرمين أكابر؛ لأن ما فيهم من السعة أدعى لهم إلى المكر والكفر.

﴿لِيَمَكُرُوا فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان، واللام على ظاهرها أو للعاقبة أو للعلة مجازًا، قال أبو عبيدة: المكر الخديعة والغدر والحيلة والفجور، وزاد بعضهم الغيبة والنميمة والأيمان الكاذبة وترويج الباطل.

قال ابن عباس:

ليقولوا فيها الكذب، عن عكرمة قال: نزلت في المستهزئين، وقيل: المعنى ليتجبروا على الناس فيها، ويعملوا بالمعاصي، دليله ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ المكر: الحيلة في مخالفة الاستقامة وأصله الفتل، فالماكر يفتل عن الاستقامة، أي: يصرف عنها، أي: ما يحقق هذا المكر إلا بهم؛ لأن وبال مكرهم عائد عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك لفرط جهلهم.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا﴾ أي: الرؤساء الذين قد كبر جرمهم، واشتد طغيانهم ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ بالخدعة والدعوة إلى سبيل الشيطان، ومحاربة الرسل وأتباعهم، بالقول والفعل.

وإنما مكرهم وكيدهم، يعود على أنفسهم؛ لأنهم يمكرون، ويمكر الله، والله خير الماكرين.

وكذلك يجعل الله كبار أئمة الهدى وأفاضلهم، يناضلون هؤلاء المجرمين، ويردون عليهم أقوالهم ويجاهدونهم في سبيل الله، ويسلكون بذلك السبل الموصلة إلى ذلك، ويعينهم الله، ويسدد رأيهم، ويثبت أقدامهم، ويداول الأيام بينهم وبين أعدائهم، حتى يدول الأمر في عاقبته، بنصرهم وظهورهم، والعاقبة للمتقين.

وإنما ثبت أكابر المجرمين على باطلهم، وقاموا برد الحق الذي جاءت به الرسل، حسداً منهم وبغياً.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى الأكابر؟

ج: قال الطبري - رحمه الله تعالى - في إيضاح ذلك:

و«الأكابر» جمع «أكبر»، كما «الأفاضل» جمع «أفضل».

ولو قيل: هو جمع «كبير»، فجمع «أكابر»؛ لأنه قد يقال: «أكبر»، كما قيل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣]، واحدهم «الخاسر»، لكان صوابًا.

وحكي عن العرب سماعًا «الأكابرة»، و«الأصاغرة»، و«الأكابر»، و«الأصاغر»، بغير الهاء، على نية النعت، كما يقال: «هو أفضل منك». وكذلك تفعل العرب بما جاء من النعوت على «أفعل»، إذا أخرجوها إلى الأسماء، مثل جمعهم «الأحمر»، و«الأسود»، «الأحمر» و«الأحامرة»، و«الأساود» و«الأساودة»، ومنه قول الشاعر:

إِنَّ الْأَحَامِرَةَ الثَّلَاثَةَ أَهْلَكَتْ مَالِي، وَكُنْتُ بَيْنَ قَدَمَا مُوَلَعَا
الْخَمْرُ، وَاللَّحْمُ السَّمِينُ إِدَامُهُ وَالزَّعْفَرَانُ، فَلَنْ أَرْوَحَ مُبَقَّعَا



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى

مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ؟﴾

ج: ذلك - والله أعلم - يحتمل وجوها:

أحدها: وإذا نزلت عليك آية من كتاب الله عز وجل، كتلك الآيات التي فيها تحليلٌ لأموالٍ وتحريمٌ لأموالٍ أخرى، أو كتلك التي فيها الدلالات على وحدانية الله عز وجل أبى المشركون أن يؤمنوا، وقالوا: لن نؤمن حتى تأتينا بمعجزة، كما أتى رسل الله السابقون أقوامهم بمعجزات، كتلك العصا التي أوتاهها موسى عليه

السلام، أو إحياء الموتى الذي أوتاه عيسى عليه السلام، أو الناقة العظيمة الهائلة التي أوتاه صالح عليه السلام، أو تسخير الرياح كما سُخِّرَتْ لسليمان عليه السلام، وغير ذلك، ويشهد لهذا المعنى قولهم: ﴿فَلْيَأْنِئْنَا بِتَايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥].

المعنى الثاني: وإذا أيدناك بمعجزة كما طلب هؤلاء، كفروا أيضًا واستمروا في كفرهم قائلين: كُلُّ منا يريد معجزة خاصة به، فكل منهم يريد أن يؤتى - لشخصه هو - معجزة كالتي أوتاه رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً﴾ [المدثر: ٥٢] أي: أن كلاً منهم يريد أن يوحى إليه هو نفسه، فقال تعالى: ما حاصله ليس لكم ذلك، ليس لكم أن تكونوا رسلًا، وليس لكم أن تأتيكم المعجزات وفق ما أردتم، فالله أعلم حيث يجعل رسالته، وهو الذي يصطفي من الناس من يشاء؛ كي يكون رسولاً.

أما الطبري رحمه الله فقال:

يقول تعالى ذكره: وإذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرم الله عليهم، ليصدوا عن سبيل الله، ﴿ءَايَةً﴾، يعني: حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد ﷺ من عند الله وحقيقته، قالوا لنبي الله ﷺ وأصحابه: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ﴾.

يقول: يقولون: لن نصدق بما دعانا إليه محمد ﷺ من الإيمان به، وبما جاء به من تحريم ما ذكر أن الله حرّمه علينا، ﴿حَقًّا نُّؤْتِي﴾، يعنون: حتى يعطيهم الله من المعجزات، مثل الذي أعطى موسى من فلق البحر، وعيسى من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.

يقول تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، يعني بذلك جل ثناؤه: إِنَّ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ لَن يُعْطَاهَا مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا رَسُولٌ مُرْسَلٌ، وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم فيعطوها.

يقول جل ثناؤه: فَأَنَا أَعْلَمُ بِمَوَاضِعِ رِسَالَتِي، ومن هو لها أهل، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك علي أنتم؛ لأن تخيير الرسول إلى المرسل دون المرسل إليه، والله أعلم إذا أرسل رسالة بموضع رسالاته.

قال ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ أي: إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ أي: حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي إلى الرسل، كقوله جل وعلا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١].

وقال صديق حسن خان «في فتح البيان»:

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ من الآيات أي حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد ﷺ، والمعنى: إذا جاءت الأكابر آية ﴿قَالُوا﴾ هذه المقالة: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ وإنما قالوها حسداً منهم للنبي ﷺ، وقيل: المعنى: إذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد ﷺ قالوا: لن نصدقك حتى يأتينا جبريل ونخبرنا بصدقك، يريدون أنهم لا يؤمنون حتى يكونوا أنبياء متبوعين لا تابعين.

وهذا نوع عجيب من جهالاتهم الغربية وعجرفتهم العجيبة ونظيره: ﴿يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢].

قال بعضهم: يسن الوقف هنا ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلالتين.

قلت: لعل هذا من التجارب دون المأثورات.

فأجاب الله عنهم بقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ أي: أن الله أعلم بمن يستحق أن يجعله رسولاً ويكون موضعاً لها وأميناً عليها، وقد اختار أن يجعلها في محمد ﷺ صفيه وحبيبه، فدعوا طلب ما ليس من شأنكم.

عن ابن جريج قال: قالوا لمحمد ﷺ حين دعاهم إلى ما دعاهم إليه من الحق: لو كان هذا حقاً لكان فينا من هو أحق أن يؤتى به من محمد، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

ثم توعدهم بقوله: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾ أي: ذل وهوان.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في معناها:

وقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ أي: هو أعلم حيث يضع رسالته، ومن يصلح لها من خلقه، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) أَهْمَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢]، يعنون: لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل مبجل في أعينهم ﴿مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ أي: من مكة والطائف، وذلك أنهم - قبحهم الله - كانوا يزدرون بالرسول صلوات الله وسلامه عليه بغياً وحسداً، وعناداً واستكباراً، كقوله تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَلَا هَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَلَا هَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿[الأنبياء: ٤١].

هذا وهم معترفون بفضله وشرفه ونسبه، وطهارة بيته ومرباه، ومنشئه - صلى الله وملائكته والمؤمنون عليه - حتى أنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى إليه: «الأمين»، وقد اعترف بذلك رئيس الكفار أبو سفيان، حين سأله هرقل ملك الروم: كيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب.

قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا، الحديث بطوله الذي استدل به ملك الروم بطهارة صفاته عليه السلام على صدق نبوته، وصحة ما جاء به^(١). وأورد حديث:

وائلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»^(٢). وقال السعدي رحمه الله في قولهم:

﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِيَ مَثَلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ من النبوة والرسالة.

وفي هذا اعتراض منهم على الله، وعجب بأنفسهم، وتكبر على الحق الذي أنزله على أيدي رسله، وتحجر على فضل الله وإحسانه. فرد الله عليهم اعتراضهم الفاسد، وأخبر أنهم لا يصلحون للخير، ولا فيهم ما

(١) البخاري (٧).

(٢) مسلم (٢٢٧٦).

يوجب أن يكونوا من عباد الله الصالحين، فضلاً أن يكونوا من النبيين والمرسلين:

فقال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ فيمن علمه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرئ من كل خلق دنيء، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلاً وتبعاً.

ومن لم يكن كذلك، لم يضع أفضل مواهبه، عند من لا يستأهله، ولا يزكو عنده. وفي هذه الآية، دليل على كمال حكمة الله تعالى؛ لأنه، وإن كان تعالى رحيماً، واسع الجود، كثير الإحسان، فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - سيحلُّ هؤلاء المجرمين الذي اجترموا الشرك واجترموا السيئات ذلٌّ وهوان من الله عزَّ وجلَّ وسيحلُّ بهم مع الذلِّ والهوان عذاب شديد بما كانوا يكيدون للإسلام وأهله، وبسبب جداهم بالباطل وزخرفة القول؛ لخداع أهل الإيمان وأهل الطاعات.

قال الطبري رحمه الله:

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مُعلمه ما هو صانع هؤلاء المتمردين عليه: ﴿سَيُصِيبُ﴾ يا محمد، الذين اكتسبوا الإثم بشركهم بالله وعبادتهم غيره، ﴿صَغَارٌ﴾، يعني: ذلة وهوان.

ثم قال:

وأما قوله: ﴿صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾، فإن معناه: سيصيبهم صغارٌ من عند الله، كقول القائل: «سيأتيني رزقي عند الله»، بمعنى: من عند الله، يراد بذلك: سيأتيني

الذي لي عند الله.

وغير جائز لمن قال: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أن يقول: «جئت عند عبد الله»، بمعنى: جئت من عند عبد الله؛ لأن معنى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾، سيصيبهم الذي عند الله من الذل، بتكذيبهم رسوله. فليس ذلك بنظير: «جئت من عند عبد الله».

وقوله: ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾، يقول: يصيب هؤلاء المكذبين بالله ورسوله، المستحلين ما حرم الله عليهم من الميتة، مع الصغار عذابٌ شديد، بما كانوا يكيدون للإسلام وأهله بالجدال بالباطل، والزخرف من القول، غرورا لأهل دين الله وطاعته.

هذا وعيد شديد من الله، وتهديد أكيد لمن تكبر عن اتباع رسله، والانقياد لهم فيما جاءوا به، فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله. صغار وهو الذلة الدائمة، كما أنهم استكبروا أعقبهم ذلك ذلًا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦] أي: صاغرين ذليلين حقيرين.

وقوله تعالى: ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ لما كان المكر غالبًا إنما يكون خفيًا، وهو التلطف في التحيل والخديعة، قوبلوا بالعذاب الشديد من الله يوم القيامة جزاءً وفاً ﴿وَلَا يظَلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] أي: تظهر المستترات والمكنونات والضمائر، وجاء في «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان»^(١).

(١) البخاري (٦١٧٨)، ومسلم (١٧٣٥)، وله عدة طرق عن النبي ﷺ، وكذلك انظر: مسلم (حديث ١٧٣٨).

والحكمة في هذا: أنه لما كان الغدر خفيًا لا يطلع عليه الناس، فيوم القيامة يصير علمًا منشورًا على صاحبه بما فعل.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن من أراد الله أن يوفقه للإسلام والطاعة شرح صدره لقبول الإسلام، أي: جعل صدره فسيحًا رحبًا واسعًا قابلاً لكل ما يلقي إليه من التوحيد والشهادة للرسول ﷺ بالرسالة، بل يجعله قابلاً لكل تعاليم هذا الدين دين الإسلام، فرحاً بذلك مسروراً راضياً مستنيراً بتعاليمه شاكرًا الله على نعمته عليه بذلك (١).

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فمن يرد الله أن يهديه للإيمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه، فيوفقه له، ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، يقول: فَسَحَّ صدره لذلك وهوَّنه عليه، وسهَّله له، بلطفه ومعونته، حتى يستنير الإسلام في قلبه، فيضيء له، ويتسع له صدره بالقبول.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ أي: ييسره له وينشطه ويسهله لذلك، فهذه علامة على الخير، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ

(١) وقد قدمت شيئاً من ذلك في تفسير سورة الانشراح ترجع إليه إن شئت.

إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ [الحجرات: ٧].

قال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى - مبيناً لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله -: إن من انشراح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذاً به - غير مستثقل - فإن هذا، علامة، على أن الله قد هداه، ومنّ عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: ومن يريد الله أن يصرفه عن الهداية يضيق صدره أمامها، فلا تجد الهداية مدخلاً تدخل منه إلى قلبه، فكلما سمع شيئاً من تعاليم الإسلام لا يجد في صدره مكاناً لقبوله، فيرد تعاليم هذا الدين ويرفض شرائعه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى، يشغله بكفره وصدّه عن سبيله، ويجعل صدره بخذلاً له وغلبة الكفر عليه، حرجاً.

و«الحرج»، أشد الضيق، وهو الذي لا ينفذه، من شدة ضيقه، وهو ههنا الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة، ولا يدخله نور الإيمان، لرين الشرك عليه. وأصله من «الحرج»، و«الحرج» جمع «حَرْجَة»، وهي الشجرة الملتف بها الأشجار، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها.

ثم ذكر الطبري - رحمه الله تعالى - كلاماً جديرًا بالنقل فقال:

وفي هذه الآية أبين البيان لمن وفق لفهمها، عن أن السبب الذي به يوصل

إلى الإيمان والطاعة، غير السبب الذي به يوصل إلى الكفر والمعصية، وأن كلا السببين من عند الله.

وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن نفسه أنه يشرح صدر من أراد هدايته للإسلام، ويجعل صدر من أراد إضلاله ضيقاً عن الإسلام حرجاً كأنها يصعد في السماء.

ومعلوم أن شرح الصدر للإيمان خلاف تضيقه له، وأنه لو كان يوصل بتضييق الصدر عن الإيمان إليه، لم يكن بين تضيقه عنه وبين شرحه له فرق، ولكان مَنْ ضُيق صدره عن الإيمان، قد شرح صدره له، ومن شرح صدره له، فقد ضُيق عنه؛ إذ كان موصولاً بكل واحد منهما - أعني من التضييق والشرح - إلى ما يوصل به إلى الآخر. ولو كان ذلك كذلك، وجب أن يكون الله قد كان شرح صدر أبي جهل للإيمان به، وضيق صدر رسول الله ﷺ عنه.

وهذا القول من أعظم الكفر بالله. وفي فساد ذلك أن يكون كذلك، الدليل الواضح على أن السبب الذي به آمن المؤمنون بالله ورسله، وأطاعه المطيعون، غير السبب الذي كفر به الكافرون بالله وعصاه العاصون، وأن كلا السببين من عند الله ويده؛ لأنه أخبر جل ثناؤه أنه هو الذي يشرح صدر هذا المؤمن به للإيمان إذا أراد هدايته، ويضيق صدر هذا الكافر عنه إذا أراد ضلاله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الله عز وجل يجعل صدر الكافر ضيقاً ضيقاً شديداً فلا يصل إليه الإيمان، كالذي يريد الصعود إلى السماء ولكن لا

يستطيع ذلك لشدة ذلك عليه.

قال الطبري رحمه الله:

وهذا مثل من الله تعالى ذكره، ضربه لقلب هذا الكافر في شدة تضيقه إياه عن وصوله إليه، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه؛ لأن ذلك ليس في وسعه.

قال السعدي رحمه الله:

وإن علامة من يرد الله أن يضله، أن يجعل صدره ضيقاً حرجاً. أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين.

قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، ولا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته، يكاد يصعد في السماء، أي: كأنه يكلف الصعود إلى السماء، الذي لا حيلة فيه.

وهذا سببه، وعدم إيمانهم، فهو الذي أوجب أن يجعل الله الرجس عليهم؛ لأنهم سدوا على أنفسهم باب الرحمة والإحسان.

وهذا ميزان لا يعول، وطريق لا يتغير. فإن من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، ييسره الله ليسرى. ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسييسره للعسرى.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: وكما أننا جعلنا صدور الكفار ضيقة حرجة فلا تقبل إيماناً، فكذلك يجعل الله العذاب على أهل الكفر والتكذيب وأيضاً يسلط الله عليهم الشيطان.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقاً حرجاً، كأنها

يصعد في السماء من ضيقه عن الإيمان فيجزيه بذلك، كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الإيمان بالله ورسوله، فيغويه ويصدّه عن سبيل الحق.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾؟

ج: معناه - والله أعلم -: وهذا الإسلام الذي بيناه لك في هذه السورة وغيرها، هو الطريق الذي ارتضاه الله لك؛ فالدين عند الله هو الإسلام، وكذا فهذا هو الطريق الموصل إلى مرضاة ربك عز وجل.

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي بينا لك، يا محمد، في هذه السورة وغيرها من سور القرآن، هو صراط ربك.

يقول: طريق ربك، ودينه الذي ارتضاه لنفسه دينًا، وجعله مستقيمًا لا اعوجاج فيه، فاثبت عليه، وحرّم ما حرّمته عليك، وأحل ما أحلته لك، فقد بينا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته ﴿لَقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ يقول: لمن يتذكر ما احتجّ الله به عليه من الآيات والعبر فيعتبر بها.

وخص بها (الذين يتذكرون)؛ لأنهم هم أهل التمييز والفهم، وأولو الحجى والفضل.

قال السعدي رحمه الله:

أي: معتدلًا، موصلًا إلى الله، وإلى دار كرامته، قد بينت أحكامه، وفصلت شرائعه، وميز الخير من الشر.

ولكن هذا التفصيل والبيان، ليس لكل أحد، إنما هو ﴿لَقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾: فإنهم الذين علموا، فانتفعوا بعلمهم، وأعد لهم الجزاء الجزيل والأجر الجميل.



﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٧) وَيَوْمَ
 يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ
 مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ
 النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾
 وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنِّ
 وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَرِّوْنَكُمْ
 لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ
 الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا
 رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ
 يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا
 أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ
 لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي
 عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ
 نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ
 لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ

إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
 زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ
 شُرَكَاءُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
 فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ
 حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَّشَاءَ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا
 وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا
 كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ
 خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّتَةً فَهُمْ
 فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ
 خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ
 افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ [الأنعام: ١٢٧ -

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ - وَلِيَّهُمْ - يَحْشُرُهُمْ - اسْتَكَثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ - أَوْلِيَائُهُمْ - مَثَوْنَكُمْ -
 نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا - مِّنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمٌ آخَرِينَ - بِمُعْجِزِينَ - عَلَى مَكَانَتِكُمْ -
 عَقِبَهُ الدَّارِ - لَا يُفْلِحُ - ذَرَأَ - نَصِيًّا - سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ - لِيُزْذَوْهُمْ -
 وَلِيَكْسِبُوا - حِجْرًا - يَفْتَرُونَ - خَالِصَةً لِّلْذُكُورِنَا - وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا -
 وَصَفَّهُمْ - سَفَهًا - أَفَرَأَى؟

ج:

الكلمة	المعنى
﴿دَارُ السَّلَامِ﴾	الجنة - دار الأمان (السالة من الآفات) - جنة الله.
﴿وَلِيَّهُمْ﴾	ناصرهم.
﴿يَحْشُرُهُمْ﴾	يجمعهم.
﴿اسْتَكَثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾	أكثرتم من إغواء بني آدم - أضللتكم كثيرًا من بني آدم.
﴿أَوْلِيَائُهُمْ﴾	أنصارهم - أصدقاؤهم.
﴿مَثَوْنَكُمْ﴾	مكانكم الذي تقيمون فيه.
﴿نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾	نجعلهم أولياء لبعضهم البعض وأنصارًا لبعضهم البعض فيما هم عليه من الباطل - نتبع بعضهم بعضًا في جهنم - نسلط بعضهم على بعض.
﴿مِّنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾	من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم.

﴿بُغْزَيْنِ﴾	بفائتين - بمرهقين ربكم - بغالين ربكم - لن تُعجزوا ربكم بالهرب منه.
﴿عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ﴾	علي ناحيتكم.
﴿عَقِبَةُ الدَّارِ﴾	العاقبة الحسنة في الدار الآخرة (عاقبة دنياه خير له من دنياه).
﴿لَا يُفْلِحُ﴾	لا يفوز بالمطلوب ولا ينجو من المرهوب.
﴿ذَرَأَ﴾	خَلَقَ.
﴿نَصِيْبًا﴾	جزءًا - قسمًا.
﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾	أساءوا في حكمهم - ما أسوأ الحكم الذي يحكمون به.
﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾	ليهلكوهم.
﴿وَلِيَلْسُوا﴾	وليخلطوا.
﴿حَجَرٌ﴾	حرامٌ (ممنوعة).
﴿يَفْتَرُونَ﴾	يكذبون.
﴿خَالِصَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾	لا يأكل منها إلا الذكور.
﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾	ممنوع ومحرم على أزواجنا.
﴿وَصَفَّهُمْ﴾	قولهم الكاذب على الله - كذبهم (في وصفهم).
﴿سَفَهًا﴾	جهالة وقلة عقل - افتراء كاذبًا على الله.
﴿افْتِرَاءً﴾	كذبًا.

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: لهؤلاء الذين هداهم الله وشرح صدورهم للإسلام (دار السلام) أي جنة الله عز وجل؛ (فالدار هي الجنة، والسلام اسم من أسماء الله عز وجل)، وهو ناصرهم ومتولي أمرهم جزاء لهم بما كانوا يعملون من صالح الأعمال في دنياهم.

وقد قيل: إن معنى دار السلام: دار الأمان، والله تعالى أعلم.

قال القرطبي:

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ﴾ أي: للمتذكرين. ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ أي: الجنة، فالجنة دار الله؛ كما يقال: الكعبة بيت الله. ويجوز أن يكون المعنى: دار السلامة، أي: التي يسلم فيها من الآفات. ومعنى ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: مضمونة لهم عنده يوصلهم إليها بفضله. ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ أي: ناصرهم ومعينهم.

قال السعدي في «تفسيره»:

وسميت الجنة دار السلام، لسلامتها من كل عيب، وآفة وكدر، وهم وغم، وغير ذلك من المنغصات.

ويلزم من ذلك أن يكون نعيمها: في غاية الكمال، ونهاية التمام، بحيث لا يقدر على وصفه الواصفون، ولا يتمنى فوقه المتمنون، من نعيم الروح، والقلب، والبدن. ولهم فيها، ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ الذي يتولى تدبيرهم وتربيتهم، ولطف بهم في جميع أمورهم، وأعانهم على طاعته، ويسر لهم كل سبب موصل إلى محبته.

وإنما تولاهم بسبب أعمالهم الصالحة، ومقدماتهم التي قصدوا بها رضا

مولاهم. بخلاف من أعرض عن مولاه، واتبع هواه. فإنه سلط عليه الشيطان فتولاه، فأفسد عليه دينه ودنياه.



س: وضح معني قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنِّ قَدْ أَسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: واذكر يوم يجمع الله تعالى شياطين الإنس والجن الذين كانوا في الدنيا أولياء لبعضهم وظهراء لبعضهم يوحى بعضهم إلى بعض القول المزخرف المزين لمجادلة المرسلين ولخداع المؤمنين، يوم يجمع الله هؤلاء كلهم فيقول للجن: يا معشر الجن، يا جماعة الجن قد أغويتم كثيرًا من الإنس فاتبعوكم على ضلالكم، ويا معشر الجن قد أضللتكم عن طريق الله كثيرًا من الإنس، وهذه الآية الكريمة في معناها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

قال السعدي في «تفسيره»:

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: جميع الثقلين، من الإنس والجن، من ضلّ منهم، ومن أضلّ غيره.

فيقول موبخًا للجن، الذين أضلوا الإنس، وزينوا لهم الشر، وأزوههم إلى المعاصي:

﴿يَمْعَشَرُ الْجِنِّ قَدْ أَسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أي: من إضلالهم، وصدّهم عن سبيل الله.

فكيف أقدمتم على محارمي، وتجراتم على معاندة رسلِي؟ وقمتم محاربين الله، ساعين في صدّ عباد الله عن سبيله، إلى سبيل الجحيم؟ فالיום حقت عليكم لعنتي،

ووجبت لكم نقمتي.

وسنزيدكم من العذاب بحسب كفركم، وإضلالكم لغيركم.

وليس لكم عذر به تعتذرون، ولا ملجأ إليه تلجأون، ولا شافعاً يشفع ولا دعاءً يسمع. فلا تسأل حينئذٍ، عما يحل بهم من النكال والخزي والوبال؛ ولهذا لم يذكر الله لهم اعتذاراً.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾ مع بيان بعض صور هذا الاستمتاع؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن البشر المتبعون للشياطين الذين والوهم وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، هؤلاء البشر يجيئون ربهم يوم القيامة قائلين: يا ربنا، استمتع بعضنا ببعض في دنيانا، وبلغنا آجالنا وأعمارنا التي قَدَرْتَ لنا أن نعيشها في دنيانا.

أما صور استمتاع الجن بالإنس: فهي ما يلقاه من الإنس من تعظيم له وإجلاله وتقديره والاستعاذة به واعتقاد أنه يعلم الغيب ويخبر بما هو كائن ونحو ذلك.

أما استمتاع الإنس بالجن فمنها إخباره بما يسترقه من السمع وما يعاونه به من التفريق بين المرء وزوجه وبما يعاونه به من أمور السحر والشعوذات، وبما يصدر من الإنس من تعوذات بالجن إذا نزل بفلاة من الأرض ونحو ذلك.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ﴾ نداء مضاف.

﴿قَدْ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أي: من الاستمتاع بالإنس؛ فحذف المصدر

المضاف إلى المفعول، وحرف الجر؛ يدل على ذلك قوله: ﴿رَبَّنَا أَسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ وهذا يردّ قول من قال: إن الجن هم الذين استمتعوا من الإنس؛ لأن الإنس قبلوا منهم.

والصحيح أن كل واحد مستمتع بصاحبه.

والتقدير في العربية: استمتع بعضنا بعضاً؛ فاستمتع الجن من الإنس إنهم تَلَذَّذُوا بطاعة الإنس إياهم، وتَلَذَّذَ الإنس بقبولهم من الجن حتى زَنَوْا وشربوا الخمر بإغواء الجن إياهم.

وقيل: كان الرجل إذا مر بوادٍ في سفره وخاف على نفسه قال: أعوذ برب هذا الوادي من جميع ما أخطر. وفي التنزيل: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] فهذا استمتع الإنس بالجن.

وأما استمتاع الجن بالإنس فما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والكهانة والسحر.

وقيل: استمتع الجن بالإنس أنهم يعترفون أن الجنّ يقدرّون أن يدفعوا عنهم ما يحذرون.

ومعنى الآية: تقرّيع الضالين والمضلين وتوبيخهم في الآخرة على أعين العالمين.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ﴾ لعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين وهم الإنس دون المضلين وهم الجن للإيذان بأن المضلين قد أفحموا بالمرّة فلم يقدرّوا على التكلم أصلاً.



س: ما المراد بالأجل الذي أجلَّ الله لهم؟

ج: المراد - والله أعلم -: أعمارهم التي كتبها لهم، أي: كتب لهم أن يعيشوها في الدنيا.

قال السعدي في «تفسيره»:

﴿وَبَلَّغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي: وقد وصلنا المحل الذي نجازى فيه بالأعمال.

فافعل بنا الآن، ما تشاء، واحكم فينا، بما تريد. قد انقطعت حجتنا، ولم يبق لنا عذر، والأمر أمرك، والحكم حكمك.

وكان في هذا الكلام منهم نوع تضرع وترقق، ولكن في غير أوانه.



س: ما المراد بالاستثناء في قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنها المدة التي ما بين موتهم إلى بعثهم من قبورهم ودخولهم النار، فهذه المدة من الموت إلى دخول النار هي المستثناة، كذا اختار الطبري رحمه الله وإلى مثل هذا جنح الطبري رحمه الله.

الثاني: أن مدة بقائهم في النار موكولة إلى مشيئة الله عز وجل.

ولكن جاءت آيات أخر تدل على أن بقاءهم في النار أبديٌّ، وأنهم لن يخرجوا منها.

الثالث: أن قوله إلا ما شاء الله مختصٌّ بأهل التوحيد الذي أغوتهم الشياطين

فحملتهم على فعل الكبائر واقتراف المعاصي والآثام؛ فهؤلاء يبقون في النار - إذا لم يغفر الله لهم - زمناً ثم يخرجون منها، والله أعلم.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: إن ربك يا رسول الله حكيم فيما شرع من شرائع، وحكيم في تدبير الأمور وتصريف الخلق، عليم بالعواقب وعليم بالعباد وما يستحقون.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾، في تدبيره في خلقه، وفي تصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال، وغير ذلك من أفعاله، ﴿عَلِيمٌ﴾ بعواقب تدبيره إياهم، وما إليه صائرة أمرهم من خير وشر.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وكما أننا جعلنا النار مثوى الجن الذين أضلوا الإنس، وللإنس كذلك الذين اتبعوا الجن، فكذلك في الدنيا جعلنا بعض الظالمين أولياء لبعض يناصرونهم في باطلهم، ويزخرفون القول لهم، ويهدونهم إلى طرائق الغي والضلال.

فالكافر يوالي الكافر ويناصره.

وَتَمَّ قَوْلُ آخَرَ: في تأويل الآية الكريمة حاصله: وكذلك نسلط بعض

الظالمين على بعض، فنسلط شياطين الجن على الظلمة من الإنس، كما قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

وكذا نسلط ظلمة الإنس على بعضهم البعض.

ومن أهل العلم من أورد قولاً آخر حاصله أن قوله تعالى: ﴿تَوَلَّى﴾ أي تابع، أي نجعل بعضهم يتبع بعضاً في النار.

هذا، وقد أورد الطبري بسند حسن عن قتادة قال:

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ تَوَلَّى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وإنما يولي الله بين الناس بأعمالهم، فالؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان، والكافر ولي الكافر أينما كان وحيثما كان. ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي.

أما الطبري نفسه فقد قال:

وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء.

لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين، فقال جل ثناؤه: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾، وأخبر جل ثناؤه: أن بعضهم أولياء بعض، ثم عقب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضاً بتوليته إياهم، فقال: وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والإنس أولياء بعض يستمتع بعضهم ببعض، كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض في كل الأمور، ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من معاصي الله ويعملونه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ومعنى الآية الكريمة: كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن، كذلك نفعل بالظالمين نسلط بعضهم على بعض، ونهلك بعضهم ببعض، وننتقم من بعضهم ببعض، جزاء على ظلمهم وبغيهم.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ تَوَلَّى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ المعنى: وكما فعلنا هؤلاء بما

وصفته لكم من استمتاع بعضهم ببعض أجعل بعض الظالمين أولياء بعض، ثم يتبرأ بعضهم من بعض غداً.

ومعنى ﴿نُؤَلِّي﴾: على هذا نجعل ولياً.

قال ابن زيد: نسلط ظلمة الجنّ على ظلمة الإنس.

وعنه أيضاً: نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذّله. وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه سلّط الله عليه ظالماً آخر.

ويدخل في الآية جميع من يظلم نفسه أو يظلم الرعية، أو التاجر يظلم الناس في تجارته أو السارق وغيرهم.

وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم فقف، وانظر فيه متعجباً.

وقيل: المعنى: نكل بعضهم إلى بعض فيما يختارونه من الكفر، كما نكلهم غداً إلى رؤسائهم الذين لا يقدرّون على تخليصهم من العذاب.

أي: كما نفعل بهم ذلك في الآخرة كذلك نفعل بهم في الدنيا. وقد قيل في قوله تعالى: ﴿نُؤَلِّيهِ مَا تَوَلَّى﴾ [النساء: ١١٥]: نكله إلى ما وكل إليه نفسه.

وقال السعدي في «تفسيره»:

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: وكما ولينا الجن

المردة، وسلطانهم على إضلال أوليائهم من الإنس وعقدنا بينهم عقد الموالاة والموافقة، بسبب كسبهم وسعيهم بذلك.

كذلك من ستتنا، أن نولي كل ظالم ظالماً مثله، يؤزّه إلى الشر، ويحثّه عليه، ويزهده في الخير، وينفره عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة الشنيعة أثرها، البالغ خطرها.

والذنب ذنب الظالم، فهو الذي أدخل الضرر على نفسه، وعلى نفسه جنى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ومن ذلك أن العباد إذا كثر ظلمهم وفسادهم، ومنعهم الحقوق الواجبة، ولي عليهم ظلمة، يسومونهم سوء العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والجور، وأضعاف ما منعوا من حقوق الله، وحقوق عباده، على وجه غير مأجورين فيه، ولا محتسبين.

كما أن العباد إذا صلحوا واستقاموا، أصلح الله رعائهم، وجعلهم أئمة عدل وإنصاف، لا ولاية ظلم واعتساف.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنسِ اللَّعَنُ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي...﴾ الآية؟

ج: إيضاحه - والله أعلم -: أن الله سبحانه وتعالى يسأل كفرة الجن والإنس يوم القيامة سؤال توبيخ وتقريع، فيقول لهم: يا جماعة الجن ويا جماعة الإنس، ألم يأتكم رسل منكم، يخبرونكم بآياتي ويذكرونكم بناري، ويبشرون من أطاع رسلي بجناتي، ويحذرونكم عقابي ويدلونكم على وحدانيتي فهل أطعتموهم واتبعتم أمرهم؟

قال الطبري رحمه الله:

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركي الإنس والجن، يخبر أنه يقول لهم تعالى ذكره يومئذ: ﴿يَمَعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنسِ اللَّعَنُ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾، يقول: يخبرونكم بما أوحى إليهم من تنبيهي إياكم على مواضع حججي، وتعريفي لكم أدلتي على توحيدتي، وتصديق أنبيائي، والعمل بأمري والانتهاة إلى حدودي، ﴿وَيُنذِرُوكُم لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾، يقول: يحذرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا، وعقابي على معصيتكم إياي،

فتنتهوا عن معاصي.

وهذا من الله جل ثناؤه تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم في الدنيا من الفسوق والمعاصي.

ومعناه: قد أتاكم رسل منكم ينبهونكم على خطأ ما كنتم عليه مقيمين بالحجج البالغة، وينذرونكم وعيد الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين، فلم تقبلوا ذلك، ولم تذكروا ولم تعتبروا.



س: هل هناك رسلٌ من الجن؟

ج: ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم، فقالوا: نعم، هناك رسلٌ من الجن، بدليل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْتِيَكُم رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ فقالوا: من الجن رسل للجن، ومن الإنس رسل للإنس، اللهم إلا أن رسول الله محمد ﷺ بعث للثقلين: الجن والإنس على السواء؛ وذلك لقول الجن لما استمعوا قراءته: ﴿يَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف: ٣٠، ٣١).

ولقوله تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (الجن: ١، ٢).

بينما ذهب آخرون من العلماء إلى أن الجن ليس منهم رسلٌ وحمل هؤلاء الآية الكريمة ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ على أن ذلك أطلق تغليياً، كما قال تعالى في شأن البحرين: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، واللؤلؤ والمرجان يخرجان من المالح فقط كذا قالوا، وكما قال القائل: «أكلت خبز ولبناً» واللبن إنما يشرب ولكن أطلق عليه الأكل تغليياً، والله أعلم.

هذا، وتوسط آخرون فقالوا: هناك من الجن رسلٌ لكنهم هم الذين سمعوا الرسل البشريين وبلغوا أقوامهم ما سمعوه من المرسلين، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى قوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته، ولم يقل أحد من الناس: إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل، ثم انقطعت عنهم بيعته، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩]، ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب، ولهذا قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٢٩) قَالُوا يَقَوْمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَقَوْمُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ [الأحقاف: ٢٩-٣٢].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أهل الكفر لما سئلوا يوم القيامة: ألم يأتكم رسلٌ منكم...؟ قالوا: شهدنا على أنفسنا... أي: أقررنا على أنفسنا يا ربنا بأن رسلك

قد جاءتنا بآياتك الدالة على وحدانيتك، وأنذرتنا عذابك وخوفتنا نارك، ولكننا يا ربنا كذبنا بذلك وجحدنا رسالاتك وآياتك، وقد غرَّت هؤلاء المشركين زينة الحياة وزخارفها، وشهد هؤلاء الكفار على أنفسهم يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا كافرين.

قال الطبري رحمه الله:

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول مشركي الجن والإنس عند تقريره إياهم بقوله لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾، أنهم يقولونه... ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾، بأن رسلك قد أتتنا بآياتك، وأنذرتنا لقاء يومنا هذا، فكذبناها وجحدنا رسالتها، ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها.

قال الله - خبراً مبتدأ: وغرَّت هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام، وأولياءهم من الجن، ﴿الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا﴾، يعني: زينة الحياة الدنيا، وطلبُ الرياسة فيها والمنافسة عليها، أن يسلموا لأمر الله فيطيعوا فيها رسله، فاستكبروا وكانوا قوماً عالين. فاكتمى بذكر: ﴿الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا﴾ من ذكر المعاني التي غرَّتهم وخدعتهم فيها؛ إذ كان في ذكرها مكتمى عن ذكر غيرها؛ لدلالة الكلام على ما ترك ذكره، يقول الله تعالى ذكره: ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾، يعني: هؤلاء العادلين به يوم القيامة، أنهم كانوا في الدنيا كافرين به وبرسله، لتتم حجة الله عليهم بإقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليم عذابه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال تعالى: ﴿وَعَرَّيْنَهُمُ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ أي: وقد فرطوا في حياتهم الدنيا، [وهلكوا بتكذيبهم الرسل، ومخالفتهم للمعجزات؛ لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا] وزينتها وشهواتها ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: يوم القيامة ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ أي: في الدنيا بما جاءتهم به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: ذلك الذي فعلناه من إرسال الرسل؛ لأن الله عز وجل حكم عدل لم يكن ليهلك أهل القرى بسبب شركهم دون إنذار منه لهم ودون تحذير منه لهم، ولكن أرسل لهم رسله يحذرونهم وينذرونهم .
قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾، أي: إنما أرسلنا الرسل، يا محمد، إلى من وصفت أمره، وأعلمت خبره من مشركي الإنس والجن، يقصون عليهم آياتي وينذرونهم لقاء معادهم إليّ، من أجل أن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم.

وقد يتجه من التأويل في قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾، وجهان:

أحدهما: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾، أي: بشرك من أشرك، وكفر من كفر من أهلها، كما قال لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾، يقول: لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلاً تنبههم على حجج الله عليهم، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه، ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة فيقولوا: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩].

والآخر: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾، يقول: لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر، فيظلمهم بذلك، والله غير ظلام لعبيده.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب عندي، القول الأول، أن يكون معناه: أن لم يكن ليهلكهم بشركهم، دون إرسال الرسل إليهم، والإعذار بينه وبينهم.

وذلك أن قوله: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾، عقيب قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾، فكان في ذلك الدليل الواضح على أن نصّ قوله: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾، إنما هو: إنما فعلنا ذلك من أجل أنا لا نهلك القرى بغير تذكير وتنبيه.

وأما قوله: ﴿ذَلِكَ﴾، فإنه يجوز أن يكون نصبًا، بمعنى: فعلنا ذلك، ويجوز أن يكون رفعًا، بمعنى: الابتداء، كأنه قال: ذلك كذلك.

وأما ﴿أَنْ﴾، فإنها في موضع نصب، بمعنى: فعلنا ذلك من أجل أن لم يكن ربك مهلك القرى، فإذا حذف ما كان يخفضها، تعلق بها الفعل فنصب. وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ أي: إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لئلا يعاقب أحدًا بظلمه وهو لم تبلغه دعوة، ولكن أعذرنا إلى الأمم، وما عذبنا أحدًا إلا بعد إرسال الرسل إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿كَلَّمَا أَلْفَىٰ فِيهَا فَوْجَ سَالَمٍ خَزَنَتِهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا [تبارك: ٨-٩] والآيات في هذا كثيرة.

وقال القرطبي رحمه الله:

أي: إنما فعلنا هذا بهم؛ لأنني لم أكن أهلك القرى بظلمهم؛ أي بشركهم قبل إرسال الرسل إليهم.

فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير. وقيل: لم أكن أهلك القرى بشرك من أشرك منهم؛ فهو مثل ﴿وَلَا نِرْزُ وَارِزَةً وَرَزَّ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] ولو أهلكهم قبل

بعثة الرسل فله أن يفعل ما يريد. وقد قال عيسى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾
[المائدة: ١١٨].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: ولكل عامل من البشر درجات يبلغها بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فمن عمل من الصالحات أعمالاً كبيرة بلغ بها أعلى الجنان، ومن عمل دون ذلك فترتبته ودرجته دون ذلك، ومن عمل من السيئات أعمالاً موبقة تردى بها في الجحيم حسب أعماله.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته، منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها، ويشبه بها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، يقول جل ثناؤه: وكل ذلك من عملهم، يا محمد، بعلم من ربك، يحصيه ويثبتها لهم عنده، ليجازيهم عليها عند لقاءهم إياه ومعادهم إليه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ويحتمل أن يعود قوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي: ولكل عامل من طاعة الله أو معصيته من كافري الجن والإنس، أي: ولكل درجة في النار بحسبه، كقوله: ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي من الجن والإنس؛ كما قال

في آية أخرى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ [الأحقاف: ١٨] ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ تَعْمَلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩]، وفي هذا ما يدل على أن المطيع من الجن في الجنة، والعاصي منهم في النار؛ كالإنس سواء.

وهو أصح ما قيل في ذلك فاعلمه.

ومعنى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ﴾ أي: ولكل عامل بطاعة درجات في الثواب.

ولكل عامل بمعصية دركات في العقاب.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ﴾ أي: ليس بلاه ولا ساه. والغفلة أن يذهب الشيء عنك لا اشتغالك بغيره.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ...﴾ الآية؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وربك - يا رسول الله - الغني عن خلقه وعن عبادتهم، فلو أنهم كانوا جميعاً على أتقى قلب رجل واحد منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، ومع أنه غني عنهم لكنه رحيم بهم ورءوف بهم يجازي المحسن خير الجزاء ويشبهه ويكرمه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه: ﴿وَرَبُّكَ﴾، يا محمد، الذي أمر عباده بما أمرهم به، ونهاهم عما نهاهم عنه، وأثابهم على الطاعة، وعاقبهم على المعصية، ﴿الْغَفِيُّ﴾، عن عباده الذين أمرهم بما أمر، ونهاهم عما نهى، وعن أعمالهم وعبادتهم إياه، وهم المحتاجون إليه؛ لأنه بيده حياتهم ومماتهم، وأرزاقهم وأقواتهم، ونفعهم وضرهم.

يقول عز ذكره: فلم أخلقهم، يا محمد، ولم آمرهم بما أمرتهم به، وأنهم عما

نهيتهم عنه، حاجة لي إليهم، ولا إلي أعمالهم، ولكن لأنفضل عليهم برحمتي، وأثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا، فإني ذو الرأفة والرحمة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿أَلْفَنِي﴾ أي: عن جميع خلقه من جميع الوجوه، وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم ﴿ذو الرحمة﴾ أي: وهو مع ذلك رحيم بهم، رءوف كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأتي بعد الذهاب بكم ما يشاء من الخلق كما أنشأكم من بعد خلق آخرين ذهب بهم.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ فإنه يقول: إن يشأ ربك، يا محمد، الذي خلق خلقه لغير حاجة منه إليهم وإلى طاعتهم إياه، ﴿يذهبكم﴾، يقول: يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم، ﴿وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾، يقول: ويأت بخلق غيركم وأمم سواكم، يخلفونكم في الأرض، ﴿مِنْ بَعْدِكُمْ﴾، يعني: من بعد فنائكم وهلاككم، ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾، كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم.

ومعنى ﴿مِنْ﴾ في هذا الموضع التعقيب، كما يقال في الكلام: (أعطيتك من دينارك ثوبًا)، بمعنى: مكان الدينار ثوبًا، لا أن الثوب من الدينار بعض.

كذلك الذين خوطبوا بقوله: ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ﴾، لم يرد بإخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين، ولكن معنى ذلك: ما ذكرنا من أنهم أنشئوا مكان خلق خلف قوم آخرين قد هلكوا قبلهم.

و(الذرية) (الفُعْلِيَّة)، من قول القائل: (ذراً الله الخلق)، بمعنى: خلقهم، (فهو يذرؤهم)، ثم ترك الهمزة ف قيل: (ذرا الله)، ثم أخرج (الفُعْلِيَّة) بغير همز، على مثال (العُبِّيَّة).

وقد روي عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ: ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ على مثال (فُعْلِيَّة).

وعن آخر أنه كان يقرأ: ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾، على مثال: (عِلِّيَّة).

قال أبو جعفر: والقراءة التي عليها القراءة في الأمصار: ﴿ذُرِّيَّتِهِ﴾، بضم الـذال، وتشديد الياء، على مثال: (عُبِّيَّة).

وقد بينا اشتقاق ذلك فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته ههنا. وأصل (الإنشاء) الإحداث. يقال: (قد أنشأ فلان يحدث القوم)، بمعنى ابتداء وأخذ فيه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي: إذا خالفتكم أمره ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ﴾ أي: قوماً آخرين، أي: يعملون بطاعته ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ أي: هو قادر على ذلك، سهل عليه، يسير لديه، كما أذهب القرون الأول وأتى بالذي بعدها، كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والإتيان بآخرين، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا [النساء: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ

[فاطر: ١٥- ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

وقال السعدي في «تفسيره»:

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾.

فإذا عرفتم بأنكم لا بد أن تنتقلوا من هذه الدار، كما انتقل غيركم، وترحلون منها، وتخلونها لمن بعدكم، كما رحل عنها من قبلكم، وخلوها لكم.

فَلِمَ اتَّخَذْتُمُوهَا قَرَارًا؟ وتوطئتم بها، ونسيتم أنها دارمر لا دار مقر، وأن أمامكم دارًا هي الدار التي جمعت كل نعيم وسلمت من كل آفة ونقص؟ وهي الدار التي يسعى إليها الأولون والآخرون، ويرتحل نحوها، السابقون واللاحقون.

التي إذا وصلوها، فثم الخلود الدائم، والإقامة اللازمة، والغاية التي لا غاية وراءها، والمطلوب الذي ينتهي إليه كل مطلوب، والمرغوب الذي يضمحل دونه كل مرغوب، هنالك، والله، ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين، ويتنافس فيه المتنافسون، من لذة الأرواح، وكثرة الأفراح، ونعيم الأبدان والقلوب، والقرب من علام الغيوب، فله همة تعلقت بتلك الكرامات، وإرادة سمت إلى أعلى الدرجات! وما أبخس حظ من رضي بالدون، وأدنى همة من اختار صفقة المغبون!! ولا يستبعد المعرض الغافل، سرعة الوصول إلى هذه الدار.

قال صديق حسن خان «في فتح البيان»:

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها العباد العصاة فيستأصلكم بالعذاب المفضي إلى الهلاك، وقيل: الخطاب لأهل مكة؛ ففيه وعيد وتهديد لهم، والعموم أولى ويدخل فيه أهل مكة دخولًا أوليًا ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ أي: ينشئ ويوجد ﴿مِنْ

بَعْدَكُمْ ﴿١٠٠﴾ أي: بعد إهلاككم ﴿مَا يَشَاءُ﴾ من خلقه ممن هم أطوع له وأسرع إلى امتثال أحكامه منكم ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ أي: من نسل قوم لم يكونوا على مثل صفتكم بل كانوا طائعين، قيل: هم أهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من القرون إلى زمنكم.

قال الواحدي والزخشري: ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك؛ فلم يهلكهم ولا استخلف غيرهم رحمة لهم ولطفًا بهم، وقال الرازي: المراد منه خلق ثالث أو رابع، واختلفوا فيه؛ فقليل: خلقًا آخر من أمثال الجن والإنس.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوَعَّدُونَ لَأَتِي وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: إن الذي يعدكم الله به من الثواب إذا أطعتم، ومن العذاب إذا أشركتم، وكذا عموم ما يعدكم الله به لكائنٌ وحاصلٌ، ولن تستطيعوا فرارًا ولا هربًا مما يريدكم الله به فلن تعجزوا الله عز وجل بالهرب مما أراده بكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره للمشركين به: أيها العادلون بالله الأوثان والأصنام، إن الذي يوعدكم به ربكم من عقابه على إصراركم على كفركم، واقعٌ بكم، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، يقول: لن تعجزوا ربكم هربًا منه في الأرض فتفوتوه؛ لأنكم حيث كنتم في قبضته، وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم إياه قادر. يقول: فاحذروه وأنبيوا إلى طاعته، قبل نزول البلاء بكم.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ...﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: قل يا رسول الله لقومك المشركين: يا قوم، اعملوا على ناحيتكم التي أنتم عليها وإليها سائرون.

واثبتوا على ما أنتم فيه من الزيغ والضلال، أما أنا فأنا أيضًا عامل بمقتضى ما أنا فيه من الإيمان والإسلام، فأنا ثابت على إيماني عامل بما يمليه علي ديني وإيماني، وسوف تعلمون عند حلول العذاب عليكم ونزول النقم بكم من منا المحق ومن المبطل أنا أم أنتم؟

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، أي: استمروا على طريقتكم وناحياتكم إن كنتم تظنون أنكم على هدى، فأنا مستمر على طريقتي ومنهجي، كقوله: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ (١٣١) وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿[هود: ١٢١، ١٢٢].

وقد أنجز الله موعوده لرسوله صلوات الله عليه، فإنه تعالى مكن له في البلاد، وحكمه في نواصي مخالفه من العباد، وفتح له مكة، وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وناوآه، واستقر أمره على سائر جزيرة العرب، وكذلك اليمن والبحرين، وكل ذلك في حياته، ثم فتحت الأمصار والأقاليم والرساتيق بعد وفاته، في أيام خلفائه رضي الله عنهم أجمعين، كما قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ

وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ [غافر: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال تعالى إخبارًا عن رسله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الْأَبْنَاءَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]. وقد فعل الله ذلك بهذه الأمة المحمدية، وله الحمد والمنة، أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَقَوَّمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الزمر: ٣٩] وقرأ أبو بكر بالجمع: «مَكَانَاتِكُمْ». والمكانة: الطريقة.

والمعنى: اثبتوا على ما أنتم عليه فأنا أثبت على ما أنا عليه.

فإن قيل: كيف يجوز أن يؤمروا بالثبات على ما هم عليه وهم كفار.

فالجواب: أن هذا تهديد؛ كما قال عز وجل: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾

[التوبة: ١١٥].

ودلّ عليه: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾ أي: العاقبة

المحمودة التي يحمد صاحبها عليها، أي: من له النصر في دار الإسلام، ومن له وراثته الأرض، ومن له الدار الآخرة، أي: الجنة.

قال الزجاج: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ تمكّنكم في الدنيا.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أهل الشرك جعلوا من ثمرات الأرض جزءاً لله وجزءاً للآلهة والأوثان والأصنام والشياطين التي عبدوها من دون الله، فإذا حصل وذهب جزءٌ من الذي جعلوه لله إلى الأصنام والأوثان والشياطين والكهنة والسحرة تركوه على حاله للأصنام والأوثان.. ولكن إذا ذهب جزءٌ من الذي جعلوه للأصنام والأوثان والشياطين إلى الجزء الذي جعلوه لله ردُّوه ثانية إلى مكانه وكذا جعلوا من الأنعام: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فلبس الحكم الذي حكموا به ولبس الصنيع الذي صنعوا هذا، وقد وردت جملة آثار عن ابن عباس رضي الله عنهما حاصلها - وإن كان في أسانيدنا ضعف - أنه قال: كانوا إذا أدخلوا الطعام فجعلوه حزمًا، جعلوا منها لله سهمًا، وسهمًا لآلهتهم، وكان إذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لآلهتهم إلى الذي جعلوه لله، ردُّوه إلى الذي جعلوه لآلهتهم. وإذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لله إلى الذي جعلوه لآلهتهم، أقرُّوه ولم يردُّوه. فذلك قوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وفي رواية أخرى:

قال: جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيبًا، وللشيطان والأوثان نصيبًا.

فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوه للشيطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدَّوه.

فهذا ما جعلوا من الحروث وسقي الماء.

وأما ما جعلوا للشيطان من الأنعام فهو قول الله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَیْرَةٍ وَلَا سَآبِغَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة:

قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الآية. عمَدَ ناس من أهل الضلالة فجزّأوا من حروثهم ومواشيهم جزءًا لله وجزءًا لشركائهم.

وكانوا إذا خالط شيء مما جزّأوا لله فيما جزّأوا لشركائهم خلّوه. فإذا خالط شيء مما جزّأوا لشركائهم فيما جزّأوا لله ردّوه على شركائهم. وكانوا إذا أصابتهم السّنة استعانوا بما جزّأوا لله، وأقروا ما جزّأوا لشركائهم، قال الله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

هذا، وقد أورد بعض أهل العلم قولاً آخر فحواه: أنهم كانوا إذا ذبحوا شيئاً على غير اسم الله أكلوه، وإن ذبحوا شيئاً على اسم الله لم يأكلوه حتى يذكروا اسم آلهتهم أيضاً معه، والله أعلم.

قال السمعاني في «تفسيره»:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ وكانوا يقسمون الحرث، فيجعلون لله نصيباً، وللأصنام نصيباً، ويقسمون الأنعام، فيجعلون لله نصيباً، وللأصنام نصيباً، ثم ما جعلوا لله صرفوه للفقراء والمساكين، وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام، وعلى خدم الأصنام؛ فهذا معنى قوله: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لِسُرْكَائِنَا﴾ فأما قوله: ﴿فَمَا كَانَتْ لِسُرْكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ معنى هذا: أنهم كانوا إذا قسموا الحرث والأنعام كما وصفنا، فإذا

سقط مما جعلوا لله من الحرث شيء فيما جعلوه للأصنام تركوه، وإذا سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى نصيب الأصنام، وكان إذا هلك أو انتقص مما جعلوا لله من الأنعام شيء؛ لم يبالوا به، وكان إذا هلك أو انتقص من نصيب الأصنام، جبروه مما جعلوه لله، وقالوا: الله غني، والصنم محتاج، وكانوا إذا أجذبوا وقحطوا؛ أكلوا مما جعلوه لله، ولم يأكلوا من نصيب الأصنام.

وقال السعدي في «تفسيره»:

يخبر تعالى عما عليه المشركون المكذبون للنبي ﷺ، من سفاهة العقل، وخفة الأحلام، والجهل البليغ.

وعدد تبارك وتعالى شيئاً من خرافاتهم؛ لينبه ذلك على ضلالهم، والحدز منهم، وأن معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق، الذي جاء به الرسول، لا تقدر فيه أصلاً، فإنهم لا أهلية لهم في مقابلة الحق.

فذكر من ذلك أنهم: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ ولشركائهم من ذلك نصيباً.

والحال، أن الله تعالى هو الذي ذرأه للعباد، وأوجده رزقاً، فجمعوا بين محذورين محظورين بل ثلاثة محاذير: منتهم على الله، في جعلهم له نصيباً، مع اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع.

وإشراك الشركاء، الذين لم يرزقوهم، ولم يوجدوا لهم شيئاً في ذلك. وحكمهم الجائر في أن ما كان لله لم يبالوا به، ولم يهتموا، ولو كان واصلاً إلى الشركاء.

وما كان لشركائهم اعتنوا به، واحتفظوا به، ولم يصل إلى الله منه شيء. وذلك أنهم إذا حصل لهم - من زروعهم وثمارهم وأنعامهم، التي أوجدها

الله لهم - شيء، جعلوه قسمين: قسمًا قالوا: هذا الله بقولهم وزعمهم، وإلا فالله لا يقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه، ولا يقبل عمل من أشرك به.

وقسمًا: جعلوه حصة شركائهم من الأوثان والأنداد. فإن وصل شيء مما جعلوه لله، واختلط بما جعلوه لغيره، لم يبالوا بذلك.

وقالوا: الله غني عنه، فلا يردونه. وإن وصل شيء مما جعلوه لأهلتهم إلى ما جعلوه لله، ردهه إلى محله.

وقالوا: إنها فقيرة، لا بد من رد نصيبها.

فهل أسوأ من هذا الحكم. وأظلم؟! حيث جعلوا ما للمخلوق، يجتهد فيه وينصح، ويحفظ، أكثر مما يفعل بحق الله.

ويحتمل أن تأويل الآية الكريمة، ما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ، أنه قال عن الله تعالى أنه قال: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من أشرك معي شيئًا تركته وشركه». وأن معنى الآية: أن ما جعلوه، وتقربوا به لأوثانهم، فهو تقرب خالص لغير الله، ليس لله منه شيء.

وما جعلوه لله - على زعمهم - فإنه لا يصل إليه لكونه شركًا، بل يكون حظ الشركاء والأنداد؛ لأن الله غني عنه، لا يقبل العمل الذي أشرك به معه أحد من الخلق.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ساء الحكم الذي حكموا به، والصنيع الذي صنعوه، فلم يقف إجرامهم على كونهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، ولم يقف إجرامهم أن جعلوا للأصنام والأوثان والكهان نصيبًا، بل امتد إجرامهم إلى أن

فضلوا آلهتهم على ربهم عز وجل، وجعل الجزء الذي لله عز وجل أقل الأجزاء، وإذا وصل منه شيء إلى نصيب الآلهة التي عبدوها مع الله عز وجل جعلوه للآلهة، أما إذا وصل جزء من الذي جعلوه للآلهة إلى ما جعلوه لله ردوه إلى آلهتهم فساء هذا الصنيع، وأساءوا بصنيعهم إلى أنفسهم؛ إذ قد حكموا عليها بالضلال.

قال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه: وقد أساءوا في حكمهم؛ إذ أخذوا من نصيبي لشركائهم، ولم يعطوني من نصيب شركائهم.

وإنما عني بذلك تعالى ذكره الخبر عن جهلهم وضلالتهم، وذهابهم عن سبيل الحق، بأنهم لم يرضوا أن عدلوا بمن خلقهم وغذاهم، وأنعم عليهم بالنعم التي لا تحصى، ما لا يضرهم ولا ينفعهم، حتى فضلوه في أقسامهم عند أنفسهم بالقسم عليه.

قال السمعاني في «تفسيره»:

وقوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: لم يأتهم فيه وحي، ولا يقتضيه عقل؛ فإن القياس يقتضي التسوية - على زعمهم - بين الشريكين، لا ما حكموا به.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ...﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وكما زينت الشياطين لأهل الشرك الكلام المزخرف لجدال الأنبياء وأهل الصلاح، وكما زينت لهم أن يجعلوا للأوثان والأصنام نصيباً مما رزقهم الله، فكذلك زينت لهم الشياطين قتل الأولاد وكذا

قتل البنات وحسنت ذلك لهم، فمنهم: من كان يقتل ولده خشية أن يطعم معه، ومنهم: من كان يئد البنات لا شيء إلا لكونهن إناث، فحسنت الشياطين لهم كل ذلك؛ ليهلكوهم بهذا الصنيع، فهذه أمورٌ موبقات تتسبب لصاحبها في دخول الجحيم، وكذلك زينت لهم الشياطين ذلك وحسنت لهم ذلك لتخليط الأمور - أمور دينهم - عليهم وجعل الحرام حلالاً، والحلال حراماً، ولو شاء الله ما تمكنت الشياطين من ذلك، وما أغوت بني آدم، وكذا لو شاء الله ما قتل المشركون أبناءهم فتركهم وكذبهم فإني أكفيكمهم، وأنتقم لك منهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وكما زين شركاء هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام لهم ما زينوا لهم، من تصييرهم لربهم من أموالهم قسماً بزعمهم، وتركهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لله إلى قسم شركائهم في قسمهم، وردهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لشركائهم إلى قسم نصيب الله إلى قسم شركائهم، ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَّاؤُهُمْ﴾، من الشياطين، فحسنوا لهم وأد البنات، ﴿لِيُرَدُّوهُمُ﴾، يقول: ليهلكوهم، ﴿وَلِيَكْلَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾، فعلوا ذلك بهم؛ ليخلطوا عليهم دينهم فيلبس؛ فيضلوا ويهلكوا، بفعلهم ما حرم الله عليهم، ولو شاء الله أن لا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه، بأن كان يهديهم للحق، ويوفقهم للسداد، فكانوا لا يقتلونهم، ولكن الله خذلهم عن الرشاد؛ فقتلوا أولادهم، وأطاعوا الشياطين التي أغوتهم.

يقول الله لنبيه، متوعداً لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون في الأنصباء التي يقسمونها: ﴿هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لَشُرَّاكِنَا﴾، وفي قتلهم أولادهم، ﴿فَذَرَهُمْ﴾، يا محمد، ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، وما يتقولون علي من

الكذب والزور، فإني لهم بالمرصاد، ومن وراء العذاب والعقاب.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: وكما زينت الشياطين لهؤلاء المشركين أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا، كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق، ووأد البنات خشية العار.

ثم قال:

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]، وكقوله: ﴿وَإِذَا الْآلَاءُ دُودَةٌ سِيلَتْ ٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ﴿[التكوير: ٨، ٩] وقد كانوا أيضًا يقتلون الأولاد من الإملاق وهو الفقر، أو خشية الإملاق أن يحصل لهم في تلف المال، وقد نهاهم عن قتل أولادهم لذلك وإنما كان هذا كله من شرع الشيطان وتزيينه لهم ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: كل هذا واقع بمشيئته تعالى، وإرادته واختياره لذلك كونًا، وله الحكمة التامة في ذلك، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون: ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: فدعهم واجتنبهم وما هم فيه، فسيحكم الله بينك وبينهم.

قال السعدي في «تفسيره»:

ومن سفه المشركين وضلالهم: أنه زين لكثير من المشركين شركاؤهم - أي: رؤسائهم وشياطينهم - قتل أولادهم، وهو: الوأد، الذين يدفنون أولادهم وهم أحياء خشية الافتقار، والإناث خشية العار. وكل هذا من خدع الشياطين، الذين يريدون أن يردوهم بالهلاك، ويلبسوا عليهم دينهم، فيفعلون الأفعال التي في غاية القبح. ولا يزال شركاؤهم يزينونها لهم، حتى تكون عندهم من الأمور الحسنة

والخصال المستحسنة.

ولو شاء الله أن يمنعهم، ويحول بينهم وبين هذه الأفعال، ويمنع أولادهم عن قتال الأبوين لهم، ما فعلوه.

ولكن اقتضت حكمته، للتخلية بينهم وبين أفعالهم، استدراجاً منه لهم، وإمهالاً لهم، وعدم مبالاة بما هم عليه، ولهذا قال:

﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ﴾ أي: دعهم مع كذبهم وافتراءهم، ولا تحزن عليهم، فإنهم لن يضرروا الله شيئاً.

ومن أنواع سفاهتهم: أن الأنعام التي أحلها الله لهم عموماً، وجعلها رزقاً ورحمة، يتمتعون بها، ويتنفعون، قد اخترعوا فيها بدعاً وأقوالاً، من تلقاء أنفسهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرِّثُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾؟

ج: هذا - والله أعلم - بيان لجهل المشركين وافتراءهم على الله عز وجل وتحريمهم ما شاءوا أن يحرموه وتحليلهم ما شاءوا وما أرادوا فقالوا: هذه أنعام (يريدون بذلك: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وغير ذلك) وحرث حِجْرٍ أي: حرام على الناس أن يأكلوا منها إلا من شئنا أن نطعمه، وأنعام أخر حُرِّمَ على الناس ركوبها، وأنعام غير ذلك لا يحجون عليها ولا يذكرون اسم الله عند ركوبها، بل هي - عندهم - للآلهة فحسب، حتى إن ذبحت فلا يذكر اسم الله عليها عند الذبح، وأيضاً إن حلبوها لا يذكرون اسم الله عليها عند حلبها، فعلوا ذلك كله كذباً على الله وتقوُّلاً عليه بغير علم، ونسبوا إلى الله عز وجل ما لم يقله،

وما لم يجرمه وسيجزئهم الله على افتراءهم عليه وكذبهم عليه .

قال السمعاني رحمه الله :

قوله - تعالى :- ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ أَنْعَمْتُ وَحَرِّثُ حِجْرًا﴾ أي : حرام ﴿لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ ثم بين تحريمهم ؛ فقال : ﴿لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ يعني : من خدع الأصنام ، وقيل : هو تحريم البحيرة والسائبة على الإناث ، ولا يطعمها إلا الذكور .

﴿وَأَنْعَمُ حُرِمَتْ ظُهُورُهَا﴾ هي : الحوامي التي ذكرنا في المائدة ، كانوا يقولون : حمت ظهرها ﴿وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قيل : ذبائح كانوا يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله - تعالى - وقيل معناه : أنهم لا يركبون عليها لفعل الخير .

قال أبو وائل شقيق بن سلمة : معناه : أنهم لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الحج ، إلا أنه جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير ، فعبر بذكر اسم الله عن فعل الخير ؛ فقال : ﴿وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ يعني : افتراء على الله ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي : جزاء ما كانوا يكذبون .

قال السعدي في «تفسيره» :

﴿هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرِّثُ حِجْرًا﴾ أي : محرم ﴿لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ أي : لا يجوز أن يطعمه أحد ، إلا من أردنا أن يطعمه ، أو وصفناه بوصف من عندنا . وكل هذا - بزعمهم - لا مستند لهم ولا حجة ، إلا أهويتهم ، وآراؤهم الفاسدة .

وأنعام ليست محرمة من كل وجه ، بل يجرمون ظهورها ، أي : بالركوب والحمل عليها ، ويحمون ظهرها ، ويسمونها الحام .

وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها، بل يذكرون اسم أصنامهم، وما كانوا يعبدون من دون الله عليها، وينسبون تلك الأفعال إلى الله، وهم كذبة فجار في ذلك ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعُرُونَ﴾ على الله، من إحلال الشرك، وتحريم الحلال، من الأكل والمنافع.



س: ما المراد بالأنعام في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلذَّكَورِ...﴾؟

ج: الذي يظهر - والله تعالى أعلم -: أنها الأنعام المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا...﴾ فهي الأنعام التي أوقفوها لألهتهم وأوثانهم: كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام؛ فهذه أنعام جعلوها وقفًا على آلهتهم.

قال السعدي رحمه الله:

ومن آرائهم السخيفة أنهم يجعلون بعض الأنعام، ويعينونها - محرماً ما في بطنها على الإناث دون الذكور، فيقولون:

﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلذَّكَورِ﴾ أي: حلال لهم، لا يشاركون فيها النساء.

﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ أي: نسائنا، هذا إذا ولد حيًّا.

وإن يكن ما في بطنها يولد ميتًا، فهم فيه شركاء، أي: فهو حلال للذكور والإناث.

﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصَفَهُمْ﴾؛ حيث وصفوا ما أحله الله، بأنه حرام، ووصفوا الحرام بالحلال، فناقضوا شرع الله، وخالفوه، ونسبوا ذلك إلى الله.

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾؛ حيث أمهل لهم، ومكنهم مما هم فيه من الضلال.
 ﴿عَلِيمٌ﴾ بهم، لا تخفى عليه خافية، وهو تعالى، يعلم بهم وبما قالوه عليه
 وافتروه، وهو يعافهم، ويرزقهم، جل جلاله.



س: ما المراد بالأزواج في قولهم: ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾؟
 ج: الظاهر - والله أعلم -: أن المراد بالأزواج النساء، وهذا اختيار الطبري
 رحمه الله؛ فقد قال: والأزواج إنما هي نساؤهم في كلامهم، وهن لا شك بنات من
 هن أولاده، وحلائل من هن أزواجه.



س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ
 الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّنَّ فَهُمْ فِيهِ
 شُرَكَاءُ....﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أن أهل الشرك قالوا - كذبًا وزورًا - ما حوته بطون
 هذه الأنعام (البحائر والسوائب والوصائل) من اللبن والأجنة (جمع جنين)
 خالصة لذكورنا، أي: لا يشرب لبنها الذكور، وكذا لا يأكل من الأجنة إلا
 الذكور وحرام على النساء الأكل من لحمها والشرب من لبنها، أما إذا كان الجنين
 ميتًا فيشترك في أكله الذكور والإناث، كذا قالوا وسيعاقبهم الله على ما صنعوا وما
 اختلقوا من الكذب إنه ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبير أمور خلقه ﴿عَلِيمٌ﴾ بما
 يصلحهم.



س: لماذا قيل: ﴿خَالِصَةٌ لِّذَكَورِنَا﴾ ولم يقل: خالصٌ لذكورنا؟

ج: قال الطبري - رحمه الله - في بيان ذلك:

والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: أريد بذلك المبالغة في خلوص ما في بطون الأنعام التي كانوا حرموا ما في بطونها على أزواجهم، لذكورهم دون إناثهم، كما فعل ذلك بـ «الراوية» و«النسابة» و«العلامة»، إذا أريد بها المبالغة في وصف من كان ذلك من صفته، كما يقال: «فلان خالصة فلان، وخلصانه».

وقال - أيضًا - رحمه الله:

وفي قول الله عز وجل: ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾، الدليل الواضح على أن تأنيث «الخالصة»، كان لما وصفت من المبالغة في وصف ما في بطون الأنعام بالخلوص للذكور؛ لأنه لو كان لتأنيث الأنعام ل قيل: «ومحرمة على أزواجنا»، ولكن لما كان التأنيث في «الخالصة» لما ذكرت، ثم لم يقصد في «المحرم» ما قصد في «الخالصة» من المبالغة، رجع فيها إلى تذكير «ما»، واستعمال ما هو أولى به من صفته.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: سيجزيهم الله على وصفهم السيئ وتشريعهم الذي شرعوا أسوأ الجزاء.

ونقل ابن كثير - رحمه الله - عن عدد من أهل العلم:

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أي: قولهم الكذب في ذلك.

يعني قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا

حَرَامٌ لِّمَن فَرَّوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ ﴿١١٧﴾
الآية [النحل: ١١٦، ١١٧].

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ أي: في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمال عباده من خير وشر، وسيجزئهم عليها أتم الجزاء.



س: وضع المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: قد خسر هؤلاء الجهلة قليلو العلم والعقل، هؤلاء الذين قتلوا أولادهم جهالة ونقصاً في العقل، هؤلاء الذين حرموا على أنفسهم (البحيرة، السائبة، والوصيلة، والحام...) تلك الأنعام التي رزقهم الله إياها، فافتروا على الله الكذب وزعموا أن الله هو الذي حرّمها؛ فقد ضلوا بصنيعهم هذا، وما كانوا قبل هذا الضلال مهتدين.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذب، العادلون به الأوثان والأصنام، الذين زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم، وتحريم ما أنعمت به عليهم من أموالهم، فقتلوا طاعة لها أولادهم، وحرّموا ما أحل الله لهم وجعله لهم رزقاً من أنعامهم، ﴿سَفَهًا﴾ منهم.

يقول: فعلوا ما فعلوا من ذلك جهالة منهم بما لهم وعليهم، ونقص عقول وضعف أحلام منهم وقلة فهم بعاجل ضرّه وأجل مكروهه، من عظيم عقاب الله عليه لهم ﴿أَفِرَّاءَ عَلَى اللَّهِ﴾، يقول: تكذباً على الله وتخرباً عليه الباطل، ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾، يقول: قد تركوا محجة الحق في فعلهم ذلك، وزالوا عن سواء السبيل،

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، يقول: ولم يكن فاعلو ذلك على هدى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلون قبل ذلك، ولا كانوا مهتدين للصواب فيها، ولا موفقين له.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله:

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، فقال: هذا صنيع أهل الجاهلية.

كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السَّباء والفاقة، ويغزو كلبه، وقوله: ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾، الآية، وهم أهل الجاهلية. جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحامياً، تحكماً من الشياطين في أموالهم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: قد خسر الذين فعلوا هذه الأفعال في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم، وضيقوا عليهم في أموالهم، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، وأما في الآخرة فيصرون إلى شر المنازل، بكذبهم على الله وافترائهم، كقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١١) متع في الدنيا ثم إلتنا مرجعهم نُنْذِرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ.

قال السمعاني في «تفسيره»:

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ أي: هلك وغبن الذين قتلوا أولادهم، وذلك من وأد البنات، وكانوا في الجاهلية يدفنون البنات حية، حتى كان الرجل منهم يقتل ولده، ويربي كلبه، وكان البعض يفعل ذلك دون البعض، وقيل: كان ذلك في قبيلتين: ربيعة، ومضر، كانا يدفنان البنات وهن حيات، فأما بنو كنانة وسائرهم ما كانوا يفعلون ذلك.

﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلاً لا عن بصيرة ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ (وهو) ما ذكرنا من تحريم أولاد البحيرة، والوصيلة ونحو ذلك (من) الحوامي، حرموها تديناً ﴿أَفِرَّاءَ عَلَى اللَّهِ﴾؛ لأنهم كانوا يدعونه ديناً من الله - تعالى - وقد كذبوا في ذلك عليه ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.



﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
 مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ
 كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا
 إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْإِنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ
 كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
 مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ
 ءَالَذَكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنثَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنثَيْنِ
 نَبِيُّنِي يَعْلَمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ
 اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَذَكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنثَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ
 الْإِنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى
 طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِزِيرٍ
 فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
 فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي
 ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْإِنْعَامِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ

ظُهُورُهُمَا أَوْ الْخَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا
لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بِأَسْئَةٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ
تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ
شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلَمْ شُهِدَآءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ
حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

[الأنعام: ١٤١ - ١٥٠].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَنْشَأَ - جَنَّتٍ - مَعْرُوشَتٍ - وَغَيْرَ مَعْرُوشَتٍ - أَكُلُهُ - حَمُولَةً - وَفَرَشًا -
الْصَّانَ - الْمَعَزِ - الْإِبِلَ - الْبَقَرِ - طَائِعٍ يَطْعَمُهُ - دَمًا مَسْفُوحًا - رَجَسًا - فَسَقًا - أَهْلًا
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ - أَضْطَرَّ - غَيْرَ بَاغٍ - وَلَا عَادٍ - الَّذِينَ هَادُوا حَزَىٰ ظَفِيرٍ - الْحَوَايَا -
بِأَسْنُوءٍ - تَحْرُصُونَ - الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ - هَلَمَّ - شَهِدَاءَكُمْ - يَعْدِلُونَ﴾؟

ج:

معناها	الكلمة
خلق - أحدث - ابتدع.	﴿أَنْشَأَ﴾
بساتين.	﴿جَنَّتٍ﴾
ما يجعل له الناس عُروشًا يحمل عليها كالعنب، وقيل: (مرفوعات).	﴿مَعْرُوشَتٍ﴾
غير مرفوعات - غير مبنيات (كالنباتات التي تخرج بالبر والجبال، ولا تحتاج إلى عروش كما يحتاج العنب.	﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَتٍ﴾
طعمه - مذاقه - ثمره.	﴿أَكُلُهُ﴾
التي يحمل عليها كالإبل ^(١) .	﴿حَمُولَةً﴾

(١) وقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه - عند الطبري - أنه قال: الحمولة: ما حُل عليه من الإبل، والفرش الصغار.

وأورد الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في «تفسيره» قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: وقال عبد الحمين بن أسلم: الحمولة: ما تركبون، والفرش: ما تأكلون وتحلبون، شاة لا تحمل تأكلون لحمها، وتتخذون من صوفها لحافًا وفرشًا.

وعقبه ابن كثير بقوله:

وهذا الذي قاله عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن، يشهد له قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ ﴿٧٦﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ

﴿وَفَرَشَا﴾	قيل: صغار الإبل، وقيل: الأغنام، وقيل: الفرش ما يتخذ منه الفرش كالأغنام.
﴿الضَّانِ﴾	(كال كبش والنعجة).
﴿الْمَعِزِ﴾	(كالجدي والعز).
﴿الْإِبِلِ﴾	(الجمال والناقة).
﴿الْبَقَرِ﴾	(الثور والبقرة).
﴿طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾	آكل يأكله.
﴿دَمًا مَسْفُوحًا﴾	دمًا مُنصبًا مُهراقًا - سائلًا يسيل.
﴿رِجْسٍ﴾	نجس.
﴿فَسَقًا﴾	خروجًا عن الطاعة (وذلك لكونه ذبح على غير اسم الله).
﴿أَهْلَ لَعْنِ اللَّهِ بِهِ﴾	ذبح على غير اسم الله عز وجل.
﴿أَضْطَرَّ﴾	أجأته الضرورة.
﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾	غير باغ في أكله إياه تلذذًا به.
﴿وَلَا عَادٍ﴾	ولا متجاوز الحد في الأكل، إنما يأكل ما دعت الضرورة إلى أكله.
﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾	اليهود.

وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧١﴾ [يس: ٧١، ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِذُوا بِهَا بِئْسَ بِمَا يَأْكُلُونَ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، إلى أن قال: ﴿وَمِنْ أَصْنَافِهَا وَأَوْبَارُهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَكْتُوبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَبَرِّكُوا بِهَا يُبْرِكُ فَايُّ مَا آتَىٰ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ [غافر: ٧٩-٨١].

﴿ذِي ظُفْرِ﴾	ما كان غير مشقوق القدم من البهائم والطيور كالإبل والنعام والبط والأوز ونحو ذلك فهذا مما لا تأكله اليهود.
﴿الْحَوَايَا﴾	المباغر - الأمعاء.
﴿بِأَسْفُهُ﴾	عذابه - عقابه.
﴿تَخْرُصُونَ﴾	تتقولون الكذب والباطل.
﴿الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾	الحجة الغالبة التي تبلغ مرادها في ثبوتها على الخصم - الحجة التي تُسكت الخصم وتقطع أعداره وتمنعه من الكلام.
﴿هَلُمَّ﴾	هاتوا.
﴿شُهَدَاءُكُمْ﴾	الشهود الذين يشهدون لكم.
﴿يَعْدِلُونَ﴾	يساوون به (الأصنام والأوثان) - يتحولون عن عبادته إلى عبادة غيره.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثُلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتُ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ...﴾ الآية؟

ج: يذكر الله سبحانه وتعالى نعمه ومنه على خلقه، فيقول سبحانه وتعالى مُذَكِّرًا الخلق لعلهم يتعظون ويعتبرون، وهو - لا أحد سواه - الذي خلق وأحدث بساتين وحدائق على كل الصور والأشكال، فمنها بساتين معروشات، أي: مبنيات مرفوعات، كالعنب مثلاً يحتاج أن تُسند أشجاره بالأخشاب، ويصبح

معها كالعريش ومنها ما لا يحتاج إلى ذلك، وكذا أنشأ النخل الذي منه الرطب والتمر، والزروع عامة التي تخرج منها الحبوب والثمار، كل ذلك مختلف ثمره وطعمه، وكذا الزيتون والرمان متشابهًا في المنظر وغير متشابه في الطعم.

وبَيَّنَ لنا ربنا سبحانه وتعالى حلَّ هذا الطعام لنا؛ إذ قال: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾، وذكرنا ربنا سبحانه وتعالى بالفقراء والمساكين؛ إذ قال: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ ونهانا عَزَّ وجلَّ عن التبذير والإسراف بقوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾، وأخبر أنه لا يجب المرفرفين.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿مُتَشَكِّهَا وَغَيْرَ مُتَشَكِّهَا؟﴾

ج: قيل في معناها ما يلي:

١ - متشابهًا في اللون غير متشابه في الطعم.



س: ما المراد بالحق الذي أمر الله به؛ إذ قال: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ؟﴾

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بهذا الحق: هو الزكاة المفروضة التي بيّن رسول الله ﷺ مقاديرها، وهي العشر فيما سقته السماء، ونصف العشر بما سُقي بالآلة.

الثاني: أن المراد بهذا الحق: حقُّ آخر سوى الزكاة المفروضة، وهو أن يعطي الفقير ومن حضر الحصاد جزءًا من المحصول، كالقبضة من الطعام ونحو ذلك.

الثالث: أن هذا الحق كان قبل فرض الزكاة، ثم نُسخ بالزكوات المفروضة، والله أعلم.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾؟

ج: الظاهر - والله أعلم -: أن المراد بذلك اليوم الذي يحصد فيه، وقد قال بعض العلماء إن المراد بذلك اليوم الذي يكال فيه الثمر.
قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

فإن قيل: هل يجب إيتاء الحق يوم الحصاد؟

فالجواب: إن قلنا: إنه إطعام مَنْ حضر مِنْ الفقراء، فذلك يكون يوم الحصاد؛ وإن قلنا: إنه الزكاة، فقد ذُكرت عنه ثلاثة أجوبة:
أحدها: أن الأمر بالإيتاء محمول على النخيل؛ لأن صدقتها تجب يوم الحصاد.

فأما الزروع، فالأمر بالإيتاء منها محمول على وجوب الإخراج؛ إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد، فيؤخَّر إلى زمان التنقية، ذكره بعض السلف.
والثاني: أن اليوم ظرف للحق، لا للإيتاء؛ فكأنه قال: وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التنقية.

والثالث: أن فائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه، إنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه.

وقد كان يجوز أن يتوهم أن الحق يلزم بنفس نباته قبله قطعه، فأفادت الآية أن الوجوب فيما يحصل في اليد، دون ما يتلف، ذكر الجوابين القاضي أبو يعلى.



س: هل يجوز تأخير إخراج زكاة الحبوب عن يوم الحصاد؟

ج: الأصل أنها تؤدي يوم الحصاد؛ إلا إذا تعذر ذلك لعدم استطاعة إيصالها أو لعدم وجود مستحقيها، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ ولقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٨٦].



س: هل يلزم حلول الحول على الثمار حتى تُزكى؟

ج: لا يلزم حلول الحول على الثمار حتى تُزكى؛ فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

قال السعدي رحمه الله:

وفي هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها حصادها في الزروع، وجذاذ النخيل.

وأنه لا تتكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند العبد أحوالاً كثيرة، إذا كانت لغير التجارة؛ لأن الله لم يأمر بالإخراج منه، إلا وقت حصاده. وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والثمر، أنه لا يضمونها، وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع، قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكي المال الذي يبقى بعده.



س: وضع معنى الإسراف الذي نهينا عنه في الآية الكريمة؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بالإسراف هنا مجاوزة الحد في الإعطاء بما يضر بصاحب المال، أي: أن الشخص يخرج كثيرًا بدرجة تضره وتذهب بهاله، ولهذا المعنى

شواهد عدة من كتاب الله عز وجل؛ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

الثاني: أن المراد بالإسراف: الإسراف على النفس، وذلك بمنع الصدقة ومنع الحق الذي أوجبه الله عز وجل عن أهله ومستحقه.

الثالث: أن الأمر في قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ موجّه للسلطان الذي يأخذ الصدقات، نهى هذا السلطان عن أخذ شيء من مال الناس بغير حق، فلا يأخذ إلا القدر المأذون له في أخذه شرعاً.

هذا، والظاهر من هذه الأقوال أولها؛ وذلك لأن الخطاب موجّه لأرباب البساتين والثمار والنخل والزرع و...، فأمرهم الله أن يؤتوا الحق الذي عليهم ونهاهم عن الإسراف، فبعيد أن نقول: إنه موجّه للسلطان، ثم إن المعنى الأشهر للإسراف: هو إخراج قدر زائد يحف بالمال، فلا نعدل عن المعنى الأشهر إلى ما دونه إلا بدليل، والله أعلم.

هذا، وقد ذهب الطبري إلى القول بالعموم - عموم معاني الإسراف - إذ قال: والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى بقوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ عن جميع معاني «الإسراف»، ولم يخص منها معنى دون معنى.

وإذ كان ذلك كذلك، وكان «الإسراف» في كلام العرب: الإخطاء بإصابة الحق في العطية، إما بتجاوز حدّه في الزيادة، وإما بتقصير عن حدّه الواجب، كان معلوماً أن المفرّق ماله مبارأة، والباذل للناس حتى أجحفت به عطيته، مسرف بتجاوزه حدّ الله إلى ما ليس له.

وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه، وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهل سهُمان الصدقة إذا وجبت فيه، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها.

وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه.

كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون، داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في عطيتكم من أموالكم ما يحفف بكم، إذ كان ما قبله من الكلام أمراً من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده.

فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله ﷺ بسبب خاص من الأمور، والحكم بها على العام، بل عامة أي القرآن كذلك.

فكذلك قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى: «الإسراف» أنه على ما قلنا، قول الشاعر:

أَعْطُوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا تَمَانِيَةٌ مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ وَلَا سَرَفُ

يعني بـ «السرف»: الخطأ في العطية.

وقال السعدي رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ يعم النهي عن الإسراف في الأكل، وهو: مجاوزة الحد والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع أكلاً يضر بالزكاة، والإسراف في إخراج حق الزرع، بحيث يخرج فوق الواجب عليه، أو يضر نفسه أو عائلته أو غرماءه. فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه، الذي لا يحبه الله، بل يبغضه ويمقت عليه.

وقال السمعاني في «تفسيره»:

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي: لا تنفقوا الأموال في معصية الله، وكل من أنفق في معصية فهو مسرف، وقيل: هو إعطاء الكل، وذلك أن يعتمد الرجل إلى جميع زرعه ونخله فيعطي الكل، ويترك عياله عالة.

وروي: «أن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة كانت له، فأعطى الكل؛ فنزلت الآية: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. وأورد ابن الجوزي أقوالاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ حاصلها ما يلي:

الأول: أنه تجاوز المفروض في الزكاة إلى حد يُجحف به.

والثاني: أن الإسراف: يمنع الصدقة الواجبة.

والثالث: أنه الإنفاق في المعصية.

والرابع: أنه إشراك الآلهة في الحرث والأنعام.

والخامس: أنه خطاب للسلطان لئلا يأخذ فوق الواجب من الصدقة.

والسادس: أنه الإسراف في الأكل قبل أداء الزكاة.



س: الاقتصاد في الإنفاق أمرنا الله به في جملة آيات، اذكر بعضها؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَعَاثُوا حَقَّهُ، يَوْمَ حَصَادِهِ، وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

* وقوله تعالى: ﴿وَعَاثِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ بَذِيرًا ﴿٣٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

* وقوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال تعالى في شأن عِبَادِ الرَّحْمَنِ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: كلوا يا أهل الإيمان من رزق الله عز وجل الذي رزقكم إياه من الزروع والثمار والحراث والأنعام، ولا تطيعوا الشيطان فيما حرم عليكم فقد أبان لكم الشيطان عن عداوته لكم ولأبيكم من قبلكم وذلك بالكيد الذي كاده لأبيكم آدم عليه السلام حتى أخرجه وزوجه من الجنة، وبالكيد المستمر الذي يكيدكم لكم الآن لإغوائكم وإضلالكم، وحرمانكم من الحلال الطيب بما يلقيه على أوليائه لجدالككم وصرفكم عن دينكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه: كلوا مما رزقكم الله، أيها المؤمنون، فأحل لكم ثمرات حروثكم وغروسكم، ولحوم أنعامكم، إذ حرم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله، فجعلوا لله مما ذرأ من الحراث والأنعام نصيباً وللشيطان مثله، فقالوا: ﴿هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾ كما اتبعها باجرو البحيرة، ومسيبو السوائب، فتحرموا على أنفسهم من طيب رزق الله الذي رزقكم ما حرموه، فتطيعوا بذلك الشيطان، وتعصوا به الرحمن.

وقال رحمه الله:

إن الشيطان لكم عدو يبغي هلاككم وصدكم عن سبيل ربكم، ﴿مُبِينٌ﴾ قد أبان لكم عداوته، بمناصبته أباكم بالعداوة، حتى أخرجه من الجنة بكيد،

وخدعه حسداً منه له، وبغياً عليه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: من الثمار والزروع والأنعام، فكلها خلقها الله، وجعلها رزقاً لكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طرائقه وأوامره كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله، أي: من الثمار والزروع افتراءً على الله ﴿إِنَّهُ لَكُمْ﴾ أي: إن الشيطان أيها الناس لكم ﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي: بين ظاهر العداوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وقال تعالى ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَىٰ كُفُّ الشَّيْطَانِ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسُهُمَا لِيَرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧] الآية، وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِيْ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] والآيات في هذا كثيرة في القرآن.



س: ما الأزواج الثمانية؟

ج: الأزواج الثمانية: هي المذكورة في الآيات الكرييات:

﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾: وهما الكبش والنعجة.

﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾: وهما الجدي والعنز.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ﴾: وهما الجمل والناقة.

﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾: وهما الثور والبقرة.

قال الطبري رحمه الله:

﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ فذلك أربعة؛ لأن كل واحد من

الاثنين من الضأن زوج، فالأنثى منه زوج الذكر، والذكر منه زوج الأنثى،

وكذلك ذلك من المعز ومن سائر الحيوان.

فلذلك قال جل ثناؤه: ﴿تَمَنِّيَةَ أَزْوَاجٍ﴾، كما قال: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]؛ لأن الذكر زوج الأنثى، والأنثى زوج الذكر، فهما وإن كانا اثنين فهما زوجان، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وكما قال: ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧].



س: لماذا أطلق عليهم ثمانية أزواج، والمذكور أربعة؟

ج: لأن كل صنف من الأصناف الأربعة فيه ذكر وأنثى، والذكر يقال عنه: زوجٌ للأنثى، فهو زوج، والأنثى يقال عنها: زوج للذكر، فهي زوج أيضًا فالجمل زوج للناقة، والناقة زوج للجمل فهذان إذاً زوجان، وكذا البقر والغنم والمعز.



س: وضح معنى الآية الكريمة ﴿تَمَنِّيَةَ أَزْوَاجٍ..﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أنزل الله لكم ثمانية أصناف (الكبش والنعجة، والجدى والعنز، والجمل والناقة، والثور والبقرة).

* أو ومن الأنعام حمولة وفرشا، وهي ثمانية أزواج.

أما قوله: ﴿قُلْ مَالِ ذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾ أي: قل لهؤلاء المشركين الذين حرموا ما أحل الله، قل لهم: ماذا حرم الله؟ أحرّم الله الكبش والجدى!!
فإذا كان حَرَمَهما فلماذا تأكلون لحومهما وتستمتعون بأصوافهما وجلودهما؟
أم أن الله حَرَّمَ النعجة والعنز!! فلماذا أيضًا تأكلون منهما وتستمتعون بأصوافهما!!

﴿أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ أم أن الذي حَرَّمه الله هو الأجنة في

البطون، فلماذا إذن تأكلون من الأجنة؟!!

فلن يجدوا جوابًا على ذلك، فأقوالهم في كل ذلك متضاربة متناقضة، ومن ثم قل لهم: ﴿يَتَّبِعُونِي يُعْلِمِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: إن كنتم صادقين في دعواكم فأتوني بدليل يظهر أن الله حَرَّمَ هذا ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم: أنها محرمة.

قال السمعاني في «تفسيره»:

﴿قُلْ أَلَّذِكَّرْتَنِي حَرَّمَ أَمْ أَلْأُنثِيَّتَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّتَيْنِ﴾ هذا في تحريمهم الوصيلة والبحيرة ونحوها، والآية في الاحتجاج عليهم، ومعنى هذا: أن الذي تدعون على الله من تحريمها إن كان بسبب الذكورة؛ فينبغي أن تحرم كل الذكور، وإن كان التحريم بسبب الأنوثة؛ فينبغي أن تحرم كل الإناث، وإن كان باشتغال الرحم عليه فينبغي أن يحرم كل ما اشتملت عليه الرحم، فأما تخصيص التحريم بالولد السابع والخامس فمن أين؟! ﴿يَتَّبِعُونِي يُعْلِمِ﴾ أخبروني بعلم (إن كان لكم به علم) ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

وفي هاتين الآيتين تقرير وتوبيخ من الله لأهل الجاهلية بتحريمهم ما لم يحرمه الله، وذكر الرازي وجهين آخرين في معنى هذه الآية ونسبها إلى نفسه فقال: إن هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم، بل هو استفهام على سبيل الإنكار، يعني: أنكم لا تقررون بنبوة نبي ولا تعترفون بشريعة شارع فكيف تحكمون بأن هذا يحل وهذا يحرم.

والوجه الثاني: أنكم حكمتكم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام مخصوصًا بالإبل فالله تعالى بيّن أن النعم عبارة عن هذه الأنواع الأربعة؛ وهي الضأن والمعز والبقر والإبل، فَلِمَ لم تحكموا بهذه الأحكام في هذه الأنواع الثلاثة وهي:

الضأن والمعز والبقر، فكيف خصصتم الإبل بهذا الحكم دون هذه الأنواع الثلاثة؟ انتهى.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: قل يا رسول الله لأهل الشرك الذين حرّموا ما أحل الله عزّ وجل وافتروا الكذب على الله، قل لهم: من أين أتاكم تحريم ما قد حرمتموه على أنفسكم وعلى غيركم، أجاؤكم رسولٌ من عند ربكم يتلو عليكم، وكان فيما تلى أن هذه الأشياء محرمة؟؟!! أم هل رأيتم ربكم عزّ وجل وشاهدتموه بأعينكم فأخبركم أنه حرّم هذه الأشياء أم من أين أتاكم التحريم؟!

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، فإنه أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيه ﷺ أن يقول لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين قص قصصهم في هذه الآيات التي مضت.

يقول له عزّ ذكره: قل لهم يا محمد: أي هذه سألتكم عن تحريمه حرم ربكم عليكم من هذه الأزواج الثمانية؟ فإن أجابوك عن شيء مما سألتهم عنه من ذلك، فقل لهم: أخيراً قلت: «إن الله حرم هذا عليكم»، أخبركم به رسول عن ربكم، أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصّاكم بهذا الذي تقولون وتزوّرون على الله؟ فإن هذا الذي تقولون من أخباركم عن الله أنه حرام بما تزعمون على ما تزعمون، لا يعلم إلا بوحى من عنده مع رسول يرسله إلى خلقه، أو بسماع منه، فبأي هذين الوجهين علمتم أن الله حرم ذلك كذلك، برسول أرسله إليكم، فأنبؤني بعلم إن

كنتم صادقين؟ أم شهدتم ربكم فأوصاكم بذلك، وقال لكم: «حرمت ذلك عليكم»، فسمعتهم تحريمه منه، وعهده إليكم بذلك؟ فإنه لم يكن واحد من هذين الأمرين.

يقول جل ثناؤه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يقول: فمن أشد ظلماً لنفسه وأبعد عن الحق ممن تحرّص على الله قيل الكذب، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرم، وتحليل ما لم يحلل، ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يقول: ليصدّهم عن سبيله، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول: لا يوفّق الله للرشد من افتري على الله وقال عليه الزور والكذب، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرم كفراً بالله وجحوداً لنبوة نبيه محمد ﷺ، وهذا تقرّع من الله جل ثناؤه العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام، الذين بحروا البحائر، وسيبوا السوائب، ووصلوا الوصائل، وتعليم منه نبيه ﷺ والمؤمنين به، الحجة عليهم في تحريمهم ما حرموا من ذلك.

فقال للمؤمنين به وبرسوله: وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات، ومن الأنعام أنشأ حمولة وفرشاً. ثم بيّن جل ثناؤه «الحمولة» و«الفرش»، فقال: «ثمانية أزواج».

وإنما نصب «الثمانية»؛ لأنها ترجمة عن «الحمولة»، و«الفرش»، وبدل منها. كأن معنى الكلام: ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج، فلما قدّم قبل «الثمانية» «الحمولة» و«الفرش»، بيّن ذلك بعد فقال: ﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ على ذلك المعنى.

وقال أيضاً:

ثم قال لهم: كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم، واركبوا هذه الحمولة أيها المؤمنون، فلا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما حرم هؤلاء الجهلة بغير أمري إياهم بذلك.

قل يا محمد لهؤلاء الذين حرّموا ما حرّموا من الحرث والأنعام اتباعاً

للسيطان من عبدة الأوثان والأصنام الذين زعموا أن الله حرم عليهم ما هم محرمون من ذلك: أذكرين حرم ربكم أيها الكذبة على الله من الضأن والمعز؟ فإنهم إن ادَّعوا ذلك وأقروا به، كذبوا أنفسهم وأبانونا جهلهم؛ لأنهم إذا قالوا: يحرم الذكرين من ذلك، أوجبوا تحريم كل ذكرين من ولد الضأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم الذكرين منها وظهورها، وفي ذلك فساد دعواهم وتكذيب قولهم، ﴿أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾ فإنهم إن قالوا: «حَرَّمَ رَبُّنَا الْأُنثَيْنِ»، أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم وظهورها.

وفي ذلك أيضًا تكذيب لهم، ودحض دعواهم أن ربهم حرم ذلك عليهم، إذ كانوا يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره، ﴿أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ يقول: أم حرم ما اشتملت علي أرحام الأنثيين، يعني: أرحام أنثى الضأن وأنثى المعز، فلذلك قال: ﴿أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾، وفي ذلك أيضًا لو أقروا به فقالوا: حرم علينا ﴿أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾، بطول قولهم وبيان كذبهم؛ لأنهم كانوا يقرّون بإقرارهم بذلك: أن الله حَرَّمَ عليهم ذكور الضأن والمعز وإنائها؛ أن يأكلوا لحومها أو يركبوا ظهورها، وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإنائها.

و «ما» التي في قوله: ﴿أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾: نصب عطفًا بها على ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾.

﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ يقول: قل لهم: خبروني بعلم ذلك على صحته: أي: ذلك حرم ربكم عليكم، وكيف حرم؟ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تنحلونه ربكم من دعواكم، وتضيفونه إليه من تحريمكم.

وإنما هذا إعلامٌ من الله جل ثناؤه نبيه أن كل ما قاله هؤلاء المشركون في

ذلك وأضافوه إلى الله، فهو كذب على الله، وأنه لم يحرم شيئاً من ذلك، وأنهم إنما اتَّبَعُوا في ذلك خطوات الشيطان، وخالفوا أمره.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وهذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام، فيما كانوا حرموا من الأنعام، وجعلوها أجزاء وأنواعاً: بحيرة وسائبة ووصيلة وحاماً، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها، في الأنعام والزروع والثمار، فبين تعالى أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات، وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشاً.

ثم بين أصناف الأنعام؛ إلى غنم؛ وهو بياض وهو الضأن، وسواد وهو المعز: ذكره وأنثاه، وإلى إبل: ذكورها وإناثها، وبقر كذلك، وأنه تعالى لم يحرم شيئاً من ذلك، ولا شيئاً من أولادها، بل كلها مخلوقة لبني آدم: أكلاً وركوباً، وحمولة وحلباً، وغير ذلك من وجوه المنافع، كما قال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةً أَرْوَجَ﴾ [الزمر: ٦] الآية.

وقال أيضاً رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾ تهكم بهم فيما ابتدعوه، وافتروه على الله من تحريم ما حرموه من ذلك: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: لا أحد أظلم منه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وأول من دخل في هذه الآية عمرو بن لحي بن قمعة؛ لأنه أول من غير دين الأنبياء، وأول من سيب السوائب، ووصل الوصيلة، وحما الحام، كما ثبت ذلك في «الصحيح».



س: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٧] كيف وقد هدى الله عز وجل عددًا من أهل الظلم؟

ج: لأهل العلم في ذلك جوابان:

أحدهما: أن المراد بالظالمين هنا: الظالمون الذين سبق في علم الله عز وجل أنهم سيموتون على الكفر، وقد كتبت عليهم الشقاوة.

الثاني: أن الله لا يهديهم ما داموا قائمين على ظلمهم، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً...﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى أمراً عبده ورسوله محمداً ﷺ: ﴿قُلْ﴾ هؤلاء الذين حرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ﴿لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ أي: أكل يأكله، قيل: معناه: لا أجد شيئاً مما حرمت حراماً سوى هذه، وقيل: معناه: لا أجد من الحيوانات شيئاً حراماً سوى هذه، فعلى هذا يكون ما ورد من التحريمات بعد هذا في سورة المائدة، وفي الأحاديث الواردة: رافعاً لمفهوم هذه الآية.

ومن الناس من يسمي هذا نسخاً، والأكثر من المتأخرين لا يسمونه نسخاً؛ لأنه من باب رفع مباح الأصل، والله أعلم.

وقال السعدي رحمه الله:

واختلف العلماء رحمهم الله في هذا الحصر المذكور في هذه الآية، مع أن ثمت محرمات لم تذكر فيها؛ كالسباع، وكل ذي مخلب من الطير ونحو ذلك.

فقال بعضهم: إن هذه الآية نازلة قبل تحريم ما زاد، على ما ذكر فيها. فلا

ينافي هذا الحصر المذكور فيها، التحريم المتأخر بعد ذلك؛ لأنه لم يجده فيما أوحى إليه في ذلك الوقت.

وقال بعضهم: إن هذه الآية مشتملة على سائر المحرمات، بعضها صريحاً وبعضها يؤخذ من المعنى وعموم العلة.

فإن قوله تعالى في تعليل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو الأخير منها فقط: ﴿فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾ وصف شامل لكل محرم.

فإن المحرمات كلها رجس وخبث، وهي من أخبث الخبائث المستقذرة التي حرمها الله على عباده صيانةً لهم وتكرمة عن مباشرة الخبيث الرجس، ويؤخذ تفاصيل الرجس المحرم من السنة، فإنها تفسر القرآن وتبين المقصود منه.

فإذا كان الله تعالى لم يحرم من المطاعم، إلا ما ذكر، والتحريم لا يكون مصدره إلا شرع الله - دل ذلك على المشركين الذين حرموا ما رزقهم الله مفترون على الله، متقولون عليه ما لم يقل. وفي الآية احتمال قوي لولا أن الله ذكر فيها الخنزير.

وهو: أن السياق في نقض أقوال المشركين المتقدمة في تحريمهم لما أحله الله وخوضهم بذلك بحسب ما سولت لهم أنفسهم، وذلك في بهيمة الأنعام خاصة. وليس منها محرم إلا ما ذكر في الآية: الميتة منها وما أهل لغير الله به، وما سوى ذلك فحلال. ولعل مناسبة ذكر الخنزير هنا على هذا الاحتمال، أن بعض الجهال قد يدخله في بهيمة الأنعام، وأنه نوع من أنواع الغنم، كما قد يتوهمه جهلة النصارى وأشباههم فينمونها، كما ينمون المواشي، ويستحلونها، ولا يفرقون بينها وبين الأنعام.

فهذا المحرم على هذه الأمة كلها، من باب التنزيه لهم والصيانة، وأما ما حرم على أهل الكتاب فبعضه طيب ولكنه حرم عليهم عقوبة لهم.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها محكمة. ولأرباب هذا القول في سبب إحكامها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها خبر، والخبر لا يدخله النسخ.

والثاني: أنها جاءت جواباً عن سؤال سألوه؛ فكان الجواب بقدر السؤال، ثم حُرِّم بعد ذلك ما حُرِّم.

والثالث: أنه ليس في الحيوان محرم إلا ما ذكر فيها.

والقول الثاني: أنها منسوخة بما ذكر في (المائدة) من المنخقة والموقوذة، وفي السنة من تحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير. وقيل: إن آية (المائدة) داخلة في هذه الآية؛ لأن تلك الأشياء كلها ميتة.



س: هل من الدماء شيء حلال تناوله؟

ج: نعم، هناك من الدماء ما هو حلال تناوله كالدم المتبقي مع اللحم بعد الذبح، والدم الذي في العروق، وكذا فهنالك الكبد والطحال، فقد قال ابن عمر رضي الله عنهما: أحلت لنا ميتتان ودمان؛ أما الدمان: فالكبد الطحال، وأما الميتتان: فالسمك والجراد.



س: هل يلزم إزالة أثر الدم الذي على اللحم بعد الذبح، وكذا الدم الذي في العروق؟

ج: لا يلزم إزالة ذلك الدم، وكذا لا يتبع الدم الذي في العروق لإزالته؛ لأن الله عز وجل إنما حَرَّمَ الدم المسفوح، وهو: المنصب المهرق.

ومن ثمَّ فقد روي عن عددٍ من أهل العلم أنهم قالوا لولا هذه الآية ﴿أَوْدَمَّا مَسْفُوحًا﴾ لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود.



س: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ رَجَسٌ﴾ عائذٌ على ماذا؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك عائذٌ على: الخنزير؛ لأنه أقرب مذكور، وقال آخرون: إنه عائذٌ على لحم الخنزير، وأياها كان فالمؤدي واحد فإذا كان اللحم رجسًا وهو أعظم ما ينتفع به - عند من ينتفعون به - فغيره من باب أولى كالشحم ونحوه، والله أعلم.

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿فَسَقًا﴾؟

ج: المراد: الذبائح التي ذُبحت على غير اسم الله، فهذا الصنيع يعدُّ فسقًا، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ...﴾ [الأنعام: ١٢١].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

ج: المعنى - والله أعلم -: فمن ألجأته الضرورة إلى الأكل مما سبق ذكره، وأنه محرم من الميتة والدم ولحم الخنزير، فأكل من ذلك ليس تلذذًا بل اضطرارًا، وكذا أكل القدر الذي ينقذه من التهلكة فإن ربك غفور رحيم له، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾، والصواب من القول فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا في «سورة البقرة» بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وأن معناه: فمن اضطر لأكل ما

حَرَّمَ اللهُ مَنْ أَكَلَ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ الْمَسْفُوحَ أَوْ لَحْمَ الْخَنزِيرِ أَوْ مَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللهِ بِهِ، غَيْرِ بَاغٍ فِي أَكْلِهِ إِيَّاهُ تَلَذُّذًا، لَا لِمُضْرُورَةٍ حَالَةٍ مِنَ الْجُوعِ، وَلَا عَادٍ فِي أَكْلِهِ بِتَجَاوُزِهِ مَا حَدَّهُ اللهُ وَأَبَاحَهُ لَهُ مَنْ أَكَلَهُ، وَذَلِكَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ مَا يَدْفَعُ عَنِ الْخَوْفِ عَلَى نَفْسِهِ بِتَرْكِ أَكْلِهِ مِنَ الْهَلَاكِ، لَمْ يَتَجَاوَزْ ذَلِكَ إِلَى أَكْثَرِ مِنْهُ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي أَكْلِهِ مَا أَكَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ ﴿غَفُورٌ﴾ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِإِبَاحَتِهِ إِيَّاهُ أَكَلَ ذَلِكَ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَلَوْ شَاءَ حَرَمَهُ عَلَيْهِ وَمَنَعَهُ مِنْهُ.



س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...﴾ الآية؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: قل لهؤلاء المعرضين عن الإيمان، الذين يجرمون ما أحله الله، ويحلون ما حرم الله، قل لهم: إنني لا أجِدُ في الوحي الذي أوحاه الله إليَّ والقرآن الذي أنزله الله عليَّ شيئًا محرَّمًا مما ذكرتموه، إنما الذي وجدته محرَّمًا ما كان ميتةً أو دمًا منصَّبًا مهراقًا أو لحم خنزير فإنه رجس - أي: نجس - وكذا فيما وجدته محرَّمًا عليَّ ما كان فسقًا أهْلٌ لغير الله به، أي: ذكر عليه اسم غير اسم الله عز وجل عند الذبح.

وقال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء الذين جعلوا الله ممَّا ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا، ولشركائهم من الآلهة والأنداد مثله، والقائلين: هذه أنعام وحرث حجرٌ لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم، والمحرِّمين من أنعام آخر ظهورها، والتاركين ذكر اسم الله على آخر منها، والمحرِّمين بعض ما في

بطن بعض أنعامهم على إناثهم وأزواجهم، ومحليه لذكورهم، المحرّمين ما رزقهم الله افتراءً على الله، وإضافةً منهم ما يجرمون من ذلك إلى أن الله هو الذي حرّمه عليهم: أجاكم من الله رسول بتحريمه ذلك عليكم، فأنبئونا به، أم وصاكم الله بتحريمه مشاهدةً منكم له، فسمعتم منه تحريمه ذلك عليكم فحرمتموه؟ فإنكم كذبة إن ادعيتم ذلك، ولا يمكنكم دعواه؛ لأنكم إذا ادعيتموه علم الناس كذبكم، فإني لا أجد فيما أوحى إلي من كتابه وآي تنزيله شيئاً محرّماً على آكل يأكله مما تذكرون أنه حرّمه من هذه الأنعام التي تصفون تحريم ما حرم عليكم منها بزعمكم، ﴿لَا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ قد ماتت بغير تذكية، ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ وهو المنصب، أو إلا أن يكون لحم خنزير ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ يقول: أو إلا أن يكون فسقاً يعني بذلك: أو إلا أن يكون مذبوحاً ذبحه ذابح من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلهته، فذكر عليه اسم وثنه، فإن ذلك الذبح فسقٌ نهى الله عنه وحرّمه، ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك؛ لأنه ميتة.

وهذا إعلام من الله جلّ ثناؤه للمشرّكين الذين جادلوا نبي الله وأصحابه في تحريم الميتة بما جادلوهم به، أن الذي جادلوهم فيه من ذلك هو: الحرام الذي حرّمه الله، وأن الذي زعموا أن الله حرّمه حلالٌ قد أحله الله، وأنهم كذبة في إضافتهم تحريمه إلى الله.



س: هل هناك أطعمة محرّمة غير المذكورة في الآية الكريمة؟ وما هذه الأطعمة؟

ج: نعم، هناك أطعمة حرّمت بسنة رسول الله ﷺ؛ فقد حرّم النبي ﷺ

لحوم الحمر الإنسية^(١)، وكذا حَرَّمَ كل ذي ناب من السباع، وكلّ ذي مخلب من الطير^(٢)، وغير ذلك.



س: حُرِّمت على بني إسرائيل جملة من الطيبات بسبب ذنوبهم ومعاصيهم وتعاليلهم على العباد وظلمهم، دَلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿فِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبِطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

* وقوله تعالى: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

* وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن بَغَىٰ عَنْ وَاثِقَةٍ ۖ إِنَّا وَاسِدُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].



(١) البخاري (٤٢١٦)، ومسلم (١٤٠٧).

(٢) مسلم (١٩٣٤) من حديث ابن عباس مرفوعاً.

والبخاري (٥٥٣٠)، ومسلم (١٩٣٢) يعضه من حديث أبي ثعلبة الخشني، ولفظه: نهى النبي ﷺ عن كل ذي مخلب من السباع.

س: ما الشحوم التي حرمها الله عزَّ وجل على اليهود؟

ج: المراد - والله أعلم -: كل الدهون ما عدا الدهون التي استثناه الله عزَّ وجل، والذي استثناه الله عزَّ وجل: هو الدهن الذي حملته الظهر أو الدهون التي حملتها الحوايا، وهي المباعر والتي منها الأمعاء، وكذا أحللنا لهم الشحوم (الدهون) المختلطة بالعظام وقد ألحق بعض العلماء شحم الألية والجنب بالمختلط بالعظم وألحقه بعضهم بالذي حملته الظهر، فالله أعلم.

وعلى ذلك فالشحوم التي في الكرش كانت محرمةً على اليهود.



س: ما المراد بالذي حملته الظهر؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى: المراد: شحوم الجنب وما علق بالظهر فإنها لم تحرم عليهم.



س: ما المراد بالحوايا؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

و﴿الْحَوَايَا﴾ جمع، واحدها «حاوية»، و «حاوية»، و «حوية»، وهي: ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار، وهي: بنات اللبن، وهي: «المباعر»، وتسمى: «المرابض»، وفيها الأمعاء.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن هذه الأشياء التي ذكر الله عزَّ وجل أنه

حرمها على بني إسرائيل (كالمذكور في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ يعني: الإبل والنعام والبط وغيرها مما لم يكن مشقوق القدمين، وكذا الشحوم المذكورة صفتها...) إنما حرمها الله عز وجل عليهم بسبب البغي والظلم كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿فَظَلِمَ مِمَّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

وليس التحريم كما زعم اليهود فنذر من يعقوب: (الذي هو إسرائيل) عليه السلام؛ وذلك لأن اليهود لما قيل لهم: حرمت عليكم هذه الأشياء لظلمكم وبغيكم و...، قالوا: لا، إنما ذلك محرم في شريعة يعقوب (الذي هو إسرائيل) عليه السلام فهو محرم كشرعة، ليس محرماً بسبب الذنوب، فكذبهم الله في قيلهم هذا، وقال: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۚ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وكذبهم الله أيضاً بقوله: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي: وإنا لصادقون فيما أخبرنا به من أسباب التحريم، وإنا لصادقون في كل ما نقول ومن خالفنا فهو الكاذب.

وصدق الله وهو أصدق القائلين ومن أصدق من الله قيلاً؟! ومن أصدق من الله حديثاً!!

قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فهذا الذي حرّمنا على الذين هادوا من الأنعام والطيور ذوات الأظافر غير المنفرجة، ومن البقر والغنم ما حرّمنا عليهم من شحومهما، الذي ذكرنا في هذه الآية حرّمناه.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿وَلِئَنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يقول: وإنا لصادقون في خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عما حرّمنا عليهم من الشحوم ولحوم الأنعام والطيور التي ذكرنا أنّا حرّمنا عليهم، وفي غير ذلك من أخبارنا، وهم الكاذبون في زعمهم أن ذلك إنما حرّمه إسرائيل على نفسه، وأنهم إنما حرّموه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه.



س: وما وجه العقوبة في تحريم بعض الأشياء على بني إسرائيل؟

ج: وجهها - والله أعلم -: أنهم إذا حُرِّمَت عليهم أشياء وفعلوا ما حرّمه الله عليهم فقد استوجبوا بذلك عقابًا وغضبًا من ربهم عزّ وجلّ، ومن ثمّ تحلّ عليهم العقوبات لأسباب منها: اقترافها المآثم وفعلهم ما حرّم الله عزّ وجلّ عليهم.

فلذلك - على سبيل المثال - لما حُرِّمَ عليهم الصيد يوم السبت واحتالوا واصطادوا عوقبوا بأن جعل منهم القردة، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

ولذا فإن نبينا محمد ﷺ قد قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»^(١) فما وجه المشقة؟

وجهها: أنه إذا أمرهم بالسواك عند كل صلاة ثم لم يستاكوا لعذبهم الله عزّ

(١) البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).

وجل، ولأنزل بهم العقوبة لمخالفتهم أمر نبيهم ﷺ، والله أعلم.



س: كانت العقوبات على بني إسرائيل تتمثل في أمور منها: تحريم الطيبات عليهم، وقطعاً فإن هذا لا يتأتى الآن في شأن أمة كامة محمد ﷺ بل ولا في غيرها من الأمم؛ لأن الدين قد كمل ببعثة النبي ﷺ إذ الله قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فلم يعد هناك نوع من العقوبات يتمثل في تحريم الحلال، فما صورة العقوبات التي يمكن إنزالها الآن؟

ج: العقوبات الآن للمخالفين تتمثل في أمور منها: زوال النعم عن العباد وحلول النقم بهم، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ [الأنفال: ٥٣] إلى غير ذلك من العقوبات، وقد تُدخر العقوبات للأخرة وذلك أشد وأنكى، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرْدُبْ أَسْهُ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾؟

ج: معنى ذلك - والله أعلم -: فإن كذبتك هؤلاء اليهود يا محمد فيما أخبرتهم به عما أحل الله لهم وما حرّم فقل لهم: ربكم - وإن كذبتُموني - رحيم بي وبمن آمن بي، وكذا هو رحيم بكم إذا لم يعاجلكم بالعقوبة بل فتح لكم باب التوبة، ولكن إذا تماديتُم على غيِّكم وضلالكم فعذاب الله حالٌ بكم ونقمته نازلةٌ عليكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: **فَإِنْ كَذَبَكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ أَنَا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ وَحَلَلْنَا لَهُمْ، كَمَا بَيْنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ﴾** بنا وبمن كان به مؤمناً من عباده، وبغيرهم من خلقه، **﴿وَأَسْعَى﴾** تسع جميع خلقه، المحسن والمسيء، لا يعاجل من كفر به بالعقوبة، ولا من عصاه بالنقمة، ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه، ولا يجرمه ثواب عمله، رحمة منه بكلا الفريقين، ولكن بأسه وكذلك سطوته وعذابه، لا يردُّه إذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شيء، و«المجرمون» هم الذين أجزموا فاكْتَسَبُوا الذنوب واجترحوا السيئات.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: **فَإِنْ كَذَبَكَ يَا مُحَمَّدُ مَخَالِفُوكَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ وَمَنْ شَابَهُمْ ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَأَسْعَى﴾** وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة واتباع رضوانه، **﴿وَلَا يُرَدُّ بِأَسْءُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾** ترهيب لهم من مخالفتهم الرسول خاتم النبيين، وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن، كما قال تعالى في آخر هذه السورة: **﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [الأنعام: ١٦٥]، وقال: **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الرعد: ٦]، وقال تعالى: **﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (٤١) **وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾** [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: **﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾** [غافر: ٣]، وقال: **﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾** (١٤) **إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ﴾** (١٣) **وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾** [البروج: ١٢-١٤] والآيات في هذا كثيرة جداً.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا آبَاؤُنَا...﴾؟

ج: الظاهر: أن المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أهل الشرك قالوا مجادلين لرسولنا محمد ﷺ: إن الله رضي منا عبادة الأوثان والأصنام، ورضي منا تحليل ما أحللناه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وتحريم ما حرمناه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ولو أراد غير ذلك منا لمنعنا منه فكذبهم الله عز وجل في قولهم: إن الله قد رضي منهم عبادة الأوثان والأصنام وتحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، فالله لا يرضى بذلك من عباده وهم في قبيلهم هذا وافترأهم هذا وتكذيبهم الرسول ﷺ فيما أخبر به عن الله عز وجل قد سلكوا مسلك من قبلهم من الأمم المكذبة لرسولها المعاندة المجادلة لهم، فاستمر بهم تكذبهم إلى أن حلَّ بهم بأس ربهم ونزلت بهم نعمته ولحق بهم عذاب.

قال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركي قريش ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ يقول: قالوا احتجاجاً من الإذعان للحق بالباطل من الحجة، لما تبين لهم الحق، وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين من شركهم، وتحريمهم ما كانوا يحرمون من الحروث والأنعام على ما قد بين تعالى ذكره في الآيات الماضية قبل ذلك: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ وما بعد ذلك: لو أراد الله منا الإيثار به، وإفراجه بالعبادة دون الأوثان والآلهة، وتحليل ما حرم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا، ما جعلنا لله شريكاً، ولا جعل ذلك له آبائنا من قبلنا، ولا حرماً ما

نحرمه من هذه الأشياء التي نحن على تحريمها مقيموا؛ لأنه قادر أن يحول بيننا وبين ذلك حتى لا يكون لنا إلى فعل شيء من ذلك سبيل: إما بأن يضطرنا إلى الإيمان وترك الشرك به وإلى القول بتحليل ما حرمنا، وإما بأن يُلطف بنا بتوفيقه فنصير إلى الإقرار بوحدانيته وترك عبادة ما دونه من الأنداد والأصنام، وإلى تحليل ما حرمنا، ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الأوثان والأصنام واتخاذ الشريك له في العبادة والأنداد، وأراد ما نحرم من الحروث والأنعام، فلم يُحل بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك.

قال الله مكذباً لهم في قلوبهم: «إن الله رضي منا ما نحن عليه من الشرك، وتحريم ما نحرم» وراداً عليهم باطل ما احتجوا به من حجتهم في ذلك ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يقول: كما كذب هؤلاء المشركون يا محمد ما جئتهم به من الحق والبيان، كذب من قبلهم من فسقة الأمم الذي طغوا على ربهم ما جاءتهم به أنبيأؤهم من آيات الله وواضح حججه، وردوا عليهم نصائحهم، ﴿حَتَّى دَاوُّوا بِأَسْنَانِهِمْ﴾ يقول: حتى أسخطونا فغضبنا عليهم، فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه، فعطبوا بذوقهم إياه، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة.

يقول: وهؤلاء الآخرون مسلوكة بهم سبيلهم، إن هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدقوا بما جئتهم به من عند ربهم.

ثم قال رحمه الله:

فإن قال قائل: وما برهانك على أن الله تعالى إنما كذب من قيل هؤلاء المشركين قولهم: «رضي الله منا عبادة الأوثان، وأراد منا تحريم ما حرمنا من الحروث والأنعام» دون أن يكون تكذيبه إياهم كان على قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ وعلى وصفهم إياه بأنه قد شاء شركهم

وشرك آبائهم، وتحريمهم ما كانوا يحرمون؟

قيل له: الدلالة على ذلك قوله: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم سلكوا في تكذيبهم نبيهم محمداً ﷺ فيما أتاهم به من عند الله - من النهي عن عبادة شيء غير الله تعالى ذكره، وتحريم غير ما حرم الله في كتابه وعلى لسان رسوله - مسلك أسلافهم من الأمم الخالية المكذبة الله ورسوله. والتكذيب منهم إنما كان لمكذب، ولو كان ذلك خبراً من الله عن كذبهم في قيلهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ لقال: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بتخفيف «الذال»، وكان ينسبهم في قيلهم ذلك إلى الكذب على الله، لا إلى التكذيب، مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا، فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان، أو يحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك؛ ولهذا قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الزخرف: ٢٠]، وكذلك الآية التي في النحل مثل هذه سواء، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء، وهي حجة داحضة باطلة؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه، ودمر عليهم، وأدال عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام.

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي: بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي: فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي: الوهم والخيال، والمراد بالظن ههنا: الاعتقاد الفاسد ﴿وَإِن أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ أي: تكذبون على الله فيما ادعيتموه.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي: إذا لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ فجعلوا هذا حجة لهم في إقامتهم على الباطل؛ فكأنهم قالوا: لو لم يرض ما نحن عليه، لحال بيننا وبينه، وإنما قالوا ذلك مستهزئين ودافعين للاحتجاج عليهم، فيقال لهم: لم تقولون عن مخالفيتكم إنهم ضاللون، وإنما هم على المشيئة أيضاً؟ فلا حجة لهم؛ لأنهم تعلّقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر، ومشية الله تعمّ جميع الكائنات، وأمره لا يعمّ مراداته، فعلى العبد اتباع الأمر، وليس له أن يتعلّل بالمشيئة بعد ورود الأمر.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ إن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ؟

ج: المعنى - والله أعلم -: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين زعموا أن الله عز وجل رضي منهم الشرك الذي هم عليه ورضي منهم تحليل ما حرم عليهم وتحريم ما أحل لهم، قل لهم: هل عندكم علم بأن الله عز وجل رضي بذلك فلتظهروا لنا هذا العلم، أوحى أوحاه الله إليكم؟! أم أنزل ذلك على

لسان رسولٍ قبلي؟! أم ماذا؟

كلا، فما حدث شيءٌ من ذلك ولكنكم ما تتبعون حقاً، إنما تتبعون الظنون الباطلة والأمانى الخادعة وما أنتم بصادقين في قيلكم فما أنتم إلا تقولون الباطل على الله عز وجل وتفترون الكذب عليه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين ببرهم الأوثان والأصنام المحرمين ما هم له محرمون من الحروث والأنعام القائلين: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾، ولكنه رضي منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم ﴿هَلْ عِنْدَكُمْ﴾، - بدعواكم ما تدعون على الله من رضاه بإشراككم في عبادته ما تشركون، وتحريمكم من أموالكم ما تحرمون - علمُ يقين من خبر مَنْ يقطع خبره العذر، أو حجة توجب لنا اليقين من العلم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾، يقول: فتظهروا ذلك لنا وتبينوه، كما بينا لكم مواضع خطأ قولكم وفعلكم، وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع، ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يقول له: قل لهم: إن تقولون ما تقولون أيها المشركون، وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون، وتحرمون من الحروث والأنعام ما تحرمون، إلا ظناً وحسباناً أنه حق، وأنكم على حق وهو باطلٌ وأنتم على باطل، ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ يقول: ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ﴾ وما أنتم في ذلك كله ﴿إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾، يقول: إلا تقولون الباطل على الله، ظناً بغير يقين علم ولا برهان واضح.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: قل يا رسول الله هؤلاء الذين عجزوا عن الإتيان بعلمٍ يثبت لهم صحة ما قالوه وتقولوه على الله، قل لهم: إن الحجة البالغة إنما هي لله على خلقه فقوله سبحانه غالب لقول الأقوال وقاطع لكل الأعذار، ولكنه سبحانه أراد لكم الزيف ولو شاء لهداكم ووفقكم لقبول الحق.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام القائلين على ربهم الكذب في تحريمهم ما حرموا من الحروث والأنعام، إن عجزوا عن إقامة الحجة عند قبلك لهم: ﴿هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ﴾ بما تدعون على ربكم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره، وهم لا شك عن ذلك عجزوا، وعن إظهاره مقصرون؛ لأنه باطل لا حقيقة له، ﴿فَلِلَّهِ﴾ الذي حرم عليكم أن تشركوا به شيئاً، وأن تتبعوا خطوات الشيطان في أموالكم من الحروث والأنعام، ﴿الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ دونكم أيها المشركون، ويعني: بـ ﴿الْبَلِغَةُ﴾ أنها تبلغ مراده في ثبوتها على من احتج بها عليه من خلقه، وقطع عذره إذا انتهت إليه فيما جعلت حجة فيه.

﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يقول: فلو شاء ربكم لوفقتكم أجمعين للإجماع على إفراده بالعبادة، والبراءة من الأنداد والآلهة، والدينونة بتحريم ما حرم الله وتحليل ما حلله الله، وترك اتباع خطوات الشيطان، وغير ذلك من طاعاته، ولكنه لم يشأ ذلك فخالف بين خلقه فيما شاء منهم، فمنهم كافر ومنهم مؤمن.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يقول تعالى لنبية ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ أي: له الحكمة التامة،

والحجة البالغة، في هداية من هدى، وإضلال من أضل ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَكُمُ أَجْمَعِينَ﴾ فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين، ويبغض الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٩٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿[هود: ١١٨، ١١٩] قال الضحاك: لا حجة لأحد عصي الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمُّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: قل يا رسول الله لهؤلاء الذين تخاصمهم ويجادلونك من أهل الشرك والافتراء: هاتوا يا هؤلاء شهودكم الذين يشهدون لكم أن الله حَرَّمَ ما تذكرونه من المحرمات كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك، فإن أتوا بشهداء زور يشهدون لهم بذلك فلا تشهد معهم ولا تنساق وراء ما تُمليه عليهم أهواؤهم وشياطينهم ولا تنخدع بآراء هؤلاء المكذبين بالآيات المنكرين للبعث والحساب والثواب والعقاب، هؤلاء الذين جعلوا لله أندادًا وأمثالًا ونظراء.

قال الطبري رحمه الله:

قال الله لنبيه: ﴿إِنْ شَهِدُوا﴾ يقول: يا محمد، فإن جاءوك بشهداء يشهدون

أن الله حرم ما يزعمون أن الله حرمه عليهم ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فإنهم كذبة وشهود زور في شهادتهم بما شهدوا به في ذلك على الله. وخاطب بذلك جل ثناؤه نبيه ﷺ، والمراد به أصحابه والمؤمنون به. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يقول: ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحى الله وتنزيله في تحريم ما حرم وتحليل ما أحل لهم، ولكن اتبع ما أوحى إليك من كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ يقول: ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة فتكذب بما هم به مكذبون من إحياء الله خلقه بعد مماتهم، ونشره إياهم بعد فنائهم، ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يقول: وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات، وجودهم قيام الساعة بالله يعدلون الأوثان والأصنام، فيجعلونها له عدلاً ويتخذونها له ندّاً يعبدونها من دونه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾ أي: أحضروا شهداءكم ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ أي: هذا الذي حرّمتموه وكذبتم وافترىتم على الله فيه ﴿إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذباً وزوراً ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يشركون به ويجعلون له عديلاً.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ أمره الله سبحانه أن يقول لهؤلاء المشركين: هاتوهم وأحضروهم.

قال السدي: أروني شهداءكم، وهلم: اسم فعل يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع عند أهل الحجاز وأهل نجد يقولون: هلمّا هلمّي هلموا،

فينطقون به كما ينطقون بسائر الأفعال، وبلغه أهل الحجاز نزل القرآن ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨] والأصل عند الخليل: ها ضمت إليها لم.

وقال غيره: أصلها هل زيدت عليه الميم، وفي «كتاب العين» للخليل: أن أصلها هل أؤم أي: هل أقصدك، ثم كثر استعمالهم لها، وهذا أيضًا من باب التبكيت لهم حيث يأمرهم بإحضار الشهود على أن الله حرّم تلك الأشياء مع علمه أنه لا شهود لهم لتلزمهم الحجة، ويظهر ضلالهم، وأنه لا متمسك لهم سوى تقليدهم، ولذلك قيد الشهداء بالإضافة إليهم الدالة على أنهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم.



﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وَأَيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا
النَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا
تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ
وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ
كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ
ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ
مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ
عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ
أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ
رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِبَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا
سَجَزَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ
 رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ
 كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ
 وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا
 يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا
 يُجْزَى إِلَّا أَمْلًا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ
 صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ
 أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ
 كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ
 بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضَ وَرَفَعَ
 بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ
 وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿[الأنعام: ١٥١ - ١٦٥]﴾.

س: وضع معنى ما يلي:

﴿أَلَا تُشْرِكُوا﴾ - إِمْلَقِي - الْفَوَاحِشَ - مَا ظَهَرَ - وَمَا بَطَنَ - إِلَّا بِالْحَقِّ -
 إِلَّا بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ - حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ - أَوْفُوا - بِالْقِسْطِ - لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
 وُسْعَهَا - فَأَعْدِلُوا - ذَاقُرْنِي - وَعِهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا - تَذَكَّرُونَ - صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
 - السُّبُلَ - مُبَارَكٌ - فَاتَّبِعُوهُ - لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ - عَنْ دِرَاسَتِهِمْ - بَيْنَهُ مِنْ
 رَبِّكُمْ - وَصَدَفَ - يَصْدِفُونَ - كَسَبَتْ فِي إِيْمَنِهَا خَيْرًا - شَيْعًا - لَا يُظْلَمُونَ -
 قِيمًا - حَنِيفًا - وَنُكْيَ - وَمَحْيَا - وَمَمَافٍ - أُنِغَى - رَبًّا - وَلَا تَكْسِبُ - وَلَا تُزِرُ -
 وَارِزَّةٌ - وَزَرَ - خَلَّتِيفَ - غَفُورٌ؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَلَا تُشْرِكُوا﴾	أن تشركوا
﴿إِمْلَقِي﴾	فقر - جوع
﴿الْفَوَاحِشَ﴾	ما فحش من الأقوال والأعمال
﴿مَا ظَهَرَ﴾	ما أعلن
﴿وَمَا بَطَنَ﴾	ما خفي
﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾	إلا للأسباب التي أباح الله فيها القتل
﴿إِلَّا بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	إلا بالطريقة التي هي أفضل
﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾	حتى يبلغ الحُلُم (حتى يحتلم) والعقل والرشاد
﴿أَوْفُوا﴾	أتموا - أعطوهم الحقوق تامة
﴿بِالْقِسْطِ﴾	بالعدل

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا وِزْرًا وَلَا تُلْغِي عَنْهَا لَظْفًا﴾	لا نحمل نفساً فوق طاقتها - لا نؤاخذ نفساً بما لا تطيقه ولا تستطيعه
﴿فَاعْدِلُوا﴾	تكلموا بالحق - احكموا بالحق
﴿وَذَاقُوا﴾	من الأقارب والأرحام
﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾	قوموا بأوامر الله عز وجل وانتهوا عما نهاكم عنه
﴿تَذَكَّرُونَ﴾	تذكروا عواقب الأمور فتتذكرون عما أنتم فيه من الشرك والعصيان - تتعظون وتعتبرون
﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾	طريقي الموصل إلى مرضاتي الذي لا اعوجاج فيه ولا ميل ولا انحراف، وهو طريق الإسلام
﴿السُّبُلِ﴾	الضلالات - الطرق - الملل الأخرى غير ملة الإسلام
﴿مُبَارَكٌ﴾	كثيرة بركته - كثير خيره
﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾	اجعلوه إماماً وقائداً لكم تتبعونه وتعملون بما فيه - امثلوا أمره واجتنبوا نهيه وصدقوا أخباره
﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾	ليرحمكم ربكم فينجيكم من عذابه وأليم عقابه ويسكنكم فسيح جناته
﴿عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾	عن تلاوتهم - دراسة أخبارهم والاطلاع عليها - ما يتلونه من الكتب التي أنزل الله لهم
﴿يَسْئَلُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	حجة من ربكم واضحة ظاهرة - يحتج بها عليكم إذا أنكرتم
﴿وَصَدَفَ﴾	أعرض عنها

يَعْرِضُونَ	﴿يَصْدِقُونَ﴾
عملت أعمال بر وهي مؤمنة - انتفعت بإيمانها	﴿كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾
فِرْقًا - أحزابًا	﴿شِيْعًا﴾
لا يبخسون شيئًا من حقوقهم - أرشدني ووقفني	﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾
مستقيما - قويمًا	﴿قِيَمًا﴾
مائلًا عن الشرك إلى التوحيد	﴿حَنِيفًا﴾
ذبحي، ومن النسك الذبح (في الحج والعمرة) - وقيل: النسك العبادة	﴿وَنُسْكِ﴾
حياتي	﴿وَمَحْيَايَ﴾
وفاتي	﴿وَمَمَاتِي﴾
أطلب	﴿أَتَّبِعِي﴾
سيدًا - مُدبرًا يدبر أمري - معلمًا يصلح شأني - إلهًا	﴿رَبًّا﴾
لا تجرح إثمًا إلا عليها	﴿وَلَا تَكْسِبُ﴾
لا تحمل - لا تأثم	﴿وَلَا تُزِرُ﴾
حاملة - آثمة	﴿وَأِزْرَةً﴾
حمل	﴿وَزَرَ﴾
جمع خليفة - تخلفون غيركم - تأتون من بعدهم	﴿خَلِيفَ﴾
سائر ذنوب من ابتلي	﴿عَفْوَ﴾



س: هل هذه الآية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾
نظائر في التوراة؟

ج: أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال:
سمع كعب الأحبار رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾
فقال: والذي نفس كعب بيده، إن هذا لأول شيء في التوراة: «بسم الله الرحمن
الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ
عَلَيْكُمْ أَلا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: قل يا رسول الله هؤلاء المفترين الذين كذبوا
على الله وحرّموا ما لم يحرمه الله عزّ وجل: يا هؤلاء تعالوا أقرأ عليكم من الكتاب
المنزل علي من عند الله عزّ وجل ما حرمه ربكم عليكم، أتل عليكم ذلك بالحق،
لا بالكذب ولا بالافتراء كما صنعتُم أنتم وكما تقولتم بالباطل، ولكن أقرأه عليكم
كما أنزل علي، إن الذي حرّمه ربكم عليكم الشرك به.

فقوله تعالى: ﴿أَلا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ معناه: أن تشركوا به شيئاً، فمن العلماء
من قال إن (لا) صلة لتقوية الكلام؛ كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾
[الأعراف: ١٢].

ومنهم من قال: إن المعنى: قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، أتل أن لا
تشركوا به شيئاً.

قال الطبري رحمه الله:

وأما «أن» في قوله: ﴿أَلا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، فرفع؛ لأن معنى الكلام: قل

تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، هو أن لا تشركوا به شيئاً.
وإذا كان ذلك معناه، كان في قوله: ﴿تُشْرِكُوا﴾، وجهان:
الجزم بالنهى، وتوجيه «لا» إلى معنى النهي.

والنصب، على توجيه الكلام إلى الخبر، ونصب ﴿تُشْرِكُوا﴾ بـ «أن لا»، كما
قال: «أمرت أن لا تقوم».

وإن شئت جعلت «أن» في موضع نصب، ردّاً على «ما» وبيناً عنها، ويكون
في قوله: ﴿تُشْرِكُوا﴾، أيضاً من وجهي الإعراب، نحو ما كان فيه منه. و«أن» في
موضع رفع.

ويكون تأويل الكلام حينئذ: قل: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، أتل أن
لا تشركوا به شيئاً.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وأما تفسيرها: فيقول تعالى لنبية ورسوله محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء
المشركين الذين عبدوا غير الله، وحرموا ما رزقهم الله، وقتلوا أولادهم، وكل
ذلك فعلوه بأرائهم وتسويل الشياطين لهم ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿تَعَالَوْا﴾ أي: هلموا
وأقبلوا ﴿أَتْل مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أقص عليكم، وأخبركم بما حرم
ربكم عليكم، حقاً لا تخرصاً ولا ظناً، بل وحيّاً منه وأمرّاً من عنده ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئاً﴾ وكأن في الكلام محذوفاً دل عليه السياق، وتقديره: وأوصاكم ﴿أَلَا تُشْرِكُوا
بِهِ شَيْئاً﴾؛ ولهذا قال في آخر الآية: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

قال السمعاني في «تفسيره»:

قوله - تعالى - ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْل مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾؛
لأنهم سألوه: أيش الذي حرم الله - تعالى -؟ فنزل قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْل مَا حَرَّمَ

رُبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴿ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: اللهُ - تعالى - ما حرم ترك الشرك بل أمر به،
فما معنى قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾؟

فيه جوابان:

أحدهما: أن قوله «لا» صلة، وتقديره: أن تشركوا؛ فعلى هذا استقام الكلام.
والثاني: أن قوله: ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ كلام تام. (ثم) قوله:
﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ ابتداء كلام. وإذا قدر هكذا استقام الكلام أيضًا.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ «ما» بمعنى:
«الذي». وفي «لا» قولان:

أحدهما: أنها زائدة كقوله: «تعالى»: «أن لا تسجد».

والثاني: أنها ليست زائدة، وإنما هي باقية؛ فعلى هذا القول، في تقدير الكلام
ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يكون قوله: «أن لا تشركوا»، محمولاً على المعنى؛ فتقديره: أتل
عليكم أن لا تشركوا، أي: أتل تحريم الشرك.

والثاني: أن يكون المعنى: أوصيكم أن لا تشركوا؛ لأن قوله «تعالى»:
﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين إحسانًا، ذكرهما
الزجاج.

والثالث: أن الكلام تمَّ عند قوله: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾. ثم في قوله:
﴿عَلَيْكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنها إغراء، كقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. فالتقدير:

عليكم أن لا تشركوا، ذكره ابن الأنباري.

والثاني: أن يكون بمعنى: فرض عليكم، ووجب عليكم أن لا تشركوا وفي هذا الشرك قولان:

أحدهما: أنه ادعاء شريك مع الله عز وجل.

والثاني: أنه طاعة غيره في معصيته.



س: ما المراد بالشرك، وما حقيقته؟

ج: قال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن»:

وحقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق، كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله، وصار موحدًا، مخلصًا لله في جميع أحواله.



س: اذكر بعض الآيات المحذرة من الشرك؟

ج: من الآيات الواردة في ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

* وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

* وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي

بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ﴾ [الحج: ٣١].

* وقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾ فبدأ بالشرك.

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].



س: كثيراً ما يقرن الأمر بالإحسان للوالدين مع الأمر بعبادة الله عز وجل، وكذا يقرن النهي عن الشرك بالنهي عن العقوق، اذكر بعض أدلة ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ووصية لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ [لقمان: ١٣، ١٤].

ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

أخرج البخاري ومسلم^(١) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ» قلنا: بلى يا رسول الله. قال ثلاثاً: «الإِشْرَاقُ بالله، وَعَقْوُوقُ الْوَالِدَيْنِ» وكان متكئاً فجلس فقال: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ» فما زال يقولها، حتى قُلت: لا يسكت.

وعند البخاري^(١) ومسلم أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر - أو سئل عن الكبائر - فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين».

فقال: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» قال: «قول الزور، أو شهادة الزور» قال شعبة: فأكثر ظني أنه قال: شهادة الزور.

فجاء العقوق - في ترتيب الجرائم - بعد الشرك بالله عز وجل، فكما أن بر الوالدين جاء بعد الأمر بالتوحيد، في أعمال البر، فكذلك ففي المقابل جاء النهي عن العقوق وبيان خطره بعد النهي عن الشرك.

فسبحان الله، جاء العقوق قبل الزنا والقتل والعياذ بالله، وبلا شك فللعقوق مراتب ودركات.



س: في قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ مقدر محذوف وضحه؟

ج: هذا المقدر هو وأوصى بالوالدين إحساناً، والله أعلم.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: لا تقتلوا أولادكم بسبب فقر ألم بكم، أو خشية فقر تتوقعونه بسببهم؛ فإن الله هو رازقكم ورازقهم.
ولقد ذكر النبي ﷺ الكبائر فقال: «... وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ».

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾
لما أوصى تعالى ببر الآباء والأجداد، عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾؛ وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم، كما سولت لهم الشياطين ذلك، فكانوا يثدون البنات خشية العار، وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار، ولهذا ورد في «الصحيحين»: من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قلت: يا رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قلت: ثم أي؟ قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قلت: ثم أي؟ قال: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»^(١)، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ قال ابن عباس، وقتادة، والسدي، وغيره: هو الفقر؛ أي: ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل، وقال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] أي: لا تقتلوهم خشية حصول فقر في الآجل، ولهذا قال هناك: ﴿تَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي: لا تخافوا

من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله، وأما هنا فلما كان الفقر حاصلًا قال: ﴿تَحْنُ نَزْرُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ لأنه الأهم ها هنا، والله أعلم.



س: وضع المراد بالفواحش ما ظهر منها وما بطن؟

ج: الفواحش: ما فحش من الأقوال والأفعال، وقد تطلق على الزنا خاصة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].
وقد تطلق على نكاح امرأة الأب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

والمعنى إجمالاً: لا تقتربوا من الفواحش عمومًا ولا تفعلوها سواء الظاهر منها المعلن، أو المخفي منها الباطن، هذا، ومن العلماء من قال: إن ظاهر الفواحش: كان منه نكاح البغايا اللواتي يعلقن رايات على البيوت، والباطن: الزنا واتخاذ العشيقات.

وقيل المراد بظاهر الفواحش: الجمع بين الأختين في الزواج والباطن: الزنا، والله أعلم.

قال السمعاني في «تفسيره»:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ هذا نهي عن أنواع الزنا سرًا وعلنًا، وكانت الزواني في الجاهلية على نحوين: كانت لبعضهن رايات على الأبواب، علمًا لمن أراد الزنا؛ كن يزني علنًا، وأخريات كن يزني سرًا. فهذا المراد بالفواحش ما ظهر منها وما بطن.



س: اذكر بعض الأدلة الزاجرة عن الفواحش؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنْمِرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنْمِرَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبْرَ الْإِنْمِرِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّعَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

وفي الحديث: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»^(١).



س: ما المراد بالنفس التي حرمها الله عز وجل؟

ج: المراد: النفس المسلمة، أو النفس الذمية المعاهدة.



س: ما المراد بالحق الذي به تقتل نفس مسلمة؟

ج: من ذلك ما ورد عن رسول الله؛ إذ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا

بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(٢).

(١) البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩).

(٢) البخاري (حديث ٦٨٧٨)، ومسلم (حديث ١٦٧٦).

وكذا منه ما ورد في شأن قطاع الطريق المفسدين في الأرض؛ إذ الله تعالى قد قال: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

ومن ذلك أيضًا قتال الفئة الباغية، قال تعالى: ﴿وَلِإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].



س: اذكر بعض الوارد في النهي عن قتل الذمي المعاهد؟

ج: من ذلك حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ربحها ليجد من مسيرة أربعين عامًا^(١)».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: هذه الأمور التي تلونها عليكم؛ إذ قلنا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنِ اتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ هي وصايا عظيمة، وصى بها الله عباده على العموم ليعملوا بها، وليعقلوا ما وصاكم ربهم به .

قال الطبري رحمه الله:

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني: هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا نأتيه وأن لا

ندعه، هي الأمور التي وصّانا والكافرين بها أن نعمل جميعًا به، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، يقول: وصاكم بذلك لتعقلوا ما وصاكم به ربكم.



س: اذكر بإيجاز بعض علامات البلوغ؟

ج: من ذلك ما يلي:

الاحتلام: وذلك لما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «وأما الصبي فينقطع عنه اليتيم إذا احتلم»^(١).

الإنبات: أي: إنبات شعر حول العانة؛ وذلك لأن سعد بن معاذ لما حكم - رضي الله عنه - في اليهود أن تقتل مقاتلتهم كانوا ينظرون إلى الصبي المشكوك في أمره إذا وجدوا شعرًا قد نبت له حول فرجه (أي: شعر العانة) قتل، وإلا ترك.

الثالث: بلوغ الخامسة عشر؛ وذلك لأن ابن عمر رضي الله عنهما عرض على النبي ﷺ يوم أحد وعمره أربعة عشر عامًا فردّه النبي ﷺ، وعرض عليه يوم الأحزاب وعمره خمسة عشر عامًا فقبله^(٢) النبي ﷺ.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

والبلوغ يكون بعلامات كثيرة: كالإنبات، واحتلام الغلام، وحيض الجارية، وحملها، وأكثر أهل العلم على أن سن البلوغ خمس عشرة سنة.



(١) أحمد (١/٢٢٤-٢٩٤-٣٠٨).

(٢) البخاري (٤٠٩٧).

س: اذكر بعض الآيات المحذرة من أكل أموال اليتامى ظلماً؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

ومن السبع الموبقات: كما ذكر رسول الله ﷺ: «أكل مال اليتيم»^(١).



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؟

ج: المراد بذلك - والله تعالى أعلم -: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالطريقة التي هي أحسن الطرق، وذلك كاستثماره في شيء حلال أو الإتجار به في تجارة حلال لصالح اليتيم.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ إنما خص مال اليتيم؛ لأن الطمع فيه، لقلة مراعيه وضعف مالكة؛ أقوى. وفي قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه أكل الوصي المصلح للمال بالمعروف وقت حاجته.

والثاني: التجارة فيه.

والثالث: أنه حفظه له إلى وقت تسليمه إليه.

والرابع: أنه حفظه عليه، وثمرته له، قاله الزجاج: قال: و «حتى» محمولة على المعنى؛ فالمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشده، فإذا بلغ أشده، فادفعوه إليه.



س: ما المراد ببلوغ الأشد؟

ج: قال بعض العلماء: المراد: بلوغ الحلم، وقال آخرون: بل المراد ببلوغ الأشد بلوغ الثلاثين عامًا.
قال الطبري رحمه الله:

وفي الكلام محذوف، ترك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ظهر عما حذف، وذلك أن معنى الكلام: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾، فإذا بلغ أشده فأنستم منه رشدًا، فادفعوا إليه ماله؛ لأنه جل ثناؤه لم ينه أن يقرب مال اليتيم في حال يتمه إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، ليحلّ لوليه بعد بلوغه أشده أن يقربه بالتي هي أسوأ، ولكنه نهاهم أن يقربوه حياطة منه له، وحفظًا عليه، ليسلموه إليه إذا بلغ أشده.



س: إذا بلغ اليتيم الحلم ولم يكن مع ذلك رشيدًا، هل يدفع إليه المال؟

ج: ذهب إلى جواز إعطائه ماله في الحالة هذه فريق من العلماء؛ وذلك لقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ فقالوا: إذا بلغ الأشد دفع إليه ماله، وأولوا الأشد بأنه بلوغ النكاح.

بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن: اليتيم لا يعطى المال، - وإن بلغ

الأشد - إلا إذا آنسنا منه رشدًا؛ وذلك قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ...﴾ [النساء: ٦].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وأتموا يا من تبيعون سلحكم للناس المكايل والموازين، فإذا كِلْتُمُ للناس فأعطوهم حقوقهم كاملةً مستوفاة بالعدل لا تبخسوهم شيئاً منها، وكذا إذا وزنتم لهم فأتموا لهم حقوقهم.



س: لماذا عُتِبَ قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؟

ج: في ذلك وجهان - والله تعالى أعلم -:

أحدهما: أن الله أمر البائع بإيفاء الكيل والميزان بالعدل، ولم يأمره بأكثر من ذلك فقد علم الله عزَّ وجل أن نفوس بني آدم شحيحة فقد لا تطيب بإعطاء الشخص أكثر من حقه، فأمر الشخص بإيفاء الناس حقوقهم، ولم يؤمر بأكثر من ذلك.

وكذا المشتري قد علم الله أن نفسه لا تطيب بأن يأخذ أقل من حقه، فكان له حقه وليس عليه أن يأخذ أقل من حقه.

وهذا اختيار الطبري رحمه الله تعالى فقد قال:

وأما قوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فإنه يقول: لا نكلف نفساً، من إيفاء الكيل والوزن، إلا ما يسعها فيحلُّ لها ولا تخرجُ فيه.

وذلك أن الله جل ثناؤه، علم من عباده أن كثيراً منهم تضيق نفسه عن أن

تطيب لغيره بها لا يجب عليها له، فأمر المعطي بإيفاء رب الحق حقَّه الذي هو له، ولم يكلفه الزيادة، لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها. وأمر الذي له الحق، بأخذ حقه، ولم يكلفه الرضا بأقل منه، لما في النقصان عنه من ضيق نفسه.

فلم يكلف نفساً منهما إلا ما لا حرج فيه ولا ضيق؛ فلذلك قال: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

الوجه الثاني: أن البائع قد يبالغ في تحري إقامة الكيل والميزان، ومع ذلك يشعر أنه قد أساء أو ظلم أو زاد أو نقص فيوسوس له شيطانه، ويوقعه في الحرج والعنت.

قال ابن كثير رحمه الله:

وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: من اجتهد في أداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد است فراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وإذا قلتم قولاً تقضون به بين الناس فقولوا الحق والعدل، ولو كان هذا القول ليس في صالح قراباتكم وأرحاكم، أي ولو كان المقضي عليه بهذا القول قريب لكم.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿ذَلِكَ لَكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ﴾، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك: هذه الأمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين هي الأشياء التي عهد إلينا ربنا ووصاكم بها وأمركم بالعمل بها لا

بالبحائر، والسوائب، والوصائل، والحام، وقتل الأولاد، ووأد البنات، واتباع خطوات الشيطان ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين، ووصاكم بها وعهد إليكم فيها، لتذكروا عواقب أمركم، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون، فتنزجروا عنها، وترتدعوا وتنبهوا إلى طاعة ربكم.

وقال السعدي في تفسيره:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ قولاً تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتكلمون به على المقالات والأحوال ﴿فَاعْدِلُوا﴾ في قولكم، بمراعاة الصدق فيمن تحبون، ومن تكرهون والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيبانه.

فإن الميل، على من تكره بالكلام فيه، أو في مقالته، من الظلم المحرم. بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع، فالواجب عليه، أن يعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها، من الحق والباطل، ويعتبر قربها من الحق، وبعدها منه. وذكر الفقهاء أن القاضي يجب عليه العدل بين الخصمين، في لحظه، ولفظه.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾؟

ج: المراد بذلك - والله تعالى أعلم -: جميع العهود التي أخذها الله عز وجل عليكم على لسان نبيه ﷺ.

قال الطبري رحمه الله:

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾، يقول: وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا. وإيفاء ذلك: أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله ﷺ، وذلك هو الوفاء بعهد الله.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ذلكم الذي ذكرناكم به من هذه الأمور وتلك الوصايا إنما ذكرناكم بها لعلكم تذكرون عقوبة ما أنتم عليه مقدمون من المعاصي إذا أنتم خالفتم أوامرنا وخطأ ما أنتم عليه قائمون فتزجرون عن فعل المعاصي وارتكاب الكبائر.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾؟

ج: معنى ذلك - والله أعلم -: وأن هذا الذي بينته لكم مما حرّمته عليكم إن سرتم عليه فحرّمتم ما حرّمتم عليكم وأحللتكم ما أحللته لكم واتبعتم ما تلوته عليكم فقد سرتم على صراطي المستقيم فالزموا هذا الطريق المستقيم الذي يوصلكم إلى جنة الله عزّ وجل ويصرفكم عن ناره، ولا تسلكوا سبل أهل الزيغ والكفر والضلالات فتصدكم عن طريق الله وتصرفكم عن طريق جنته.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي وصاكم به ربكم، أيها الناس، في هاتين الآيتين من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ﴾، وأمركم بالوفاء به، وهو «صراطه»، يعني: طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يعني: قويمًا لا اعوجاج به عن الحق، ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ يقول: فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجًا تسلكونه، فاتبعوه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾، يقول: ولا تسلكوا طريقًا سواه، ولا تركبوا منهاجًا غيره، ولا تبغوا دينًا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان، وغير ذلك من الملل، فإنها بدع وضلالات، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

يقول، فيشئت بكم، إن اتبعتم السبل المحدثه التي ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان، اتباعكم إياها، ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يعني: عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه، وهو الإسلام الذي وصّى به الأنبياء، وأمر به الأمم قبلكم.



س: هل ورد عن رسول الله ﷺ حديث في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾؟

ج: نعم، ورد في هذا ما أخرجه الإمام أحمد^(١) في مسنده بسند حسن وكذا أخرجه غيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: خطّ رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً»، قال: ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: «هذه السبل، وليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ذلك الذي ذكرناه لكم ووصيناكم به إنما وصيناكم به لعلكم تمتثلوه فتتقون النار وتتقون العذاب.

قال الطبري رحمه الله:

﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصاكم به ربكم من قوله لكم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾، وصاكم به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يقول: لتتقوا الله في أنفسكم فلا تهلكوها، وتحذروا ربكم فيها

(١) أحمد (٤٣٥/١) وفي سنده بعض الاختلاف، ولكنه يحسن لمجموع طرقه، وانظر: «المنتخب»

لعبد الله بن حميد بتحقيقي رقم (١١٣٩).

فلا تسخطوه عليها، فيحل بكم نعمته وعذابه.



س: كثيرًا ما يقرن بين القرآن الكريم والتوراة عند التذكير بهما أو ذكرهما، دَلِّل على ذلك وبين سبب ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ..﴾ وهذا في القرآن الكريم، ثم قوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ...﴾ [الأنعام: ٩١] إلى قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾.

وقول الجن: ﴿يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [الأحقاف: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوِيَ مِثْلَ مَا أُوِيَ مُوسَى^١ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ [الفصص: ٤٨].

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وها هنا لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ عطف بمدح التوراة ورسولها، فقال: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وكثيرًا ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً^٢ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: ١٢]، وقوله أول هذه السورة: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] الآية، وبعدها:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ الآية، وقال تعالى مخبراً عن المشركين: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾، قال تعالى: ﴿أَوْ لِمَ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَيْفُونٍ﴾ [القصص: ٤٨]، وقال تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا: ﴿قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].



س: ما الكتاب الذي آتاه الله موسى عليه السلام؟

ج: الكتاب هو التوراة.



س: كيف قيل: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، بعد قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ تَكَلَّوْا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، ومعلوم أن موسى عليه السلام كان قبل نبينا محمد ﷺ؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المعنى ليس هو الذي ذهب إليه هذا الزاذهب، ولكن المعنى: ثم قل لأمتك - بعد أن قلت لهم: ﴿تَكَلَّوْا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ - قد أتى الله موسى الكتاب... والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: ثم قل بعد ذلك يا محمد: أتى ربك موسى الكتاب، فترك ذكر «قل»؛ إذ كان قد تقدم في أول القصة ما يدل على أنه مرادٌ فيها، وذلك قوله: ﴿قُلْ تَكَلَّوْا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ

عَلَيْكُمْ ﴿١﴾، فقص ما حرم عليهم وأحلّ، ثم قال: ثم قل: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا﴾، فحذف «قل» لدلالة قوله: «قل» عليه، وأنه مراد في الكلام.

وإنما قلنا: ذلك مراد في الكلام؛ لأن محمداً ﷺ لا شك أنه بُعث بعد موسى بدهر طويل، وأنه إنما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه. ومعلوم أن موسى أوتي الكتاب من قبل أمر الله محمداً بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه. و«ثم» في كلام العرب حرف يدل على أن ما بعده من الكلام والخبر بعد الذي قبلها.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: ثم قل يا محمد - بعد أن قلت لأمتك: ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ - قل لهم أيضًا: قد آتى ربك سبحانه وتعالى موسى عليه السلام التوراة إتماماً لنعمنا عليه جزاءً لإحسانه الذي أحسن.

وهناك معنى آخر ذكره بعض العلماء تفسيراً لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي: فضيلة منا فضلنا بها على موسى عليه السلام جزاءً لأتباعه المؤمنين به الذي أحسنوا، فآتينا موسى عليه السلام التوراة فضيلة منا عليه ثم هداية للذين أحسنوا يستنيرون بها ويهتدون.

وقال غيرهم: ثم آتينا موسى التوراة إظهاراً منا لفضيلته على قومه كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

أما الطبري - رحمه الله - فقد قال:

فتأويل الكلام إذا: ثم آتينا موسى التوراة تتماماً لنعمنا عنده وأيادينا قبله،

تتم به كرامتنا عليه على إحسانه وطاعته ربه وقيامه بها كلفه من شرائع دينه، وتبييناً لكل ما بقومه وأتباعه إليه الحاجة من أمر دينهم.

أما الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - فقد قال:

وقوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً﴾ أي: آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه تمامًا كاملاً، جامعاً يحتاج إليه في شريعته، كقوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وقوله تعالى: ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي: جزاء على إحسانه في العمل، وقيامه بأوامرنا وطاعتنا، كقوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وكقوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وكقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال السعدي في «تفسيره»:

فأخبر أنه آتى: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾ وهو: التوراة ﴿تَمَامًا﴾ لنعمته، وكما لا لإحسانه، ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ من أمة موسى، فإن الله أنعم على المحسنين منهم بنعم لا تحصى.

من جملتها وتماها: إنزال التوراة عليهم. فتمت عليهم نعمة الله، ووجب عليهم القيام بشكرها.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمٍ يَلْقَاوَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: لعل بني إسرائيل - بعد إتياني موسى التوراة بما

فيها من وعظٍ ونصح وإرشاد - يستضيئون بها ويوقنون بالبعث بعد الموت، فيقدموا أعمالاً صالحة يلقون بها ربهم عزَّ وجل.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾، فإنه يعني: إيتائي موسى الكتاب تمامًا لكرامة الله موسى، على إحسان موسى، وتفصيلًا لشرائع دينه، وهدي لمن اتبعه، ورحمة لمن كان منهم ضالًّا لينجيه الله به من الضلالة، وليؤمن بقاء ربه إذا سمع مواعظ الله التي وعظ بها خلقه فيه، فيرتدع عما هو عليه مقيم من الكفر به، وبلقائه بعد مماته، فيطيع ربه، ويصدق بها جاءه به نبيه موسى ﷺ.



س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾؟ وما المراد بالطائفتين؟

ج: أما الكتاب فالمراد به: الكتابان: التوراة والإنجيل، والمراد بالطائفتين: اليهود (أنزلت التوراة على نبيهم موسى عليه السلام)، والنصارى (وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾؟

ج: قيل معناها: كراهة أن تقولوا.

وقيل معناها: أن لا تقولوا.

والمعنى على كل الأحوال: لكي لا تتعللوا بعلّةٍ وتقولوا إنها أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أننا أنزلنا هذا الكتاب المبارك على نبي الله محمد ﷺ يتلوه عليكم؛ لئلا تعتلوا يوم القيامة بالعلل؛ فتقولوا يوم القيامة معذرين عن الإيمان، إنما أنزلت الكتب على الطوائف من قبلنا ولم تنزل علينا، أنزلت التوراة لليهود، وأنزل الإنجيل للنصارى ولم نكن على علم بتلاوتهم، ولا ندرى ما هي ولا ما فيها، فقطعاً لمثل هذه الأعذار أنزلنا هذا الكتاب المبارك يتلوه عليكم رسول الله ﷺ، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله، وأخبر أنه إنما أنزل كتابه على نبيه محمد؛ لئلا يقول المشركون: «لم ينزل علينا كتاب فنتبعه، ولم نؤمر ولم نُنه، فليس علينا حجة فيما نأتي ونذر: إذ لم يأتنا من الله كتاب ولا رسول»، وإنما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا، فإنها اليهود والنصارى، وكذلك قال أهل التأويل.

وقال أيضاً رحمه الله:

وأما ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾؛ فإنه يعني: أن تقولوا: وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتاب الذي أنزل عليهم، «غافلين»، لا ندرى ما هي، ولا نعلم ما يقرأون وما يقولون، وما أنزل إليهم في كتابهم؛ لأنهم كانوا أهله دوننا، ولم نعن به ولم نؤمر بما فيه، ولا هو بلساننا، فيتخذوا ذلك حجة. فقطع الله بإنزاله القرآن على نبيه محمد ﷺ حجتهم تلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أننا أنزلنا هذا الكتاب المبارك أيضًا؛ لئلا تتعللوا بعدم نزوله عليكم وتبقوا على شرككم؛ فأنزلنا هذا الكتاب قطعًا لأعداركم، وحتى لا تقولوا: لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فهذا هو الكتاب قد أتاكم فاسلكوا سبل الهداية.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ أي: وقطعنا تعللكم: أن تقولوا: لو أنا أنزل علينا ما أنزل عليهم، لكننا أهدى منهم فيما أوتوه؛ كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢]، وهكذا قال هاهنا: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ يقول: فقد جاءكم من الله على لسان محمد ﷺ النبي العربي قرآن عظيم، فيه بيان للحلال والحرام، وهدى لما في القلوب، ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه ويقتفون ما فيه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾؟

ج: المعنى - الله أعلم -: فأَي شخصٍ أظلم من شخصٍ كذب بآيات الله التي أنزلها على نبيه محمد ﷺ وأعرض عنها، فهؤلاء المكذبون المعرضون سيجزيهم الله أسوأ صور العذاب، وأشد صنوف العذاب؛ بسبب إعراضهم الذي كانوا

يعرضون وتكذيبهم الذي كانوا يكذبون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه: فمن أخطأ فعلاً وأشدّ عدواناً منكم، أيها المشركون المكذبون بحجج الله وأدلته - وهي آياته -: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾، يقول: وأعرض عنها بعد ما أتته، فلم يؤمن بها، ولم يصدق بحقيقتها.

وأخرج جل ثناؤه الخبر بقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، مخرج الخبر عن الغائب، والمعنى به: المخاطبون به من مشركي قريش.

وقال رحمه الله:

وقوله: ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾، يقول: سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها، ولا يتعرفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله، وحقيقة نبوة نبيه، وصدق ما جاءهم به من عند ربهم، ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾، يقول: شديد العقاب، وذلك عذاب النار التي أعدها الله لكفرة خلقه به، ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾، يقول: يفعل الله ذلك بهم جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته في الدنيا، فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: ماذا ينتظر هؤلاء المشركون عباد الصنم والوثن؟!، ماذا ينتظر هؤلاء المشركون عموماً؟!

هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة بالعذاب عند قبض الأرواح؟! أو هل

ينتظرون مجيء ربك يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

أو ماذا ينتظرون؟ هل ينتظرون بعض المعجزات التي إذا جاءت لم تنتفع نفس بإيمان حينئذٍ؛ وذلك كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك؟
قال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام، ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، بالموت فتقبض أرواحهم، أو أن يأتيهم ربك - يا محمد - بين خلقه في موقف القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِيَكُ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، يقول: أو أن يأتيهم بعض آيات ربك. وذلك فيما قال أهل التأويل: طلوع الشمس من مغربها.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
في قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، قال: يصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب، كالبعيرين القرينين. زاد ابن حميد في حديثه: «فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» وقال: «كالبعيرين المقترنين».



س: ما المراد بآيات ربك المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾؟

ج: من ذلك: طلوع الشمس من مغربها. بل نقل السمعاني الإجماع على ذلك^(١)، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع

(١) كما في تفسير أبي المظفر السمعاني، وفيه ضعف إلا في رواية شاذة عن معاذ بن جبل أنه: خروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج.

الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها» ثم قرأ الآية^(١).

ونحوه في «الصحيحين»^(٢) هو حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدري أين تذهب الشمس إذا غربت؟» قلت: لا أدري، قال: «إنها تنتهي دون العرش فتخرُّ ساجدة، ثم تقوم حتى يقال لها: ارجعي، فيوشك يا أبا ذر أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت، وذلك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ...﴾».

وذكر بعض العلماء أيضًا من الآيات: الدابة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]. ومن ذلك أيضًا - كما ذكر بعض أهل العلم - يأجوج ومأجوج.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا تَكُنْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: إن هؤلاء المشركين إذا أخروا الإيمان فلم يؤمنوا إلى أن أتتهم بعض المعجزات: كطلوع الشمس من مغربها فلن يتنفعوا حينئذٍ بإيمان، وكذا الذين تركوا صالح الأعمال إلى أن تأتيهم المعجزات كطلوع الشمس من مغربها لن يتنفعوا بعمل صالح بعد طلوعها من مغربها، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾، فإنه يعني: أو عملت في تصديقها

(١) البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (٢٤٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) البخاري (٤٧٢٤)، ومسلم (١٥٩) بنحوه.

بالله خيرًا، من عمل صالح يصدق قيله ويحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها. ولا ينفع كافرًا لم يكن آمن بالله قبل طلوعها كذلك، إيمانه بالله إن آمن وصدق بالله ورسله؛ لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار بالله لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله، فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحداية الله، لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار، ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقًا، ولفرائض الله مضيعةً، غير مكتسب بجوارحه لله طاعة، إذا هي طلعت من مغربها، أعماله إن عمل، وكسبه إن اكتسب؛ لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك.

قال السعدي رحمه الله:

﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ أي: إذا وجد بعض آيات الله، لم ينفع الكافر إيمانه أن آمن، ولا المؤمن المقصر أن يزداد خيره بعد ذلك.

بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك، وما كان له من الخير الموجود قبل أن يأتي بعض الآيات.

والحكمة في هذا ظاهرة: فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيمانًا بالغيب وكان اختيارًا من العبد.

فأما إذا وجدت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة؛ لأنه يشبه الإيمان الضروري، كإيمان الغريق، والحريق، ونحوهما، ممن إذا رأى الموت ألقع عمًا هو فيه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكُفَرْنَا بِمَا كُنَّا

بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴿٨٥﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى متوعدا للكافرين به والمخالفين لرسوله والمكذبين آياته، والصادقين عن سبيله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ وذلك كائن يوم القيامة ﴿أَوْ يَأْتِيكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وذلك قبل يوم القيامة، كائن من أمارات الساعة وأشراطها البخاري في تفسير هذه الآية.

وأورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾»^(١).
وأورد جملة أحاديث أخر.

وقال أيضا:

فقوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: إذا أنشأ الكافر إيمانا يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمنا قبل ذلك، فإن كان مصلحا في عمله فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطا فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته، كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ أي: ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملا به قبل ذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: قل لهؤلاء المعرضين عن الإيمان، ولهؤلاء الذين تركوا العمل الصالح: انتظروا قضاء الله فينا وفيكم فإننا منتظرون قضاء الله فينا وفيكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين برهيم الأوثان والأصنام: انتظروا أن تأتيكم الملائكة بالموت فتقبض أرواحكم، أو أن يأتي ربكم لفصل القضاء بيننا وبينكم في موقف القيامة، أو أن يأتيكم طلوع الشمس من مغربها، فتطوى صحف الأعمال، ولا ينفعكم إيمانكم حينئذ إن أمتتم، حتى تعلموا حينئذ المحق منا من المبتل، والمسيء من المحسن، والصادق من الكاذب، وتبينوا عند ذلك بمن يحق عذاب الله وأليم نكاله، ومن الناجي منا ومنكم ومن الهالك - إنا منتظرو ذلك، ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا إياه، وإخلاصنا العبادة له، وإفراذناه بالربوبية دون ما سواه، ويفصل بيننا وبينكم بالحق، وهو خير الفاصلين.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ تهديد شديد للكافرين، ووعد أكيد لمن سوف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك، وإنما كان هذا الحكم عند طلوع الشمس من مغربها، لا اقتراب وقت القيامة، وظهور أشراتها، كما قال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [عمد: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].



س: اذكر الأشرار الكبرى للساعة؟

ج: من هذه الأشرار ما أخرجه مسلم^(١) في «صحيحه» من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أطلع علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات» فذكر: «الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

وقال الشنقيطي رحمه الله «أضواء البيان» (٣ / ٣١٤): (وأشراط الساعة الكبرى: العشرة، وهي: نزول عيسى، وخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، والدابة، والدخان، ورفع القرآن، وطلوع الشمس من مغربها، وإغلاق باب التوبة، الخسف).

قلت: وينبغي أن يدرج مع هذا كله نزول عيسى عليه السلام.

تنبيه: لا يمتنع أن تتخلل الأشرار الصغرى الأشرار الكبرى، فلا يمتنع مثلاً أيام الدجال أن يكثر الزنا ويحدث ارتداد في طوائف المسلمين وتفشو التجارة مثلاً، إلى غير ذلك من الأشرار الصغرى المتقدمة).



س: ما حكم من تاب عند معاينة الموت؟^(٢)

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أن توبة من عاين الموت لا تقبل؛ لقوله

(١) مسلم (٢٩٠١).

(٢) أي: معاينة الموت فقد قال بعض العلماء: إن المراد بها رؤية مقعده من الجنة أو النار.

تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ﴾ [النساء: ١٨].

ولقوله تعالى لفرعون لما أدركه الغرق فقال: ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] فقال الله: ﴿ءَاكْفَرْتَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا تَرَكْنَا ءَامَنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾.



س: مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا؟

ج: قيل: هم اليهود والنصارى

وقيل: هم أهل البدع من أمة محمد ﷺ.

وقيل: هي شاملة للجميع.

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أخبر نبيه ﷺ أنه بريء من فارق دينه الحق وفرقه، وكانوا فرقا فيه وأحزابا شيعا، وأنه ليس منهم ولا هم منه؛ لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام، دين إبراهيم الحنيفية، كما قال له ربه وأمره أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

فكان من فارق دينه الذي بعث به ﷺ من مشركٍ ووثنى يهودي ونصراني ومتحنف، مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضلَّ به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة إبراهيم المسلم، فهو بريء من محمد ﷺ، ومحمد منه بريء، وهو داخل في

عموم قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

والظاهر: أن الآية عامّة في كل من فارق دين الله، وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ أي: فرقاً كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات، فإن الله تعالى قد برأ رسول الله ﷺ مما هم فيه، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وفي الحديث: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد»^(١).

فهذا هو الصراط المستقيم، وهو ما جاءت به الرسل من عبادة الله وحده لا شريك له، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء، والرسل برآء منها، كما قال الله تعالى: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.



س: ذكر بعض أهل العلم قراءتين في قوله تعالى: ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ اذكرهما، مع بيان معنى كل قراءة؟

ج: أما القراءة الأولى التي ذكروها فهي:

فارقوا دينهم أي: ارتدوا عن دينهم.

أما الثانية فهي: فرّقوا دينهم أي: تفرّقوا واختلفوا فتهود قوم وتنصر غيرهم

(١) البخاري (٣٤٤٣) بلفظ البخاري «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»، ومسلم (٢٣٦٥).

وتمجسَّ آخرون، وابتدع فريق آخر كذلك، والله أعلم.

وقال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنها قراءتان معروفتان، قد قرأت بكل واحدة منهما أئمة من القراءة، وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه، وذلك أن كل ضالٍ فلدينه مفارق، وقد فرق الأحزاب دين الله الذي ارتضاه لعباده، فتهود بعض وتنصر آخرون، وتمجس بعض.

وذلك هو «التفريق» بعينه، ومصير أهله شيعاً متفرقين غير مجتمعين، فهم لدين الله الحق مفارقون وله مفرقون. فبأي ذلك قرأ القارئ فهو للحق مصيب، غير أني أختار القراءة بالذي عليه عظم القراءة، وذلك تشديد «الراء» من «فرَّقوا».



س: كيف فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً

ج: قال السعدي رحمه الله:

يتوعد تعالى الذين فرقوا دينهم، أي: شتتوه وتفرقوا فيه، وكل أخذ لنفسه نصيباً من الأسماء التي لا تفيد الإنسان في دينه شيئاً؛ كاليهودية والنصرانية والمجوسية.

أو لا يكمل بها إيمانه، بأن يأخذ من الشريعة شيئاً، ويجعله دينه، ويدع مثله. أو ما هو أولى منه، كما هو حال أهل الفرقة من أهل البدع والضلال والمفرقين للأمة.

ودلت الآية الكريمة: أن الدين يأمر بالاجتماع والاتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: لست مسؤولاً عنهم ولا عن شيء عن أمرهم، وقيل: لست منهم في شيء أي: أنت بريء منهم وبريء من أعمالهم.
وقيل: لم تؤمر بقتالهم، ثم نسخت بعد بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، إعلام من الله نبيه محمداً ﷺ أنه من مبتدعة أمته الملحدة في دينه بريء، ومن الأحزاب من مشركي قومه، ومن اليهود والنصارى، وليس في إعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاء عن قتالهم؛ لأنه غير محال أن يقال في الكلام: «لست من دين اليهود والنصارى في شيء فقاتلهم، فإن أمرهم إلى الله في أن يتفضل على من شاء منهم فيتوب عليه، ويهلك من أراد إهلاكه منهم كافراً فيقبض روحه، أو يقتله بيدك على كفره، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند مقدمهم عليه».

وإذا كان غير مستحيل اجتماع الأمر بقتالهم، وقوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ إِنَّمَا أَمَرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ، ولم يكن في الآية دليل واضح على أنها منسوخة، ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبر، كان غير جائز أن يقضي عليها بأنها منسوخة حتى تقوم حجة موجبة صحة القول بذلك، لما قد بينا من أن المنسوخ هو: ما لم يجوز اجتماعه وناسخه في حال واحدة، في كتابنا: «كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام».

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿لَسْتَ مِنْهُمْ﴾ أي: من تفرقهم أو من السؤال عن سبب تفرقهم والبحث

عن موجب تحزبهم ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من الأشياء فلا يلزمك من ذلك شيء ولا تخاطب به إنما عليك البلاغ، وهو مثل قوله ﷺ: «من غشنا فليس منا»^(١) أي: نحن برآء منه.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؟

ج: معنى ذلك - والله أعلم -: إنها أمر حسابهم إلى الله إن شاء عاقب وإن شاء عفا، أما أهل الشرك فقد أخبر سبحانه: أن الشرك لا يغفر، أما أهل البدع فواقعون تحت المشيئة.

وقيل: إنها أمر هدايتهم إلى الله.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾، فإنه يقول: أنا الذي إليّ أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاء، والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك، دونك ودون كل أحد؛ إما بالعقوبة إن أقاموا على ضلالتهم وفرقتهم دينهم فأهلكهم بها، وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل مني عليهم، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يقول: ثم أخبرهم في الآخرة عند ورودهم عليّ يوم القيامة بما كانوا يفعلون، فأجازي كلّاً منهم بما كانوا في الدنيا يفعلون؛ المحسن منهم بالإحسان، والمسيء بالإساءة. ثم أخبر جل ثناؤه ما مبلغ جزائه من جازى منهم بالإحسان أو بالإساءة فقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].



س: ما المراد بالحسنة والسيئة في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى: أن المراد بالحسنة هنا: قول لا إله إلا الله، والمراد بالسيئة: الشرك بالله، وذهب آخرون إلى شيء أعم من ذلك فقالوا: المراد بالجنة: الإيمان بالله عز وجل والإقرار بوحدانيته والتصديق برسوله ﷺ، والمراد بالسيئة: الشرك بالله وتكذيب رسله.

وذهب آخرون إلى أعم من ذلك كله فقالوا: المراد بالحسنة: عموم الحسنات، والمراد بالسيئة: عموم السيئات، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: من وافى ربه يوم القيامة في موقف الحساب من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً، بالتوبة والإيمان والإقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالتهم، وذلك هو الحسنة التي ذكرها الله؛ فقال: من جاء بها فله عشر أمثالها.

ويعني بقوله: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، فله عشر حسنات أمثال حسنته التي جاء بها، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾، يقول: ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدين الحق والكفر بالله، فلا يجزى إلا ما ساءه من الجزاء، كما وافى الله به من عمله

السيئ، ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾، يقول: ولا يظلم الله الفريقين، لا فريق الإحسان، ولا فريق الإساءة، بأن يجازي المحسن بالإساءة، والمسيء بالإحسان، ولكنه يجازي كلا الفريقين من الجزاء ما هو له؛ لأنه جل ثناؤه حكيمٌ لا يضع شيئاً إلا في موضعه الذي يستحق أن يضعه فيه، ولا يجازي أحداً إلا بما يستحق من الجزاء.



س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله: إذا أراد عبي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة، فلم يعملها، فاكتبوها له حسنة، فإن عملها، فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة».

وفي «الصحيحين»^(٢) أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى:

«إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة».



(١) البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨).

(٢) البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

س: ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال: هذه للأعراب وللمهاجرين سبعة، فهل هذا صحيح عن أبي سعيد؟

ج: نعم، هذا صحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه، أخرجه الطبري^(١).



س: كيف يكون لقول: لا إله إلا الله عشرة أمثال؟ إذ الله قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أن كلمة لا إله إلا الله لها ثواب يستحقه قائلها، إلا أن الله عز وجل يجعل له عشرة أمثال هذا الثواب، والله أعلم.
قال الطبري رحمه الله:

فإن قال: قلت: فهل لقول: «لا إله إلا الله» من الحسنات مثل؟

قيل: له مثل هو غيره، ولكن له مثل هو قول: لا إله إلا الله، وذلك هو الذي وعد الله جل ثناؤه من أتاه به أن يجازيه عليه من الثواب بمثل عشرة أضعاف ما يستحقه قائله.

وكذلك ذلك فيمن جاء بالسيئة التي هي الشرك، إلا أنه لا يجازي صاحبها عليها إلا ما يستحقه عليها من غير إضعافه عليه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ آبَائِهِمْ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله هؤلاء المشركين ولغيرهم: إن الله

عَزَّ وجل أرشدني وسددني ووفقني لسلوك طريقًا مستقيمًا، طريق الدين المستقيم الموصول إلى الله تبارك وتعالى، ذلكم الطريق الذي سلكه إبراهيم عليه السلام، سلكت هذا الطريق طريق توحيد الله عَزَّ وجل، ماثلاً عن الشرك إلى التوحيد معلناً عن توحيدي لخالقي ومولاي، نافياً عن نفسي الشرك بالله عَزَّ وجل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، لهؤلاء العادلين برهم الأوثان والأصنام، ﴿إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يقول: قل لهم: إني أرشدني ربي إلى الطريق القويم، هو دين الله الذي ابتعثه به، وذلك الخيفية المسلمة، فوفقني له، ﴿دِينًا قِيمًا﴾، يقول: مستقيماً، ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، يقول: دين إبراهيم، ﴿حَنِيفًا﴾، يقول: مستقيماً، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، يقول: وما كان من المشركين بالله، يعني إبراهيم صلوات الله عليه؛ لأنه لم يكن ممن يعبد الأصنام.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى أمراً نبيه ﷺ سيد المرسلين: أن يخبر بما أنعم الله به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ﴿دِينًا قِيمًا﴾ أي: قائماً ثابتاً ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، كقوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقوله ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠) شاكراً لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [النحل: ١٢٠-١٢٣].

وليس يلزم من كونه ﷺ أمر باتباع ملة إبراهيم الخيفية: أن يكون إبراهيم

أكمل منه فيها؛ لأنه عليه السلام قام بها قيامًا عظيمًا، وأكملت له إكمالًا تامًا، لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال، ولهذا كان خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم على الإطلاق، وصاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى إبراهيم الخليل عليه السلام.



س: ما صحة هذا الحديث؟

ج: عن ابن أبزي، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: «أصبحنا على ملة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا وما كان نتم المشركين»^(١).



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي...﴾ الآية؟

ج: قال الطبري - رحمه الله - في تفسيرها:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء العادلين برهم الأوثان والأصنام، الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، يقول: وذبحي، ﴿وَمَحْيَايَ﴾، يقول: وحياتي، ﴿وَمَمَاتِي﴾ يقول: ووفاتي، ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يعني: أن ذلك كله له خالصًا دون ما أشركتم به - أيها المشركون - من الأوثان، ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ في شيء من ذلك من خلقه، ولا شيء منهم فيه نصيب؛ لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصًا، ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ يقول: وبذلك أمرني ربي، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، يقول: وأنا أول من أقر وأذعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٦)، ولفظه: «أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين».

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يأمره تعالى أن يخبر المشركين، الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لغير اسمه: أنه مخالف لهم في ذلك؛ فإن صلاته لله، ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] أي: أخلص له صلاتك وذبحك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى.



س: كيف قال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، وثُمَّ مسلمون قبل نبينا ﷺ؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد: وأنا أول المسلمين من هذه الأمة.

وقال آخرون: المعنى: وأنا أول الممثلين أمرك السامعين المطيعين لك.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، قال قتادة: أي: من هذه الأمة.

وهو كما قال: فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقد أخبر تعالى عن نوح أنه قال لقومه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢]، وقال يوسف عليه

السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال موسى: ﴿يَقُولُ إِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ فَأَنبِئُوا بِاللَّهِ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدِ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ ۚ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُفْتَنُ الْإِنْسَانُ بِمَا كَسَبَ ۚ إِنَّمَا الْإِنْسَانُ لَشَكُورٌ ۚ﴾ [يونس: ٨٤-٨٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَآمَنَّا وَآمَنَّا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

فأخبر تعالى أنه بعث رسله بالإسلام، ولكنهم متفاوتون فيه، بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضاً، إلى أن نسخت بشريعة محمد ﷺ التي لا تنسخ أبد الأبد، ولا تزال قائمة منصوره، وأعلامها مشهورة إلى قيام الساعة، ولهذا قال عليه السلام: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد»، فإن أولاد العلات: هم الأخوة من أب واحد وأمهات شتى، فالدين واحد: وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات، كما أن إخوة الأخياف عكس هذا: بنو الأم الواحدة من آباء شتى، والأخوة الأعيان: الأشقاء من أب واحد وأم واحدة، والله أعلم.



س: ما صحة الحديث الذي فيه أن رسول الله ﷺ كان يقول: ﴿لَنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؟ وما موطنه الذي كان يقال فيه؟ وما لفظه؟

ج: ذلك حديث صحيح^(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، وكان النبي ﷺ

يقوله في استفتاح صلاة الليل من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئاً، وما أنا من المشركين، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ»... الحديث.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا...﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - : قل يا رسول الله ﷺ لهؤلاء المشركين المعرضين عن طاعة الله عز وجل وعن عبادته: أغير الله أطلب سيِّداً يسودني ومُدبراً يدبر أمري ومُصلحاً يصلح شئوني، والله هو رب كل شيء، ومصلح شأنه ومدبر أمره.

وكل نفس عملت سوءاً فإنما تجزى به وتحمله دون غيرها ممن لم يشارك فيه، ولا تحمل نفس ذنوب نفس أخرى، ولا تأثم نفس لكون نفس أخرى قد أثمت.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، لهؤلاء العادلين برهم الأوثان، الداعيك إلى عبادة الأصنام واتباع خطوات الشيطان، ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا﴾، يقول: أسوى الله أطلب سيِّداً يسودني؟، ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، يقول: وهو سيد كل شيء دونه ومدبره ومصلحه، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾، يقول: ولا تجترح نفس إثماً إلا عليها، أي: لا يؤخذ بها أنت من معصية الله تبارك وتعالى، وركبت من الخطيئة سواها، بل كل ذي إثم فهو المعاقب بإثمه والمأخوذ بذنبه، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، يقول: ولا تأثم نفس آثمة بإثم نفس أخرى غيرها، ولكنها تأثم بإثمها، وعليه تعاقب، دون إثم أخرى غيرها.

وإنما يعني بذلك: المشركين الذين أمر الله نبيه ﷺ أن يقول هذا القول لهم.

يقول: قل لهم: إنا لسنا مأخوذين بآثامكم، وعليكم عقوبة إجرامكم، ولنا جزاء أعمالنا. وهذا كما أمر الله جل ثناؤه في موضع آخر أن يقول لهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه: ﴿أَعَزَّ اللَّهُ ابْنِي رَبًّا﴾ أي: أطلب ربًّا سواه، ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يربيني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري، أي: لا أتوكل إلا عليه، ولا أنيب إلا إليه؛ لأنه رب كل شيء ومليكه، وله الخلق والأمر.

ففي هذه الآية: الأمر بإخلاص العبادة والتوكل، كما تضمنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا معنى يقرن بالآخر كثيرًا في القرآن، كقوله تعالى مرشدًا لعباده أن يقولوا له: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]، وقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [الزمل: ٩] وأشبه ذلك من الآيات.



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ مع ذكر مختصر لمعنى الآية الكريمة؟
ج: في معناها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ مِنَ الَّذِينَ وَفَّيَ ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَزُرَ وَارِدًا وَنَزَرًا أُخْرَى...﴾ [النجم: ٣٦-٣٨].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ...﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩].

أما عن معنى الآية الكريمة، فيقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نَزِرَ وَارِدًا وَنَزَرًا أُخْرَى﴾ إخبار عن الواقع يوم القيامة، في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله: أن النفوس إنما تجازى بأعمالها، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد، وهذا من عدله تعالى، كما قال: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِثْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] قال علماء التفسير: أي: فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ...﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩] معناه: كل نفس مرتبهة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين، فإنه قد تعود بركات أعمالهم الصالحة على ذرياتهم وقراباتهم، كما قال في سورة الطور: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] أي: أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ في المنزلة الرفيعة في الجنة، وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال، بل في أصل الإيمان، ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ أي: أنقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئًا، حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة، بل رفعهم تعالى إلى منازل الآباء ببركة أعمالهم بفضلهم ومنته، ثم قال: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] أي: من شر.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: لا تؤخذ بما أتت من

الذنب وارتكبت من المعصية سواها فكل نفس كسبها للشر عليها لا يتعداها إلى غيرها.

وهو مثل قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: ١٥]، ﴿وَلَا تُزْرَى﴾ تحمل نفس ﴿وَارِزَّةٌ﴾ حاملة ﴿وَزَرَ﴾ حمل ﴿أُخْرَى﴾ ولا تؤاخذ نفس آثمة بإثم أخرى.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أن كل نفس فعلت فعلاً إنها تتحمل جزاء فعلها ثم توافي بها يوم القيامة وترجع إليه فيخبرها بعملها الذي عملت، ومعتقداتها الذي اعتقدت، والصحيح من ذلك كله والباطل منه، ووجه الصواب ووجه الخطأ، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان: كل عامل منا ومنكم فله ثواب عمله، وعليه وزره، فاعملوا ما أنتم عاملوه - ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، أيها الناس، ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾، يقول: ثم إليه مصيركم ومنقلبكم، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ﴾، في الدنيا، ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ من الأديان والملل؛ إذ كان بعضكم يدين باليهودية، وبعض بالنصرانية، وبعض بالمجوسية، وبعض بعبادة الأصنام وادعاء الشركاء مع الله والأنداد، ثم يجازي جميعكم بما كان يعمل في الدنيا من خير أو شر، فتعلموا حينئذ من المحسن منكم والمسيء.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ أي: اعملوا على مكانتكم، إنا عاملون على ما نحن عليه، فستعرضون ونعرض عليه، وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم، وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا، كقوله: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ۚ هُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ ﴿[سبأ: ٢٥، ٢٦].



س: قوله تعالى: ﴿خَلَقْتَ الْأَرْضَ﴾ خلائف لمن؟

ج: قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وللمفسرين فيمن خلفوه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم خلفوا الجن الذين كانوا سكان الأرض؛ قاله ابن عباس.

والثاني: أن بعضهم يخلف بعضًا؛ قاله ابن قتيبة.

والثالث: أن أمة محمد خلفت سائر الأمم، ذكره الزجاج.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ

بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: والله الذي جعلكم خلائف لقوم آخرين كانوا في

الأرض فأنتم من بعدهم، وفضل بعضكم على بعض فجعل منكم الغني والفقير، والطويل والقصير، والقوي والضعيف والدميم والجميل، والوجيه والوضيع، إلى غير ذلك من صور التفضيل، كل ذلك ابتلاء من الله عز وجل،

يبتلي بعضكم ببعض ويختبر بعضكم ببعض، فينظر هل رضي الفقير بقضاء الله وصبر، أم تسخط الأقدار وكفر.

وهل حمد الغني وشكر، أم أنه طغى وبطر، وهكذا الجميع، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ﴾، وكما قال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾، فإنه يقول: وخالف بين أحوالكم، فجعل بعضكم فوق بعض، بأن رفع هذا على هذا، بما بسط لهذا من الرزق ففضله بما أعطاه من المال والغنى، على هذا الفقير فيما خوّله من أسباب الدنيا، وهذا على هذا بما أعطاه من الأيد والقوة على هذا الضعيف الواهن القوى. فخالف بينهم بأن رفع من درجة على درجة هذا، وخفض من درجة هذا عن درجة هذا.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ أي: جعلكم تعمرونها جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، وخلفاً بعد سلف. قاله ابن زيد وغيره، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ [الزخرف: ٦٠]، وكقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، وقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

وقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أي: فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق، والمحاسن والمساوئ، والمناظر والأشكال والألوان، وله الحكمة في

ذلك، كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أي: ليختبركم في الذي أنعم به عليكم، وامتحانكم به، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره.

وأورد حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ في الخلق والرزق والقوة والضعف والعلم والعقل والجهل والحسن والقبح والغنى والفقر والشرف والوضع، وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لأجل العجز أو الجهل أو البخل، فإن الله سبحانه منزّه عن صفات النقص.



س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله - في معناها:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾، يا محمد، لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه، وخلافه أمره فيما أمره به ونهاه، ولمن ابتلى منه فيما منحه من فضله وطوّله تولّيًا - وإدبارًا عنه، مع إنعامه عليه، وتمكينه إياه في الأرض، كما

فعل بالقرون السالفة، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾، يقول: وإنه لساتر ذنوب من ابتلي منه إقبالا إليه بالطاعة عند ابتلائه إياه بنعمته، واختباره إياه بأمره ونهيه فمغطاً عليه فيها، وترك فضيحته بها في موقف الحساب، ﴿رَحِيمٌ﴾ بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التي سلفت بينه وبينه؛ إذ تاب وأناب إليه قبل لقائه ومصيره إليه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ترهيب وترغيب، أن حسابه وعقابه سريع فيمن عصاه، وخالف رسله ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن والاه، واتبع رسله فيما جاءوا به من خبر وطلب.



س: كثيراً ما يُذكر الله عزَّ وجل بواسع رحمته ومغفرته وكذلك يذكر بمؤاخذته وأليم عقابه، وضح ذلك؟

ج: نعم، كثيراً ما يحدث هذا تذكير بسعة رحمة الله ومغفرته، وكذا أليم عقابه وشدة مؤاخذته، وذلك حتى لا يقنط شخص من رحمة الله، ولا يتجرأ شخص على معصية الله، وقد ذكرنا الله بذلك كثيراً في كتابه الكريم.

قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣].

وقال سبحانه: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ﴾ [المدثر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وكثيراً ما يقرن الله تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين، كقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ

لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿الرعد: ٦﴾، وقوله، ﴿نَحْنُ عِبَادٌ خِيفَتْنَا أَنَا أَلْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿الحجر: ٤٩﴾، إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة، وصفة الجنة، والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة، وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا لينجع في كل بحسبه، جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر، وترك ما عنه نهى وزجر، وصدقه فيما أخبر، إنه قريب مجيب، سميع الدعاء، جواد كريم وهّاب.

وأورد حديث أبي هريرة^(١)، عن النبي ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد».



(١) مسلم (حديث ٢٧٥٥).

الفهرس

الموضوع

المقدمة

الصفحة

٥

تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ إلى قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٤٢ - ١١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْإِيلِ وَالنَّهَارِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

١٠١ - ٤٣

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّي الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.

١٥٨ - ١٠٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...﴾ إلى قوله: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

٢٠٤ - ١٥٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرْتَنِي أَصْنَامًا إِلَهًا...﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

٢٦٦ - ٢٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى...﴾ إلى قوله:
﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا
بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ﴾.

٣٠٤ - ٢٦٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ
الْمَوْتُ...﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾.

٣٥٥ - ٣٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿وَحَرِّمُوا مَا
رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفِرَاءَ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا
كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

٣٩٦ - ٣٥٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ
مَعْرُوشَاتٍ...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَنَّبِعْ
أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

٤٣٦ - ٣٩٧

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ
عَلَيْكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ
الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٤٩٤ - ٤٣٧

٤٩٥

الفهرس



تلفاكس : 02 22999527
جوال : 010 6695743